AL-HADAF
الهدف
كل الحقيقة للجماهير
فلسطينية عربية ديمقراطية بهوية يسارية

إما فِلَسطينْ
وَإما النّارُ جيلاً بَعدَ جيلْ

77 عاماً عَلى النَّكبَة

الهدف - فلسطين - العدد 71 (1545) - أيار / مايو 2025

يَا أحرَارَ العَالم اتحِدوا
ضِدّ الهَمَجيّة
الأول من أيار
يوم العمال العالمي
MAY 1ST
INTERNATIONAL WORKERS' DAY

النكبة جريمة كبرى ليست هي البداية ولا النهاية

النكبة هي الجريمة الكبرى التي تعرض لها الشعب الفلسطيني عام 1948 باغتصاب أرضه ووطنه فلسطين، وباقتلاعه وتهجيره وتشريده بوسائل وأدوات الإرهاب المنظم، الذي تجلى بالقتل والتدمير وارتكاب مئات المجازر بحق الآمنين والمدنيين من أهالي فلسطين وسكان المدن والقرى. إنها الوحشية والعنصرية الصهيونية وهي أبشع صور التطهير العرقي.

إنها المؤامرة الإمبريالية الصهيونية، وهي التجسيد الحي للمشروع الإمبريالي الاستعماري الصهيوني، والوعد الذي تقدم به بلفور عام 1917 بإقامة «وطن قومي لليهود» في فلسطين، واستجابة لتوصيات مؤتمر لندن عام 1905-1907 المعروف بمشروع أو خطة هنري كامبل بنرمان، والذي يحدد بالضبط الوظيفة الاستعمارية لهذا الكيان الصهيوني كذراع أمني إستراتيجي لفرض الهيمنة والسيطرة على الوطن العربي والشرق الأوسط، بكل ما فيهما من أهمية على المستوى الجيو سياسي، وما يختزناه من خيرات ومقدرات وثروات معدنية أو نفطية، إضافة للثروة الغازية أيضاً، وكذلك السيطرة على الممرات البرية والبحرية والجوية. فالأهداف تتعدى فلسطين ومصالح الشعب الفلسطيني إلى كل دول المنطقة التي يتوجب إبقاؤها متخلفة وتابعة وتحت الوصاية والحماية والرقابة الأمريكية والإمبريالية؛ أي يجب أن تبقى ضعيفة مجزأة تتآكل من داخلها بالصراعات الطائفية والمذهبية والأثنية، وحظر أي تقدم علمي وتقني، وأي مساعي لتعزيز وحدتها وهويتها، ومنع أي محاولة باتجاه بناء الدولة الوطنية بمواصفاتها السيادية أو باستقلالية قرارها الوطني.

تعتبر الدول الاستعمارية وخاصة أمريكا وأوروبا أن أمن الكيان الصهيوني خط أحمر لا يحق لأحد في المنطقة على مستوى الدول أو القوى والأحزاب التعرض له أو تهديده، يصل الأمر إلى اعتبار أي عملية نهوض وبناء في أي دولة هي تهديد، وأي عملية مقاومة ومعارضة للمشروع الصهيوني هي تهديد، وتشكل خطراً على المشروع الصهيو- إمبريالي «والأمن القومي الإسرائيلي»، والأمن القومي الإستراتيجي الأمريكي.

تستمر فصول النكبة وتداعياتها باستمرار الاستيطان وضم الأراضي وعمليات التهويد، بما فيها من تزوير لحقائق الجغرافيا والتاريخ، والهدف واضح كل الوضوح إما بالاستسلام والرضوخ، وإما المزيد من الدمار والقتل والمجازر، ولو تطلب ذلك السحق والمحارق والإبادة الجماعية والتطهير العرقي واقتلاع السكان من أراضيهم، وطردهم خارج أوطانهم وتشتيتهم.

إن ما يحصل في قطاع غزة، وما يحصل في الضفة الغربية والقدس، ما هو إلا ترجمة دامية لمخطط تصفوي كبير، واستحضار لجرائم النازيين العنصرية بطريقة أبشع، وأكثر فاشية وتوحشاً.

إذاً فالنكبة ليست حدثاً عابراً وانتهى، وليست مجرد ذكرى لأنها ارتبطت باغتصاب فلسطين واستعمار كل المنطقة، بل هي فعل استعماري وعدواني عنصري مستمر. وحسب الفهم المادي لحركة التاريخ؛ أينما حل الاستعمار فهو يخلق نقيضه الموضوعي، من هنا نرى حركة الجماهير وتطلعات الشعوب نحو التحرر والانعتاق نحو الحرية والاستقلال حقاً طبيعياً ومقدساً بغض النظر عما ورد في الشرائع والقوانين أو المواثيق الدولية التي كفلته.

لم ولن يأمن الاستعمار وأي احتلال مهما بلغت قوته وجبروته على ديمومته ووجوده ومستقبله طالما هناك من يقول «لا»، ويقاوم ويقاتل من أجل خلاصه وبناء وطنه الحر والمستقبل الذي يريد.

يريدون لأوطاننا أن تكون مجالاً أمنياً واستعمارياً حيوياً، واقتصاداً خدمياً تابعاً، ومجتمعاً استهلاكياً هشاً ومتخلفاً، ومن أجل ذلك يفرضون على الدول الشروط، والتي أقلها حماية أنظمة الحكم مقابل الالتزام بإملاءات وشروط الخضوع والتبعية، وهذا ما جنوه من خزي وعار في اتفاقيات ومعاهدات «السلام»، وليس أخرها اتفاقيات التطبيع الإبراهيمية؛ وهي اتفاقات سياسية واقتصادية أمنية توفر الحماية للأنظمة مقابل حماية الكيان الصهيوني ومصالح أمريكا والغرب الإمبريالي، وتوفر الرخصة لنهب خيرات البلاد والعباد والاستثمار بالأرض؛ في جوفها وما عليها، وتستبيح المياه والأجواء.

غزة تحترق وتباد ويُصهر أهلها بالحديد والنار، وتتحول إلى أفران ومحارق للأطفال والنساء والشيوخ، والذي يبقى حياً يموت خنقاً أو جوعاً، إنه الهولوكوست بنسخته المعولمة «العصرية» لإبادة الفلسطيني الحر الشريف، وتهجير الناجين من المحرقة أو كل من تكتب له الحياة.

يا لبشاعة النظام العالمي ونذالة الأنظمة الخانعة، لا رهان عليكم، ولا على ضمائركم الميتة، لأنكم التجلي الحقيقي لكل مظاهر القبح والخذلان، الرهان فقط على نضال الشعوب الحرّة، وصرخاتهم الصادقة المنادية بالانتصار للإنسانية وللعدالة والحق.

أما أبناء فلسطين فهم أبناء الأرض، وهم الثابتون على الحق في غزة والضفة والقدس، وفي الجليل والساحل والنقب وفي أماكن اللجوء لن يسلّموا، ولن يستسلموا، مستمرون في مواجهة النكبات وفصولها الدامية، ولا خيار أمام شعب فلسطين وشعوب المنطقة إلا الثورة، وحمل الراية جيلاً بعد جيل مهما بلغت التضحيات.

الهدف AL-HADAF

كل الحقيقة للجماهير

فلسطينية عربية ديمقراطية بهوية يسارية

العدد رقم (71) - (1545) - أيار (مايو) 2025

أسسها عام 1969

الأديب الشهيد

غسان كنفاني

رئيس التحرير

كايد الغول

مدير التحرير

محمد أبو شريفة

المدير الفني

منير الرفاعي

تصميم الغلاف

جيفارا عبد القادر

المقالات المنشورة لا تتطابق بالضرورة مع وجهة نظر الهدف

يسمح بالنقل وإعادة النشر بشرط الإشارة إلى المصدر

عناوين مجلة وبوابة الهدف:

غزة بجوار مشفى الشفاء ـ نهاية شارع الثورة

الهاتف: 082836472

البريد الإلكتروني:

hadafmagazinenew@gmail.com

تصدر عن

دائرة الإعلام المركزي

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

الافتتاحية

- النكبة جريمة كبرى ليست هي البداية ولا النهاية — 1

- حوار الهدف الأمين العام لحزب العمال التونسي الرفيق حمّة الهمامي — حوار: محمد أبو شريفة — 3

شؤون فلسطينية

- النكبة.. كفاح المئة عام — أحمد الخميسي — 18
- نكبة 1948 الحقيقة المرة؛ والشعب الذي يأبى النسيان — بسام عليان — 19
- في الهدف: رسائل من غزة — أحمد علي هلال — 20
- جريمة النكبة في نسختها الجديدة — حاتم إستنبولي — 21
- في الذكرى الـ 77 للنكبة: القضية الفلسطينية في مواجهة التحديات — د. انتصار الدنان — 23
- نداء غزة في الذكرى 77 للنكبة بين ساحات الضمير وساحات المصير — د. عابد الزريعي — 24
- في إحياء ذكرى النكبة الفلسطينية وعي عالمي متزايد لأبعادها — عبد النبي العكري — 26
- غزة في مرمى الكاميرات: البث المباشر كأداة للهيمنة والتضليل — وسيم السلطي — 28

شؤون عربية

- الاستهداف المسموم خلف «التسريب» المزعوم! — أحمد بهاء الدين شعبان — 29
- في أقل من ثلاثة أشهر : ثلاث قمم عربية.. المحصلة صِفْرِية — محمد صوان — 31
- ما بين زيارة ترامب وقمة بغداد حصاد أمريكي وفير... وقمة عربية مسلوقة — علي بدوان — 33

شؤون دولية

- السلطة الرابعة في عين العاصفة الصهيونية — إلهام الحكيم — 35
- تسونامي الانتقادات الأوروبية لمخططات إسرائيل هل تتحول لأفعال مؤثرة؟ — حمدان الضميري — 37
- مؤشرات الزيارة الخارجية الأولى لترامب وحيثياتها — د. محمد عياش — 38
- صفقات ترامب في الخليج وحرب النجوم الجديدة — رضي الموسوي — 40
- النظام العربي مستمر في خذلانه لغزة. والغرب يتجه لمعاقبة (إسرائيل) على حرب الإبادة — عليان عليان — 42
- الشرق الأوسط الجديد ومعالم التغيير — علي زيدان — 44
- أسباب وخلفيات التعارض بين الموقف الشعبي والموقف الرسمي الغربي تجاه الإبادة الجماعية في غزة — د. موسى العزب — 47
- ما بعد أكتوبر: الإعلام الغربي يعيد اكتشاف الإنسان الفلسطيني — رامي حاج سعيد — 49

شؤون العدو

- 77 عاماً على النكبة: جدلية العلاقة بين بلفور والتقسيم ودور الوسائل الظلامية في تغيير الموازين — نواف الزرو — 51
- عقدة الطوفان لدى (إسرائيل) حرب الإبادة — د. سامي الشّيخ محمّد — 53
- إسرائيل المندهشة من اتهامها بالقتل والعنصرية — أكرم عطالله — 54
- عربات جدعون و صحوة أوروبية خجولة — أحمد عويدات — 55

- **دراسات الهدف:** ـ ينك الأجساد: الاستعمار الحيوي واستمرار النكبة في الأجساد الفلسطينية بعد الموت — **بيسان عدوان** — 57
- **تحقيق الهدف:** جلبوع».. مسلخ التعذيب وساحة الانتقام — **أحمد زقوت** — 60
- **تقرير الهدف:** الشعبية: تشارك في الذكرى الـ 80 للانتصار على الفاشية والنازية — **الهدف** — 61
- **ترجمات الهدف:** جولة ترامب في الخليج تعيد تشكيل الخريطة الدبلوماسية للشرق الأوسط — **ترجمة: نور نوارة** — 62

شؤون ثقافية

- حوار الهدف الثقافي: الفنان الفلسطيني غنام غنام — حوار: أمينة عباس — 64
- غزة بين الأدب وأخلاق الأديب — تماضر سعيد عودة — 68
- من النكبة إلى سيزيف الفلسطيني — لمى الشطلي — 69
- أدب النكبة: سردية الوجع والهوية — د. ثائر يوسف عودة — 70
- قمع ومحاولات الاستحواذ على الفلسطيني في رواية «السماق المر» — بسام سفر — 72
- ذكرى النكبة في أعين المهجرين وحق العودة — وفاء حميد — 74
- سرديات تبحث عن الوطن — محمد حسين — 75
- الزعتر لن يصبح عبرياً — مصعب عيسى — 76
- طاحونة أبو العوايص — راكان حسين — 77
- مناجاة لصخرة الضوءِ (من قلبٍ ينبض لفلسطين) — د. بشير أحمد أبو اصبع — 79
- غزّة نوع آخر من الكلام والتوراة لم تحتفظ بعقلها كاملاً — عبد النور الهنداوي — 80
- النكبة ودلالاتها في الأدب الفلسطيني — غرز الدين جازي — 81
- قصة أغنية.. جفرا.. ويا هالربع.. من لم يعرف جفرا.. فليدفن رأسه بالرمضا — موسى سعيد مراغة — 83

- إنّ المحور الأساسي الذي ينبغي أن ينصبّ عليه الاهتمام في معركة الوعي هذه هو الطابع الوطني للقضية الفلسطينية

حوار الهدف

مع الرفيق حمّة الهمامي

الأمين العام لحزب العمال التونسي

أجرى الحوار: محمد أبو شريفة مدير تحرير مجلة الهدف

في الحوار مع الأمين العام لحزب العمال الشيوعي التونسي الرفيق حمة الهمامي ثمة ما هو جدير بالانتباه على مستوى التحولات السياسية في تونس وعموم المنطقة، وبالأخص تفكيك سردية العدو، نقف على فهم أوسع واشتغال عميق بتفكيك أنساق مضمرات الامبريالية وملحقاتها، وذهابا معرفيا لاستكشاف القوة الكامنة في الشعوب المقاومة والتي تضحي من أجل حريتها واستقلالها، حوار يتضمن رؤية جدلية لحقائق الصراع، قراءة واستشرافا بآن.

■ **أبرز طوفان الأقصى وحرب الإبادة طيلة هذه المدة أهمية خوض معركة الوعي، ما أهمية هذه المعركة بالنسبة لشعوب العالم وشعوب منطقتنا بوجه خاص؟ وما هي محاورها الأساسية وما هي وسائلها؟**

إن الأفكار هي التي تشكّل وعي النّاس وتحرّكهم في هذا الاتّجاه أو ذاك. فلتأكيد الهيمنة المادية على المجتمع وتثبيتها تعمل الطبقات الرّجعية وتحديدا البورجوازية الاحتكاريّة العالميّة اليوم على الهيمنة على العقول لتقنع الأغلبيّة بـ»صحّة مشروعها» و»سلامة ممارساتها» وتقديمها على ألّا «بديل لها»، لـ»تحقيق الرفاه والسّلم للمجتمع والإنسانيّة». وهي تستعمل، من أجل تحقيق هذه الهيمنة، كافّة وسائل الدّعاية من وسائل إعلام واتصال ومؤسسات سياسية وتعليمية وبحثية وثقافية ودينيّة وغيرها. كما أنّها تستعمل كافّة الأساليب الخبيثة، وفي مقدّمتها الكذب والتّلفيق والابتزاز، لحشو العقول بما تريد حشوه بهدف كسبها وحشدها لصالح سياساتها وممارساتها الرجعيّة والوحشيّة وهي تخصص لذلك ميزانيّات ضخمة ممّا مكّنها من تطوير تقنيات الاتصال والبثّ بدرجة غير مسبوقة لترويج بضاعتها الأيديولوجيّة والسّياسيّة وضمان التحكّم في أنماط التّفكير وتكييفها وفق تصوّر البورجوازيّة للفرد والمجتمع في عصرنا الحالي.

وقد أكّدت معركة طوفان الأقصى هذه الحقيقة حيث تجنّدت ماكينة الدعاية الإمبريالية الصهيونية الرجعية بكلّ ما لديها من تقنيات متطوّرة لتبرير حرب الإبادة التي تشنّها ضدّ غزّة والضفة والشعب الفلسطيني عامّة وتشريعها عبر تقديم الظالم على أنّه المظلوم والمحتلّ على أنّه صاحب الأرض والوحشية على أنّها الحضارة والفاشية على أنّها الديمقراطية والباطل على أنّه الحق والعكس بالعكس الخ...وقد كان لهذه الدعاية مفعولها في الرّأي العام الغربي خاصّة الذي وقفت قطاعات واسعة منه، بناء على السرديّة المقدمة إليه، إلى جانب المجازر التي ارتكبها ويرتكبها الكيان النازي ضد الشعب الفلسطيني وكذلك إلى جانب دعم حكوماته المالية والحربية لهذا الكيان.

وما من شكّ في أن المقاومة كانت منذ البداية تدرك هذا الأمر فكان لها ذراعها الإعلاميّ والدّعائيّ الخاصّ. كما كان لها إعلاميون ينتصرون لها لم يتوانوا عن كشف الحقائق وإظهار الأباطيل سواء عبر وسائل الإعلام التقليدية أو عبر تقنيات الاتصال الجديدة التي تمكّن من مشاهدة المجازر على الهواء مباشرة. وقد ساهم ذلك تدريجيّا في إحداث تغيّرات ولو كانت نسبيّة في الرّأي العام العالمي والغربي خصوصا. إن جانبا كبيرا من الدعاية الصهيونيّة الإمبريالية الرجعية قد تعرّى وانكشف أمام العالم. ولكن ذلك غير كاف لأن معركة الوعي لا بد من مواصلتها وتعبئة كل الإمكانيات لكسبها مهما كان حجم إمكانيات الأعداء.

إنّ المحور الأساسي الذي ينبغي أن ينصبّ عليه الاهتمام في معركة الوعي هذه هو الطابع الوطني للقضية الفلسطينية، و إبراز أن المعركة القائمة هي معركة بين شعب محتل، شعب اغتصبت منه أرضه ويراد إبادته ومحقه وبين كيان استعماري، استيطاني، إحلالي، توسّعي مرتبط عضويا بالإمبريالية الغربية وعلى رأسها الامبريالية الأمريكية ومصالحها الهيمنية في المنطقة. في كلمة ينبغي أن ينصبّ على كشف طبيعة المشروع الصهيوني وتعريته. ولا بد في هذا الإطار من تعبئة كل الوسائل لشرح هذه المسألة من مؤسسات بحثية وفنون وآداب ومؤسسات إعلامية وأحزاب ومنظمات مجتمع مدني ونقابات وغيرها. ومن المهم في هذا المجال خلق الأطر التنسيقية واستثمار العلاقات بالحركات التّقدميّة والثّوريّة في العالم، وهو جانب يشكو من ضعف كبير اليوم.

■ طيلة حرب الإبادة يمكن القول إن التضامن الشعبي على مستوى منطقتنا ظل متواضعا إذا

استغل قيس سعيّد نقمة قطاعات واسعة من الشعب على الحكومات المتعاقبة على السلطة منذ الثورة لتصفية المكتسبات الديمقراطية وإرساء حكم فردي مطلق

ما استثنينا قلة من البلدان ما هو تقييمك لهذا التضامن بشكل عام وفي تونس خاصة؟ ما أسباب ذلك؟

فعلا، لقد ظلّ التضامن الشعبي في منطقتنا مع المقاومة ومع الشعب الفلسطيني عامة ضعيفا. فباستثناء بعض البلدان (اليمن، المغرب، الأردن وبشكل أقل تونس) لم نر تحركات ذات أهميّة في باقي البلدان العربية بدءا من الجزائر ومصر ولبنان وصولا إلى بلدان الخليج، وفي رأيي فإن الأسباب واضحة.

إن الحركة الاجتماعية والشعبية في الأقطار العربية تمرّ بحالة تراجع أو جزر فظيعة لم تمكنها من القيام بدورها في هذه اللحظة. فقد شهدت منطقتنا موجة من الثورات والانتفاضات والحراكات من المحيط إلى الخليج ما بين 2010-2011، لكن الرجعية المدعومة من قوى إقليمية ودولية إمبريالية تمكنت من إجهاضها وفي بعض الأحيان تحويلها إلى حروب أهلية وإقليمية مدمرة. ثم جاءت موجة ثورية ثانية في سنة 2017 طالت عديد الأقطار من الجزائر إلى لبنان والعراق والسودان وغيرها. ولكن هذه الموجة الجديدة تمّ إخمادها أو تحويلها إلى حرب أهلية جديدة كما هو الحال في السودان الآن وتعززت نتيجة ذلك غطرسة القوى الرجعية في المنطقة.

لقد تراجعت القوى الثورية والتقدمية كما تراجعت النقابات ومنظمات المجتمع المدني والحركات النسائية والشبابية والثقافيّة التي اعتادت في السابق تعبئة الجماهير إلى جانب القضية الفلسطينية حتى في الظروف الصعبة. إن الشعوب التي لا تقدر على الدفاع عن أبسط حقوقها المادية والمعنوية لا تقدر على مساندة الشعب الفلسطيني بالدرجة المطلوبة لأنها هي في حدّ ذاتها في حالة كبيرة من العجز والإحباط، ومن واجب القوى الثورية والتقدمية في هذه الحالة خوض معركة الوعي والتنظيم للخروج بشعوبنا من حالة الجزر هذه.

وهذه المهمة طرحت علينا ومازالت تطرح في تونس. لقد ثار شعبنا ضدّ الدكتاتورية وأسقطها تحت شعار: «شغل، حرية، كرامة وطنيّة»، وتمكّن بعد أن أفتك حريته من تدشين مرحلة جديدة كان يأمل أن يحقق فيها مطامحه. لكن القوى السياسية، الدينية والليبرالية، التي تعاقبت على الحكم منذ الثورة أدارت ظهرها لمطالب الشعب وحصرت التغيير في مستوى سياسي وتحديدا في مستوى شكل النظام. إذ انتقلت بلادنا من نظام دكتاتوري إلى نظام ديمقراطي ليبرالي دون مساس بالقاعدة الطبقية للدكتاتورية بل إن البورجوازية العميلة التي شكلت تلك القاعدة تمكنت من التكيف مع الوضع الجديد ووضعت يدها على المكاسب الديمقراطيّة وربطت مع منظومة الحكم الجديدة لتؤمّن استمرار نفس الاختيارات الاقتصادية والاجتماعية الرجعية التي ثار ضدها الشعب التونسي. وهو ما فاقم الأزمة الاقتصادية والاجتماعية وعمق الفساد وعفّن الأوضاع الشيء الذي خلق ظرفا مناسبا لتنامي تيار شعبوي، فاشي لا يختلف في طبيعته عن التيارات الشعبوية الرجعية الفاشية التي نشهدها اليوم في العالم.

لقد استغل قيس سعيّد نقمة قطاعات واسعة من الشعب على الحكومات المتعاقبة على السلطة منذ الثورة لتصفية المكتسبات الديمقراطية وإرساء حكم فردي مطلق وشن حملة قمعية تستهدف الأحزاب والمنظمات والجمعيات والإعلام والفعاليات الشبابية والثقافية في نفس الوقت الذي تعمّقت فيه البطالة والفقر والبؤس وغلاء المعيشة والتبعية للخارج الخ... هذا الوضع كان وما يزال له تأثيره في حالة الحركة السياسية والنقابية والمدنية وكذلك في حالة الحركة الاجتماعية والشعبية التي تراجعت رغم أنّها لم تخفت تماما وهو ما يفسّر ضعف التضامن الشعبي هذه المرة مع القضية الفلسطينية. ولكن ينبغي القول إنّ الحركة تعيش بدايات إعادة بناء مع افتضاح منظومة الحكم واتساع رقعة معارضتها. وقد شمل هذا الافتضاح موقف سلطة الانقلاب من موضوع التّطبيع فبعد أن روّج قيس سعيّد في حملته الانتخابية أن التطبيع خيانة عظمى أوقف عملية التصويت في برلمانه على مشروع قانون لتجريم التطبيع معتبرا أنّ التصويت عليه يعدّ «مؤامرة ضد الأمن الخارجي للبلاد». وقد اتضح، حسب وسائل الإعلام، أن وقف عملية التصويت جاءت إثر تدخّل مباشر من السفير الأمريكي. يضاف إلى ذلك أنّ مظاهر التطبيع لم تتوقف حتّى اليوم.

■ يروّج البعض أنّ حرب غزة حرب دينية، كيف تقرأ ذلك؟

هذه مغالطة كبرى تهدف إلى تشويه طبيعة القضية، ومن واجب القوى الثورية والتقدّمية التصدّي لذلك. إنّ الحرب الدائرة في غزّة ليست حربا دينيّة بين مسلمين من جهة ويهود من جهة أخرى وإنما هي حرب بين شعب فلسطيني بمختلف فئاته الاجتماعية وانتماءاته العقائديّة، يكافح من أجل تحرير أرضه المغتصبة من قبل كيان استعماري استيطاني يمثل رأس حربة الاحتكارات الرّأسمالية الامبريالية الغربية في المنطقة. ما من شكّ في أنّه توجد في حركة التحرير الوطني الفلسطيني فصائل لها خلفية إسلامية مثل حماس والجهاد الإسلامي وهي تقوم بدور متقدّم وأساسي في المقاومة إلى جانب قوى أخرى يسارية وتقدّميّة. وهذا طبيعي في حركة تحرّر وطني تشمل غالبية فئات المجتمع الفلسطيني بمختلف قطاعاته عدا القلّة القليلة من الخونة والمتواطئين. إن هذه الفصائل تناضل بخلفيّتها الأيديولوجيّة الدّينيّة من أجل تحرير الأرض ودحر الاحتلال وهذا هو الذي يحدد موقعها في المعركة. فحين يتعلق الأمر بمقاومة ا لا ستعما ر فإن المحدّد في

الحركة الاجتماعية والشعبية التونسية تعيش بدايات إعادة بناء مع افتضاح منظومة الحكم واتساع رقعة معارضتها

موقع كلّ طرف سياسي واجتماعي موقفه من المستعمر، من التناقض الرّئيسي مع المحتلّ. زد على ذلك فإنّ الموقع الذي تحتله القدس في المعركة والذي تتبنّاه كل فصائل المقاومة ليس له طابع ديني مجرّد وإنّما له خلفية وطنية لأن الكيان الصهيوني لا يستهدف الأرض فقط وإنما يستهدف أيضا الأماكن المقدسة للشعب الفلسطيني والمسلمين كما أنّه يستهدف الثقافة واللغة والتراث والعادات والتقاليد بل كل ما له صلة بهوية الشعب الفلسطيني بهدف محقه، وفي هذا السياق فهو لا يستهدف كل ما هو إسلامي وإنما كل ما هو مسيحي أيضا. وبالتالي فإن أصوات رجال الدين الفلسطينيين المسيحيين التي تدين الاحتلال هي جزء من الحركة الوطنيّة الفلسطينية، وما يفعله الكيان الصهيوني من تدمير للمعالم الدينية والتراثية ليس بالأمر الجديد فهو لازمة من لوازم الاستعمار وخاصة الاستيطاني الإحلالي منه الذي يعمل على محق كل ما له صلة بأصحاب الأرض الأصليين بما فيها مقدّساتهم.

إن استعمال اليهودية من طرف الصهاينة لا يغير من طبيعة الحرب الدائرة. فاليهودية توظف هنا كمرتكز للإيديولوجية الصهيونيّة لتبرير مشروعها الاستيطاني الإحلالي و توظّف الديانة اليهودية للإيهام بوجود شعب يهودي وأمة يهودية أرضهما فلسطين بناء على سرديات مزورة تستعمل غطاء لحرب الإبادة (العودة إلى أرض الميعاد) من جهة ولمحاولة خلق رابطة بين المستوطنين القادمين إلى فلسطين من أقطار عدة وشعوب عدة وقوميات وأجناس عدّة من جهة أخرى. إن عنصر الدين لا يكفي وحده لتكوين شعب أو أمة، إن الشعوب الكثيرة التي تنتمي إلى المسيحية لا تكون شعبا واحدا، وكذلك الأمر بالنسبة إلى الأمم.

ومن حسن الحظ أن مجريات الواقع ما انفكت تؤكد الطابع السياسي الطبقي لحرب غزة وللقضية الفلسطينية عامة. ففي العالم وخاصة في الولايات المتحدة خرج يهود كثر ليتباينوا مع الصهيونية ويقفوا ضد حرب الإبادة ويسندوا الشعب الفلسطيني في نضاله الوطني. وفي المنطقة توجد أنظمة تدعي أنها تمثل الإسلام لكن هذه الأنظمة وقفت عمليا مع الكيان الصهيوني والإمبريالية الأمريكية لأن مصلحتها معهما وليس مع المقاومة. وهو ما يؤكّد أن الحرب في غزة ليست حربا دينيّة وإنما هي حرب تقابل بين شعب فلسطيني متمسّك بأرضه ووطنه وبين كيان غاصب، نازي خلقه الاستعمار في قلب المنطقة ليكون رأس حربته في الهيمنة عليها.

ألم يصرّح رئيس حكومة بريطانيا سنة 1907 في «مؤتمر الجبهة الاستعماريّة»: «إن الخطر الذي يهدد الاستعمار يكمن في البحر الأبيض المتوسّط. ففي هذه المنطقة يقيم شعب واحد وهو الشعب العربي الذي يتميز بكل مقومات الوحدة (اللغة والدين والثقافة) وإذا اتحد سيمثل خطرا علينا في هذه المنطقة الاستراتيجية لذلك على القوى الاستعمارية العمل على تفكيكه وإقامة كائن غريب داخله يمكن استعماله لتحقيق أهدافها». هذا هو الأساس الاستعماري، الامبريالي، الرّأسمالي الذي انبنى عليه الكيان الصهيوني والذي ظلّ يؤكّده أقطاب الإمبريالية الغربيّة على

الدّوام («لو لم تكن هناك إسرائيل لكان على أمريكا خلقها لحماية مصالحها» قالها جو بايدن سنة 1986 وكرّرها أثناء رئاسته سنة 2022 حين صرّح: «لو لم تكن هناك إسرائيل لكنّا أوجدناها»). وما تبقّى فهو تركيبات دينيّة وتاريخيّة وثقافية زائفة لتمرير هذا الكيان وتشريعه.

■ ما هي توقعاتك للمشهد السياسي القادم في المنطقة بعد زيارة الرئيس الأمريكي دونالد ترامب ؟

انتهت زيارة ترامب للمنطقة العربية والإقليم. فعمّ أسفرت؟ لقد عاد «التاجر والمرابي» إلى الولايات المتحدة الأمريكية بثلاثة تريليونات ومئتي مليون دولار من السعودية وقطر والإمارات عدا الهدايا الشخصية. فماذا يعني ذلك؟ إنّه يعني أنّه جاء لنهب أموال بعض العائلات المالكة ، التي تدين ببقائها في الحكم للولايات المتحدة الأمريكية، ولذلك فهي تدفع لها الأتاوات لضمان بقائها. في نفس الوقت تواصلت حرب الإبادة في غزة والضفّة الغربيّة بدعم مباشر من إدارة ترامب، وبالطّبع لم تكن هذه الحرب محورا من محاور اللقاء مع «الضّيف المبجّل» أوّلا لأنّ «مستضيفيه» يخشون إثارة غضبه وثانيا لأنّ القضية الفلسطينيّة لا تعنيهم بل إنّ مصلحتهم، وهو ما فضحه «طوفان الأقصى» على مدى 19 شهرا، في إنهاء المقاومة وقبر القضيّة لتشديد القبضة على شعوبهم والمضي قدما في التطبيع مع الكيان الغاصب تحت المظلة الأمريكية الواحدة التي تتولّى إدارة «المزرعة» طبقا لمصالحها الهيمنية الكبرى. في المحصلة جاء ترامب إلى المنطقة للنّهب وتعزيز حضور الولايات المتحدة في وجه روسيا والصين وحليفهما الإيراني. إن الإمبريالية الأمريكية كانت وما تزال العدوّ اللّدود والرئيسي لشعوب المنطقة.

إن مزيّة «طوفان الأقصى» أنّه عمّق الفرز في الساحة العربية والإسلاميّة ولم يترك أيّ مجال للتلاعب بالقضية الفلسطينيّة وتوظيفها ديماغوجيّا من قبل هذا النظام أو ذاك من الأنظمة العربية بل ومن أنظمة الإقليم. وهذا الفرز شمل الساحة الفلسطينية نفسها أيضا إذ نزع طوفان الأقصى ما تبقّى من ورقة التوت عن عباس وسلطته وأظهرهما على حقيقتيهما أي مجرّد أدوات بيد المحتل وأربابه في واشنطن والغرب، وقد تجاوز الفرز المنطقة حقيقة مواقف جميع الأطراف الدولية. فماذا فعلت الصين مثلا بالنظر إلى حجمها للمقاومة الفلسطينيّة والشعب الفلسطيني عدا التصريحات التي لا تغني ولا تسمن من جوع؟ هل أوقفت تعاملها المالي والتجاري والتكنولوجي مع الكيان علما أنها تمثل أكبر مصدّر له للسّلع منذ 2020 كما أن استثماراتها فيه تبلغ 19 مليار دولار وقد ذهب بعضه لميناء حيفا وبعضها الآخر للقطار الخفيف في

الحركة الاجتماعية والشعبية التونسية تعيش بدايات إعادة بناء مع افتضاح منظومة الحكم واتساع رقعة معارضتها

«الخط الأحمر» الذي سيشقّ طريقه إلى مستوطنات السهل الساحلي الفلسطيني؟ هل أوقفت تزويده بالسّلع خلال حرب الإبادة هذه التي استعمل فيها الكيان التجويع سلاحا ضدّ أهالي غزّة؟ هل قامت حتى بحركة رمزية مثل استدعاء سفيرها لدى الكيان؟ بالطبع لا فالصّين لا تنظر إلى الوضع في المنطقة إلّا من زاوية مصالحها القومية كدولة احتكاريّة، امبرياليّة، عظمى ناشئة تبحث عبر مشروع «الطريق والحزام» عن استعادة مجدها الإمبراطوري القديم عبر إعادة اقتسام مناطق النفوذ في العالم. وروسيا ماذا فعلت أيضا عدا استغلالها للوضع لتخفيف الضغط عليها في حربها في أوكرانيا؟ هل ضغطت على الكيان أو أوقفت التعامل معه أو قطعت علاقاتها به؟ بالطبع لا فهي منقادة أوّلا وأخيرا بمصالحها القومية البورجوازيّة.

إن الدّرس الأكبر الذي ينبغي للشعوب العربية استخلاصه من «طوفان الأقصى» هو ألّا خلاص لها إلّا بالتعويل على نفسها أوّلا وتعبئة صفوفها وتنظيمها لكنس أنظمتها العميلة المستبدة وكنس مصالح القوى الامبريالية المهيمنة عليها وفي مقدّمتها الولايات المتحدة والتكتل مع الشعب الفلسطيني لكنس الكيان الغاصب الذي يمثل رأس حربة تلك القوى. ولئن كانت مطالبة بالتركيز أولا على هذه المهمة فهي مطالبة بالانتباه إلى صراع القوى الكبرى في المنطقة من أجل الهيمنة عليها حتى لا تقع ضحية الأوهام ويُغدر بها وتستبدل استعمارا باستعمار. وما من شكّ في أن مهمة التحرير شاقة وهي تطرح في موازين قوى صعبة وفي غير صالح الشعب الفلسطيني وشعوب المنطقة لكن لا مفرّ من تحمل المسؤولية فالشعوب لا تختار الظروف التي تناضل فيها وإنما تفرض عليها ومن واجبها أن تُجِيدَ التعاطي معها. وفي هذا السياق فإن المهمّة التي تطرح اليوم على القوى الوطنية المعادية للإمبريالية والصهيونية والرّجعية هي التفكير بجدية في تكتيل صفوفها على قاعدة برنامج يستجيب لمهمات المرحلة.

■ هناك مخطط تهجير واقتلاع تعد له سلطات الاحتلال الإسرائيلي لاجتثاث كل فلسطيني في غزة ما هو استعداد الجهات الرسمية والمؤسسات العربية والدولية لمثل هذا المخطط؟

إن مخطط تهجير أهالي غزة وربما الضفة واقتلاعهم من أرضهم موجود وواضح وعبّر عنه قادة الكيان كما عبّر عنه فاشيو الإدارة الأمريكية الجديدة وعلى رأسهم دونالد ترامب. التهجير هو من البداية جزء لا يتجزّأ من المشروع الصهيوني الامبريالي، مورس منذ اليوم الأوّل واستمرّ على مدى عقود. وفي اعتقادي من الوهم التعويل على «الجهات الرسمية والمؤسسات العربية والدولية» لمواجهة هذا المخطط.

إن هذه الأطراف التي لم تتحرك لمدة 19 شهرا لوضع حدّ لحرب الإبادة، لا ينبغي الاعتقاد أنّها ستتحرك اليوم لإيقاف ذلك المخطّط. إن المجازر

الأخيرة في غزّة بيّنت أنّها قد تحرج بعض الحكومات الغربية التي كان بعضها يدعم بشكل مباشر الكيان في حربه لكنّها لا تحرج أنظمة العمالة والخيانة العربية والإسلامية التي تنتظر متى ينهي الكيان وراعيه الأمريكي بؤر المقاومة في المنطقة سواء في فلسطين أو في اليمن الأبي أو في لبنان. إن المقاومة أساسا هي التي ستتصدّى لهذا المخطط وستفشله والواجب كل الواجب أن تتحرك قوى الإسناد في المنطقة والعالم لدعم مقاومة الشعب الفلسطيني وتكثيف الضّغط على الدول الداعمة للكيان كي تكف عن دعمه بالسلاح والمال وعن توفير الغطاء السياسي له.

إن الضغط الذي مورس طوال المدة الفارطة نتيجة الاحتجاجات في البلدان الغربية وحملات الفضح والتوعية التي قامت بها القوى التقدمية مضافا إليها إمعان العدو الصهيوني في مجازره بشكل فج وغير مسبوق تم نقله للمشاهد مباشرة هو الذي يدفع اليوم ببعض الحكومات إلى التذمر من الناتن يهو وتهديده بالعقوبات. ومن شأن تواصل حركة التضامن في العالم أن تحرج أكثر العديد من الحكومات خاصة في ظل الخلافات التي ولّدها مجيء ترامب إلى البيت الأبيض.

■ البعض يقول مستنكرا ماذا حقق صمود أهل غزة لعموم الفلسطينيين والعرب سوى الدمار ووقوع مئات الآلاف من الجرحى والشهداء والمهجرين؟ برأيكم هل نحن أمام استحقاق إمكانية زوال المحتل وتحرير فلسطين أم أن التحرير أصبح صعب المنال ارتباطا بالأقوال آنفة الذكر؟

هذه المواقف الإنهزامية ليست جديدة بل إنّها رافقت كل الحركات الثورية والتحرّرية وهي عامّة ما تشتغل عليها القوى المعادية للثورة داخل المجتمع إضافة إلى العنصر البورجوازي الصّغير المتذبذب وضيّق الأفق كما يشتغل عليها العدوّ. وتهدف هذه المواقف إلى زرع الإحباط والتشكيك في قدرة الشعوب وقواها الحيّة على المقاومة والانتصار وحملها على الإستكانة وقبول الواقع المرّ، وفي قضية الحال فإن الهدف من تلك المواقف لا يعني غير الرضوخ للاحتلال وشروطه بذريعة أنّه «قويّ» وبأنّ «موازين القوى لصالحه» وأنّه « مدعوم من القوى العظمى وأنّ محاربته تعني محاربة هذه القوى ممّا يجعل الانتصار عليه مستحيلا» إلى غير ذلك من «التخاريف» السّخيفة التي يستند إليها للدعوة إلى التعويل على الأساليب «السلمية» و«التفاوضية» وعلى «الشرعية الدولية» والقبول بـ«الفُتات الممكن» تحت غطاء أنّ «السياسة فنّ الممكن»، كلّ ذلك في تغييب كامل لعنصر الإرادة ولدور العامل الذّاتي في تحريك

القوى اليسارية الثورية التونسيّة تعمل اليوم على النّهوض من جديد وهي تتعلّم من تجاربها كي تكون قادرة على وضع حدّ لمنظومة الاستبداد

موازين القوى وحلحلتها وتغييرها عبر مراكمة القوى. ومن المعلوم أنّ تجارب الشعوب والثورات وحركات التحرر الوطني بيّنت خور هذه «التخريفات» وعدم جدواها بل إنّ تاريخ الشعب الفلسطيني ذاته بيّن أنّها تشجّع الاحتلال على المضيّ قدما في ارتكاب جرائمه وفي تحقيق أهدافه، وأكبر شاهد على ذلك اتفاقية أوسلو والنهج الذي يسلكه محمود عبّاس منذ أكثر من عقدين من وجوده في رام اللّه تنفيذا لتلك الاتفاقية التي مكّنت العدو الصهيوني من تحقيق ما لم يحققه بالحرب من توسّع مستمر في الضفّة وحماية للمستوطنات برعاية أمن «السلطة». وبالمقابل فقد بيّن ذلك التاريخ أنّ ما من مكسب حقّقه الفلسطينيون إلّا وكان نتيجة صمودهم ومقاومتهم.

إن المقاومة تقتضي تضحيات كبيرة خاصة في حالة الاستعمار الإستيطاني الإحلالي المرتبط عضويا بالمشروع الإمبريالي الأمريكي الغربي في المنطقة الذي يجعل من المواجهة مع الكيان مواجهة مع «أولياء أمره»، زد على ذلك اختلال موازين القوى الكبير في اللحظة الراهنة لصالح أعداء الشعب الفلسطيني كيانا صهيونيّا وقوى إمبريالية ورجعية عربية وإسلاميّة وهذا معطى موضوعي لا يمكن القفز عليه بل ينبغي مراعاته في التقييم. وبالتالي لا بدّ من النظر إلى طوفان الأقصى في هذا الإطار الملموس وليس بشكل مطلق للوقوف عند ما أحدثه من تغييرات في المعادلة القائمة حتى لو كانت هذه التغييرات جزئيّة. ومن الخطأ كلّ الخطأ حصر النظر إلى طوفان الأقصى فيما أحدثه المحتل من دمار وخراب وارتكبه من مجازر على حساب المدنيين والنساء والأطفال فذلك من طبيعة العدو النازي من جهة ولا يمكن إدراجه في خانة «المكاسب» و«النجاحات» من جهة ثانية. إن زاوية النظر ينبغي أن تكون سياسية عسكرية ملموسة، وبناء على ذلك فإنّ طوفان الأقصى زعزع الكيان وألحق به هزائم معنوية وعسكرية استراتيجية، وليس أدل على ذلك من عجزه عن تحقيق أهدافه المعلنة بعد 19 شهرا من إطلاق حربه الإبادية ضد غزّة التي استعمل فيها كل الأساليب الوحشية التي يمكن أن يتصورها أو لا يتصورها العقل ومع ذلك فإنّ المقاومة لم يقض عليها بل مازالت صامدة وقادرة على إيلام العدو وهي تكتسب خبرة أكثر فأكثر في كافة المستويات باعتراف جنرالات الكيان ذاته. ومازال أهل غزة المراد تهجيرهم قسرا متمسكين بأرضهم. في حرب جوان (حزيران) عام 1967 هزم الكيان جيوش ستّة أقطار عربية مدججة بالسلاح وفرض عليها الاستسلام واحتل أجزاء هامة من أراضيها. صحيح أن المقاومة خسرت الكثير من قادتها ومن عتادها. كما أن أهالي غزة فقدوا عشرات الآلاف من أبنائهم وبناتهم كما فقدوا بيوتهم ومستشفياتهم وهم عرضة للتجويع الممنهج والحرمان من الماء والدواء والكهرباء لإخضاعهم وكسر إرادتهم. لكنّ ذلك كلّه لم يثنهم عن مواصلة المقاومة والصمود، وفوق ذلك كلّه منذ متى كان للاستعمار أساليب أخرى غير هذه الأساليب الوحشية التي أنتجتها الرّأسماليّة المجرمة؟ وهل أنّ الشعب

الفلسطيني هو أوّل من يتعرّض لمثل هذه الأساليب؟ لنتذكر الجزائر وفيتنام وغيرهما من البلدان. الجزائر دفعت ثمن استقلالها مليون ونصف المليون شهيد، وفيتنام 4 ملايين شهيد أي ما يعادل ثمن سكّان البلاد.

التحرر سيرورة فيها تراكم، تتخلله انتصارات كما تتخلله هزائم وانتصارات وهكذا دواليك حتى تحقيق النّصر التام والحاسم.

إن تحرير فلسطين يتطلّب في كل الحالات ومن باب أولى وأحرى حين تكون موازين القوى مختلة بالكامل لصالح العدو تضحيات كبيرة، وهذه التضحيات ينبغي وضعها في الحسبان ولا ينبغي أن تكون ذريعة للتخلي عن النضال والمقاومة. فما هو المطلوب من غزّة المحاصرة برا وجوا وبحرا منذ 16 سنة غير المقاومة؟ وما هو المطلوب من الشعب الفلسطيني الذي تقضم أرضه قطعة قطعة في إطار اتفاقية أوسلو المهينة وهو يشرّد ويقتل ويعتقل أبناؤه وبناته بالآلاف منذ 70 سنة غير المقاومة وتقديم التضحيات؟ هل كان عليه أن ينتظر حتى يمسح وطنه من الخريطة ويهوّد بالكامل؟ ما ينساه أو يتناساه الإنهزاميون وقصيرو النظر أنّه حتّى إن لم يتم «طوفان الأقصى» كان سيحصل نفس الشيء وفقا لما كشفته أوساط صهيونيّة. فالناتن ياهو ووزراؤه من اليمين المتطرّف كانوا بصدد إعداد هجوم على غزّة من بين أهدافه احتواء الأزمة الداخلية في الكيان علاوة على تدمير مقدرات المقاومة وقطع خطوة أخرى نحو تحقيق «حلم إسرائيل الكبرى» الذي يبدأ بإفراغ فلسطين من الفلسطينيين قبل المرور إلى أقطار أخرى في المنطقة.

وبالإضافة إلى ذلك فإن الحرب ليست من مصلحة الكيان فقط بل من مصلحة الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها الغربيين الذين يخشون تطور مصالح الصين وروسيا الرأسمالية الاحتكاريّة في المنطقة وتعزّز قوة إيران وحلفائها في بؤر المقاومة. كما أن الحرب من مصلحة أنظمة العمالة والخيانة العربية والإسلاميّة التي كانت تستعد قبل طوفان الأقصى لتدشين صفحة جديدة من صفحات التطبيع المظلمة في إطار «صفقة القرن» و«الاتفاق الإبراهيمي».

لقد كان من مصلحتهم جميعا شنّ الحرب لكسر المقاومة في فلسطين وتحييد حزب الله في لبنان والتصدّي للتّمدّد الروسي (العسكري أساسا) والصّيني (التجاري والمالي أساسا) في المنطقة وتحقيق مشروع «الشرق الأوسط الجديد» القائم على تفتيت شعوب المنطقة على أسس دينية وطائفية وعرقية وإدخالها في أتون حروب أهلية لا تنتهي.

وفي المحصلة فإن طوفان الأقصى حلقة في غاية الأهمية من حلقات نضال الشّعب الفلسطيني من أجل تحرّره. فبالإضافة إلى صمود المقاومة والأهالي في غزة (والضفّة) رغم الخسائر البشرية والدمار المادّي فإن طوفان الأقصى أعاد القضية الفلسطينية إلى صدارة الاهتمام باعتبارها قضيّة تحرّر وطني بعد أن كادت أن تقبر، وساهم بشكل واضح في فضح طبيعة الكيان النّازيّ وتعرية وجهه القبيح أمام شعوب العالم التي خرجت إلى الشّوارع للتضامن مع الشعب الفلسطيني في هبّة مناهضة للإمبريالية تذكّرنا بما حصل مع فيتنام في ستينيات القرن الماضي. ورغم أن وضع المقاومة الفلسطينية صعب للغاية اليوم بعد الذي حدث في لبنان وسورية خاصّة وبعد تراجع حركة التضامن العالمي فإنّنا واثقون بأنّها ستصمد وأنّها ستراكم على ما كسبته وتعلّمته من «طوفان الأقصى» فالشعوب لا تتعلّم من انتصاراتها فقط بل إنها تتعلم أحيانا من هزائمها أكثر مما تتعلم من انتصاراتها. وما طوفان الأقصى ذاته إلا امتداد وتطوير لكل المعارك السابقة لتي خاضها الشعب الفلسطيني وسيكون إيذانا بمعارك أخرى مستقبلية أقوى وأنجع. وإذا كان لنا من رأي نريد التعبير عنه في هذا السياق فهو يتمثل في جملة من الملاحظات أوّلها أنّه بات من الملح أن تنتهي مرحلة «الفصائل» في فلسطين لبناء جبهة وطنية جامعة على أساس أرضية برنامج تحرر وطني وثانيها التوجه نحو تكوين جيش تحرير وطني جامع وثالثها وضع خطة تكتيكية تراعي خصائص الواقع الفلسطيني المعقّد يكون فيه لكلّ «قطاع» (غزة، الضفّة، القدس، الداخل المحتل سنة 1948، الشتات) الدور المناسب في إطار تيّار تحرّري جامع. أمّا القوى الثورية والتقدمية والمعادية للإمبريالية في الأقطار العربية والمنطقة فهي مدعوة إلى العمل الجاد والحثيث من أجل إسناد المقاومة الفلسطينية ووقف حرب الإبادة فورا مع ما يقتضيه ذلك من تنسيق، على أن تجعل من مهمّة التحرّر من الصهيونيّة والإمبريالية مهمّة شعوب المنطقة بأسرها لأنّ هذه الشعوب تواجه عدوّا مشتركا يمثّل أكبر خطر على مصالحها وأمنها حاضرا ومستقبلا.

> **الأطراف التي لم تتحرك لمدة 19 شهرا لوضع حدّ لحرب الإبادة، لا ينبغي الاعتقاد أنّها ستتحرك اليوم لإيقاف ذلك المخطّط**

■ يعيش العالم أزمات اقتصادية بسبب توحش الرأسمالية وتهديد مستقبل الشعوب، خاصة بعد أن أقر الرئيس الأميركي رفع التعرفة الجمركية، كيف يمكن لقوى اليسار العربي والأممي أن تقوم بدورها في مواجهة السياسات الإمبريالية؟

علينا أن ندرك أنّ عالمنا اليوم بما فيه منطقتنا قد دخلت طورا جديدا من الصراعات الحبلى بالمخاطر و أدّت كل أزمات النظام الرأسمالي العالمي الكبرى إلى تغيرات في العالم. إن الدول الإمبريالية تعمل جاهدة في كل مرة على حل أزمتها على حساب الطبقة العاملة والشعوب التي تجد نفسها عرضة للقمع والتفقير من جهة وعلى حساب بعضها البعض من جهة أخرى، وما الحرب التجارية الضروس التي أطلقها ترامب ضدّ منافسي الولايات المتحدة الآخرين سواء كانوا من حلفائها التقليديين (أوروبا، كندا...) أو من القوى

الرأسمالية الاحتكارية الأخرى الصّاعد منها مثل الصّين أو العائد من بعيد مثل روسيا، بالتزامن مع تصعيد وتيرة التسلّح في كافة هذه الأقطاب المتصارعة إلّا إيذانا بمواجهات لا هدف منها سوى قلب موازين القوى صلب العلاقات الدولية. وتجدر الملاحظة في هذا السياق إلى أن ما يميز اللّحظة الراهنة، ليس الخروج من/ أو القطع مع/ طور النيوليبرالية المتوحشة التي دشنتها الولايات المتحدة الأمريكية وانجلترا في النصف الثاني من سبعينيات القرن الماضي واستمرت حتى بعد سقوط الإتحاد السوفياتي في ظل سيادة العولمة الرأسمالية وإنما الاستمرار في نفس النهج مع إعادة صياغة هذه العولمة وفق مصالح كل طرف من الأطراف التي تعمل على أن تكون هي المستفيد الأول من الوضع. فإذا كانت العولمة في صيغتها السابقة تخضع على العموم لقواعد يطرح على مختلف القوى المتصارعة احترامها بشكل أو بآخر لتنظيم تنافسها في إطار منظمات دولية وإقليمية يساهم الجميع في دعمها فقد أصبح الوضع اليوم مختلفا. لقد دفع احتداد الأزمة إلى صعود قوى قومية شوفينية فاشيّة وعدوانية إلى الحكم في أهم المراكز الامبريالية الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة التي ظلّت لمدّة تهيمن على العالم دون منازع. إن هذه القوى لم تراجع أسس العولمة الرأسمالية وإنّما هي بصدد مراجعة الشروط التي تحكمها فالمصالح القومية الشوفينية تدفع بكل دولة من الدول وعلى رأسها الولايات المتحدة إلى أن تكون المستفيد الأول من هذه العولمة على حساب البقية ولا يضيرها في شيء التنصل من كل الإلتزامات والاتفاقات السابقة التجارية والمالية والعسكرية وغيرها من الإلتزامات في مجالات الصحة والبيئة الخ.... ومن البديهي أن يقود هذا السلوك إلى مزيد التوتر والإضطراب في الساحة الدولية بل في كافة مناطق العالم التي تمثل ميدانا لصراع أقطاب الرأسمالية الإحتكاريّة قديمها وحديثها. وفي هذا السياق فقد أصبحنا نستمع بوضوح إلى قادة الدول الرأسمالية في أوروبا يدعون إلى «التقليل من دولة الرعاية وبناء دولة الحرب» ولا يتردد بعضهم في الإدعاء بأن صناعة السلاح ستكون محركا للنمو وهو ما يذكرنا بما حصل مع النازية فيما بين الحربين الأولى والثانية في القرن العشرين. ويقدم البعض ذلك بعنوان «الكينزية العسكرية» بمعنى أن الإنفاق العسكري يمكن أن يساعد على الإنعاش الاقتصادي ومعالجة الأزمة (توفير الشغل، دفع الطلب...). كما أصبحنا نستمع إلى تصريحات من مسؤولين روس يتحدثون فيها بكل بساطة عن إمكانية استعمال السلاح النووي. ومن الجهة الأخرى ما تنفكّ الصّين تعلن من وقت إلى آخر عن صنع سلاح جديد تفوق فعّاليته سلاح «الآخرين» بحثا عن تسويقه.

لقد بلغ الإنفاق العسكري اليوم في العالم 2400 مليار دولار (تتصدّر القائمة الولايات المتحدة وتليها الصين عن بعد

> **ما من مكسب حقّقه الفلسطينيون إلّا وكان نتيجة صمودهم ومقاومتهم**

في المرتبة الثانية) وهو ما يعادل المنتوج الوطني لـ80 بالمائة من بلدان العالم. وبالإضافة إلى ذلك فإن مبلغ الـ800 مليار يورو التي قررتها دول الاتحاد الأوروبي أخيرا للرفع في مصاريفها العسكرية يمثل ما بين 20 و30 مرة ما تحتاجه أوروبا لتحقيق الانتقال الإيكولوجي.

إن المرحلة الجديدة التي يعيشها العالم هي مرحلة حبلى بالمخاطر على الطبقة العاملة والشعوب كما سبق أن ذكرنا فالعالم تحكمه أكثر فأكثر قوى قومية شوفينية فاشية تردّد شعارات ديماغوجية مضلّلة كتلك الشّعارات التي رُفعت قبل الحربين العالميّتين الأولى والثانيّة.

إنّ كل حكومة من الحكومات الرّأسمالية وخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية تعِدُ شعوبها بحماية مصالحها وتحقيق الرفاه وهي في الواقع تعدّ لاستعمالها حطبا في الصراعات القائمة التي يمكن أن تتحول إلى حرب كونية تهدد الوجود البشري. ولا غرو في أن مثيري الحروب يستعملون اليوم أدوات دعائية رهيبة لا مثيل لها في السابق ونعني التقنيات الرقمية بما فيها الذكاء الإصطناعي للسيطرة على العقول وتوجيهها نحو الأهداف الإجرامية التي يخططون لها. ولا يمكن بأي حال من الأحوال وقف السير الحثيث نحو الحروب إلا من قبل الطبقة العاملة والشعوب المحبة للسلام بكادحيها ونسائها وشبابها ومثقفيها ومبدعيها. إن القوى الفاشية والقومية الشوفينيّة الزاحفة على العالم تستغل سلبية العمال والشعوب وضعف القوى الثورية لتسير إلى الأمام نحو تحقيق أهدافها. ولكن ذلك لا يمنع من تأكيد أنه لا يمكن بأي حال من الأحوال الاستكانة إلى هذا الوضع وقبوله وترك مجرمي الحرب يتصرفون كما يشاؤون.

إن القوى الثورية والتقدمية في العالم وفي مقدمتها الأحزاب والتنظيمات اليساريّة الجذريّة ودعني أقول الماركسية اللينينية مطالبة ببذل أقصى الجهد للتصدي لهم عبر مختلف الواجهات السياسية والنقابية والثقافية والنسائية والشبابية. إن بعث جبهة عالمية معادية للإمبريالية والفاشية والحرب تطرح اليوم كمهمة عاجلة، ومن واجب الأحزاب اليساريّة وفي مقدّمتها الأحزاب الماركسية اللينينية ألّا تدّخر جهدا للتحرك في كل الاتجاهات من أجل المساهمة في إنجاز هذه المهمة.

وفي هذه الإطار ودرءا للمخاطر المحدقة بشعوب منطقتنا فإن الواجب يدعو إلى التحرّك بسرعة لتحويل شعار الجبهة العربية المعادية للإمبريالية والصهيونية والرجعية إلى مشروع للتنفيذ. وعلينا في هذا السياق إدراك أن أوضاع المقاومة صعبة وخطيرة للغاية سواء كانت في غزة أو في الضفة أو في لبنان مقارنة حتى باللحظة التي تمّ فيها الاتفاق مع المقاومة في غزة وفي لبنان وهو ما يقتضي التحرّك بسرعة حتى لا تتعمّق حالة الإنكسار التي تعيشها شعوبنا وعلينا بالتالي ألّا نتوقف عن مساعي التنسيق في المستوَيَيْن الأممي والعربي- الإقليمي من

أجل التصدي لحرب الإبادة التي يتعرض لها الشعب الفلسطيني والاعتداءات والتدخّلات الأجنبيّة التي تستهدف لبنان وسوريا واليمن وليبيا والسّودان.

إن إفشال مشروع تفتيت دول المنطقة ضمن إعادة صياغة مشروع سايكس- بيكو وفق معطيات الساعة لا مناص منه لوضع شعوبنا على سكّة التحرر الوطني والانعتاق الاجتماعي، وما من شك بأن الأوضاع مليئة بالصعوبات على الصعيدين العربي والعالمي ولكن هذه الصعوبات ينبغي أن تكون حافزا لبذل مجهود أكبر والتسلّح بإرادة ثورية لا تقهر.

■ ما تقييمك لتجربة الائتلاف السياسي اليساري التونسي المعارض الذي عرف باسم « الجبهة الشعبية» بتونس؟

ائتلاف «الجبهة الشعبيّة» هو من أهمّ التجارب السياسيّة في تونس، تأسست «الجبهة» في أكتوبر 2012 لتجميع قوى اليسار أحزابا وشخصيات مستقلّة لمواجهة مهامّ المرحلة التي تلت إسقاط الدكتاتورية وتجذير الثورة التونسيّة في مواجهة القوى الرجّعية، دينيّة وليبراليّة، التي هيمنت على السّاحة وسعت إلى إجهاض هذه الثورة وحصرها في مجرّد تغيير لشكل النظام السياسي من دكتاتورية إلى ديمقراطية بورجوازية ليبرالية دون المساس بالقاعدة الطبقية القديمة لهذا النظام.

لذلك سمّي الائتلاف «الجبهة الشعبيّة لاستكمال مهامّ الثورة»، وقد تعرّضت الجبهة مذ انطلاقها لحملات شيطنة من القوى الظلاميّة المسيطرة وقتها (حركة النهضة وحلفاؤها من تيارات «الإسلامي السياسي» المتطرّف أي «أنصار الشريعة»، حزب التّحرير...). وقد تحوّلت هذه الحملات إلى تهديدات جدّية بالتّصفية، وفي هذا السياق امتدّت يد الغدر الإرهابي لاغتيال رمزين أساسيّين من رموز «الجبهة» وهما الشّهيدان شكري بلعيد (الأمين العام لحزب الوطنيّين الديمقراطيّين الموحّد) الذي اغتيل يوم 6 فيفري 2013 والحاج محمّد البراهمي (الأمين العام للتيّار الشعبي، القومي النّاصري) الذي اغتيل يوم 25 جويلية 2013. يضاف إليهما الشهيدان محمد بلمفتي ومجدي العجلاني وهما من مناضلي الجبهة الشعبية في الداخل التونسي وقد استشهدا في مواجهات مع قوّات الأمن أثناء تحرّكات احتجاجيّة.

لقد تحوّلت الجبهة الشعبية إلى فاعل سياسي هامّ بل إلى القوة السياسيّة الثالثة في تونس بحصولها على 15 مقعدا في البرلمان وعلى المرتبة الثالثة في الانتخابات الرئاسية لسنة 2014. ولكنّ مشكل الجبهة التي دامت تجربتها 7 سنوات (وهي مدة هامة مقارنة بتجارب تاريخيّة أخرى فالجبهة الشعبية الفرنسية في ثلاثينيات القرن العشرين لم تعمّر أكثر من ثلاث سنوات) هو أنّها لم تكن تمتلك برنامجا واضحا وملموسا بل كانت أرضيّتها تصطبغ بالعمومية والضّبابيّة فلا الأفق كان واضحا ولا الخطّة كانت مبلورة بما فيه الكفاية ولا أدوات التنفيذ كانت جاهزة. لم تكن الجبهة جسما مهيكلا ومنظّما تنصهر فيه كافة القوى المؤسّسة وتعمل على توسيع تأثيره في كافّة أنحاء البلاد فقد ظلّت العقلية الحزبيّة الضيّقة مسيطرة.

وأخيرا كان نشاط الجبهة ضعيفا ثم كاد ينحصر شيئا فشيئا في نشاط كتلتها البرلمانيّة، زد على ذلك الضغط الدائم والمساعي التّخريبية من التحالف اليميني الحاكم وأدواته الإعلاميّة. هذه العوامل، خاصّة منها الذّاتي، لم تساعد الجبهة على التطوّر وعلى استثمار ما حصل من التفاف شعبي حولها على إثر الاغتيالات. زد على ذلك ما دبّ في صلبها من خلافات جوهريّة في فترة مبكّرة من تأسيسها بين نهج ثوري، وطني، ديمقراطي، تقدّمي كان ينادي بتجذير الجبهة في الطبقات والفئات الشّعبيّة على أساس برنامج مشترك يحقّق أهداف الثورة، وبين نهج إصلاحي، انتهازي كان همّه الوحيد دفع الجبهة الشعبيّة إلى المشاركة، من موقع متذيّل، في الحكم ضمن التحالف اليميني، «الإخواني- الليبرالي» الذي كان يكرّس خيارات اقتصادية اجتماعيّة نيوليبرالية متوحّشة ويدير الظّهر لمطالب الشعب كما كان يعرقل الإصلاحات السياسيّة الواردة في دستور 2014 والتي كان من شأنها توسيع دائرة المكاسب الديمقراطيّة للشعب.

هذه الخلافات بدأت تبرز منذ 2014 وتعمّقت سنة 2016 وخطأنا أنّها بقيت محصورة في مستوى قيادات الجبهة ولم يفتح حولها نقاش عام داخلها وحتّى داخل الفضاء العام وهو ما سمح للتيّار الانتهازي من الإمعان في تفتيت صفوف الجبهة، وحين جاءت انتخابات 2019 كانت الجبهة قد انقسمت وانتهت. وهو ما فسح المجال للشّعبوية اليمينيّة المتطرّفة من الصّعود إلى الحكم (في غياب بديل ثوري للتحالف الديني الليبرالي الفاسد والفاشل الذي أجهض كل محاولات تحقيق الحدّ الأدنى من مطالب الثورة) مستعملة بصورة ديماغوجيّة العديد من شعارات الجبهة (السيادة الوطنيّة، العدالة الاجتماعية، الديمقراطية الشعبيّة...) وتوظيفها في مشروع استبدادي يكاد اليوم يصفّي مكاسب الثورة الديمقراطية وهو يغرق البلاد في أزمة اقتصادية وماليّة واجتماعية خانقة يدفع العمال والكادحون والفقراء فاتورتها بطالةً (نسبة بطالة بـ16 بالمائة) وفقرًا وبؤسا (أكثر من ثلث السكان في خالة فقر مدقع) واتساعا لدائرة الأمية (17.2 بالمائة مقابل 1.9 بالمائة في غزّة المحتلّة) وتدميرا للخدمات العامة. وليس من الغريب أن نجد اليوم أولئك الذين زرعوا الانقسام في صفوف الجبهة خدمة لبعض أجنحة الرجّعيّة (الجناح الليبرالي خاصّة) في صفّ انقلاب 25 جويلية 2021 يدعمون تصفيته مكاسب الثورة الديمقراطيّة وتركيز حكم فردي مطلق ما انفك يشنّ الحملات القمعيّة التي طالت السياسيين من مختلف المشارب والإعلاميّين والنقابيّين والمحامين والقضاة والمشاركين في الحركات الإحتجاجيّة وينتهك حقوق النّساء ومكاسبهنّ إلخ...

إنّهم «الفاشيون الجدد» الذين نراهم يحرّضون مع خدم الدكتاتورية الآخرين على أحزاب المعارضة والمنظمات النقابيّة والحقوقيّة والثقافية مستعملين بشكل خاص الشبكة الاجتماعية وبعض

المنابر في وسائل الإعلام العموميّة التي أصبحت خاضعة بالكامل للسلطة ووسائل الإعلام الخاصّة المدجّنة.

ولكنّ الأعمال المشتركة والمساعي إلى بعث أطر لها لمواجهة الدكتاتورية الجديدة متواصلة رغم صعوبة الظّرف وخاصّة حالة الجزر التي تعيشها الحركة الاجتماعية والشعبيّة نتيجة عاملي الإحباط والخوف الذي عاد بقوة داخل المجتمع.

لقد كانت «الجبهة الشعبيّة» فرصة لتونس كي تنتقل إلى مرحلة جديدة في تاريخها تقطع فيها مع التبعية والاستبداد السياسي والاستغلال الاقتصادي والاجتماعي، لكنّ المهمّة كانت أكبر من حجم الجبهة التي كانت ضعيفة فكريا وسياسيّا وتنظيميّا مقابل أعداء وخصوم مدعومين إقليميا ودوليّا من دول وقوى ليس لها من هدف سوى إجهاض الثورة التونسيّة في المهد. لكنّ القوى اليسارية الثورية التونسيّة تعمل اليوم على النّهوض من جديد وهي تتعلّم من تجاربها كي تكون قادرة على وضع حدّ لمنظومة الاستبداد وقيادة المجتمع التونسي نحو مرحلة جديدة من تاريخه يتحقق فيها ذلك الشعار المركزي الذي التفّت حوله جماهير الشّعب في ثورة 2010-2011 وهو شعار: «شغل، حرّية، كرامة وطنيّة».

■ ماذا بشأن حمة الهمامي القارئ النهم .. هل ما زال الإنتاج الفكري يحظى بالوقت الكافي رغم ازدحام النشاطات والأولويات السياسية والاجتماعية لديكم ؟ وما هي آخر إصداراتكم؟

لا يمكن الاستغناء مطلقا عن القراءة ومتابعة الإنتاج الفكري والسياسي والاقتصادي والعلمي والأدبي في البلاد العربيّة والعالم...هذا أمر في غاية الأهميّة ليقدر المناضل على مواكبة المستجدات وفهم التطوّرات المختلفة وإدماجها في تحاليله لواقع الصراع الطبقي والوطني في الوطن العربي والإقليم والعالم. السياسة هي بمعنى ما علم العلوم...لا يمكنك بلورة وجهة نظر أو رؤية أو تحديد أهداف أو صياغة برنامج عمل يشمل كافّة مجالات الحياة دون معرفة واطّلاع على أهمّ المستجدّات والتطوّرات.

القراءة والمشاركة في النّشاط السّياسي والاجتماعي يولّدان الحاجة إلى الكتابة أيضا، وفي هذا السّياق فإنّني لم أتوقّف عن الكتابة خلال السنوات الأخيرة. وبالإضافة إلى الكتابة السياسيّة فإنّ مرض زوجتي المحامية والمناضلة الحقوقية راضية النّصراوي أعادني إلى الكتابة الأدبيّة شعرا ونثرا (الخاطرة) بعد انقطاع دام عقودا...من آخر ما نشرت: الشعبوية في تونس: ثالوث الاستبداد والتّفقير والتّبعيّة (2022)، الفاشية الزّاحفة (2024)، إلى راضية (نصوص 20121)، قصائد حبّ إلى راضية (2024)، إلى الحرّية...إلى السّماء نساء تونس (2025)، من يحاكم من؟ (طبعة ثالثة 2025).

■ بمناسبة ذكرى النكبة الـ 77، هل من كلمة أخيرة توجهها لجماهير شعبنا الفلسطيني الصامد في غزة والضفة والقدس وكل فلسطين والشتات حول الوضع الراهن؟

إلى أحبّتي وحبيباتي في فلسطين الأبيّة أقول:

«لَسْتَ مَهْزُوما إذا كُنْتَ تقاوم...»

«لَا كَرَامَةَ دُونَ أَلَمْ»

«الإنسَانُ يُمكِنُ أَن يُدمَّرَ لكِنَّهُ لا يُهْزَمْ»

إنّ الشّعب الفلسطينيّ شعب حيّ. ومقاوم. لذلك لن يهزم. وسينتصر. ويستردّ أرضه. كاملَ أرضِه التّاريخيّة. منَ النَّهْرِ إلى البَحْرِ.

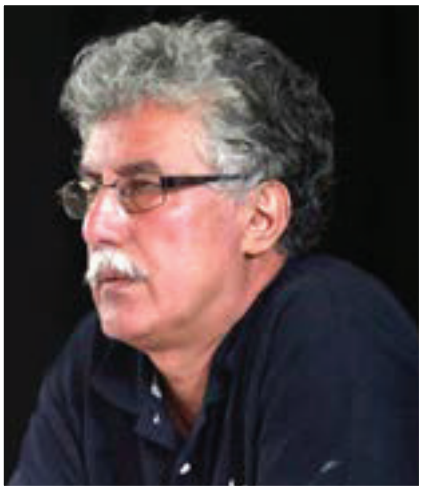

حمَّة الهمامي

في سطور:

- ولد حمة الهمامي يوم 8 يناير/كانون الثاني 1952 في منطقة العروسة بولاية سليانة بالشمال الغربي من تونس.
- حاصل على الاستاذية في الآداب العربية ودبلوم الدراسات المعمقة في سوسيولوجيا الشرق الأوسط .
- عمل أستاذا للتعليم الثانوي، كما أدار عام 1990 صحيفة الحزب المحظورة «البديل».
- متزوج بالأستاذة المحامية والحقوقية راضية النصراوي وأب لثلاث بنات
- من أبرز الوجوه السياسية اليسارية على الساحة التونسية.
- كان من أشد المعارضين لنظام الحبيب بورقيبة ولنظام زين العابدين بن علي من بعده.
- بدأ نشاطه السياسي سنة 1970 في الحركة الطلابية (الاتحاد العام لطلبة تونس) واعتقل لأول مرة سنة 1972 على إثر مشاركته فيما يعرف بحركة فيفري الطلابية
- التحق عام 1973 بمنظمة آفاق العامل التونسي الماركسية اللينينية المحظورة وحكم عليه بعد عامين من التحاقه بها بالسجن 8 سنوات ونصف
- ساهم في عام 1986 في تأسيس حزب العمال الشيوعي التونسي وعين ناطقا رسميا باسمه.
- ساهم عام 2005 في تأسيس هيئة 18 أكتوبر للحقوق والحريات التي تضم يساريين وإسلاميين وليبراليين وقوميين وحقوقيين.
- اعتقل عدة مرات في عهد بن علي وحكم عليه بالسجن وقضى فترات طويلة في السرية في تونس
- عارض حكومة الغنوشي الأولى والثانية التي كانت تضم وجوها من نظام بن علي كما عارض حكومة الباجي قائد السبسي ولم يدخل حزبه في الهيئة العليا لتحقيق أهداف الثورة والإصلاح السياسي والانتقال الديمقراطي.
- من أول الدعاة لمجلس تأسيسي يقطع تماما مع النظام القديم وهو ما تحقق بعد اعتصام القصبة 2 وأيضا كان أول من دعى لتأجيل الانتخابات.
- بعد سقوط نظام بن علي عُيِّن أمينا عاما لحزب العمال الشيوعي خلال المؤتمر العام للحزب في يوليو/ تموز 2011، لكنه لم يترشح لانتخابات المجلس التأسيسي في 23 أكتوبر/تشرين الأول 2011.
- في 7 أكتوبر 2012، أُسّست الجبهة الشعبية لتحقيق أهداف الثورة وأُسندت مهمة الناطق باسمها لحمة الهمامي.
- ترشح لأول مرة للانتخابات الرئاسية في 23 نوفمبر/تشرين الثاني 2014 بعد حصول حزبه ضمن تحالف الجبهة الشعبية -التي تضم 9 احزاب يسارية وقومية - على 15 مقعدا في الانتخابات البرلمانية في 26 أكتوبر/تشرين الأول 2014.
- قاد حملته الانتخابية بدعم يساري تحت شعار «حمة رئيس»، وحصل على المرتبة الثالثة في السباق الرئاسي بـ 7.82% من الأصوات.
- منعت السلطات بيع مؤلفاته وكتبه في تونس واحتجزتها في عام 1996 من المكتبات وأحرقتها بإذن رسمي من وزير الداخلية، ومنها : ضد الظلامية،، المجتمع التونسي: دراسة اقتصادية واجتماعية،،، المرأة التونسية حاضرها ومستقبلها، تاريخ الحركة النقابية التونسية، الاشتراكية او البربرية، وغيرها)

بيان سياسي صادر عن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في الذكرى السابعة والسبعين لنكبة شعبنا الفلسطيني

«إما فلسطين... وإما النار جيلاً بعد جيل»
الجبهة الشعبية: في وجه النكبة المتجددة...
ُقاوم، نُوحّد الصفوف، ونمضي نحو العودة والتحرير

يا جماهير شعبنا الصامد في الوطن والشتات،،،
يا أحرار أمتنا العربية،،،
يا أحرار العالم في كل مكان،،،

في الخامس عشر من أيار تطلّ علينا الذكرى السابعة والسبعون للنكبة، جرحنا المفتوح الذي لم يندمل، ومحطّة مؤلمة في تاريخ الإنسانية، حين ارتكبت العصابات الصهيونية، وبدعمٍ كامل من القوى الاستعمارية واحدة من أفظع جرائم العصر الحديث، التطهير العرقي المنظّم بحق شعبنا الفلسطيني وتهجيره وتدمير المئات من المدن والقرى، وزرع كيان استيطاني عنصري على أنقاض وطننا.

لقد مثّلت النكبة لحظة مفصلية في تاريخ شعبنا، وانكشاف عميق لطبيعة المشروع الصهيوني كأداة استعمارية عنصرية اقتلاعية هدفها محو الهوية الوطنية والكيانية الفلسطينية، وسلب الأرض، وتشريد الإنسان الفلسطيني. ومنذ تلك اللحظة لم تتوقف فصول النكبة، بل استمرت بأشكال متجددة في القتل والمجازر والطرد والتمييز والإفقار والحصار.

واليوم، يُعاد مشهد النكبة بصورة أكثر دموية وهمجية في قطاع غزة، حيث يتعرض شعبنا لحرب إبادة جماعية غير مسبوقة في التاريخ المعاصر، تُنفذ فيها آلة الاحتلال أبشع صور القتل والتدمير والتجويع والتهجير، وتُقصف المستشفيات والمدارس ومخيمات النزوح، وسط حصار خانق وتواطؤ دولي وصمت أممي وشراكة أميركية مباشرة.

إن الجبهة الشعبية، وفي هذه الذكرى الأليمة، إذ تحيي صمود شعبنا على امتداد الوطن والمنافي، من غزة إلى الضفة، ومن القدس إلى أراضي 1948، ومن مخيمات الشتات إلى المنافي القسرية، تؤكد ما يأتي:

أولاً: إن صراعنا مع الكيان الصهيوني صراع تاريخي شامل لن يُحسم إلا بانتزاع حقوق شعبنا الوطنية الكاملة، وفي القلب منها حق العودة وتقرير المصير وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة على كامل التراب الوطني وعاصمتها القدس. وستظل قضية فلسطين جوهر الصراع العربي الصهيوني، حتى إزالة جذور النكبة وإنهاء الاحتلال.

ثانياً: إن الردّ الحقيقي على النكبة وتداعياتها هو بناء جبهة مقاومة موحدة، وصوغ إستراتيجية وطنية شاملة تتبنى المقاومة بكافة أشكالها وعلى رأسها الكفاح المسلح، وتستعيد منظمة التحرير كإطار وطني جامع وموحّد، على قاعدة الشراكة والديمقراطية ووفقاً لقرارات الإجماع الوطني، لقطع الطريق أمام نهج التفرد والهيمنة، واستثمار طاقات شعبنا في كل أماكن وجوده وتمكينه من التعبير عن إرادته في مقاومة الاحتلال حتى التحرير والعودة.

ثالثاً: في ظل هذه الفصول المتواصلة من الجريمة، فإن الأولوية القصوى اليوم هي لوقف حرب الإبادة على شعبنا في قطاع غزة، وإنهاء معاناته، وكسر الحصار، وبدء إعادة الإعمار، والانطلاق نحو مسار سياسي يستند إلى حقوق شعبنا الوطنية غير القابلة للتصرف.

رابعاً: نُحذر من محاولات فرض «نكبات» متجددة تحت غطاء مشاريع تصفوية توسعية استعمارية مثل «اتفاقيات أبراهام»، أو شرق أوسط جديد، وغيرها من المخططات المشبوهة التي تستهدف تصفية القضية الفلسطينية.

خامساً: التصدي لمحاولات تصفية وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (الأونروا) تكتسب أهمية بالغة في ظل المخططات الصهيونية-الأميركية التي تهدف إلى شطب قضية اللاجئين وحق العودة. وإن استهداف الأونروا في غزة من خلال تدمير منشآتها واستهداف موظفيها، وإغلاق مؤسساتها في القدس ومنع عملها في الضفة، يُشّكل جزءًا من مخطط ممنهج لتصفية قضية اللاجئين.

سادساً: نجدد دعوتنا بضرورة التحرر الكامل من اتفاق أوسلو وتوابعه، وإنهاء التزامات السلطة الناتجة عنه، ووقف التنسيق الأمني وكل أشكال ملاحقة المقاومة والتراجع عن كل القرارات الخطيرة التعسفية بحق مخصصات أسر الشهداء والأسرى والجرحى والمحررين، وقطع كافة أشكال الارتهان للمشاريع الأميركية الصهيونية، والتوجه لبناء ميدان نضالي موحّد يُعبّر عن الإرادة الشعبية الفلسطينية الحرة.

سابعاً: على جماهير أمتنا ومثقفيها وقواها الحية أن ينهضوا لدعم نضالنا والتصدي لحرب الإبادة ضد شعبنا، ورفض كل أشكال التطبيع مع العدو الصهيوني، ومواجهة مشروع الهيمنة الاستعمارية الجديدة ومخططات تفتيت المنطقة.

ثامناً: نُحيّي بإجلال صمود الشعب اليمني الشقيق الذي يواجه العدوان والحصار منذ سنوات، ويواصل اليوم – بمواقفه الشجاعة ومبادراته الشعبية والرسمية – تقديم الدعم لقضيتنا، وتأكيد وحدة المصير والميدان من خلال فرض معادلات ردع جديدة تطال عمق الكيان الصهيوني نصرةً لغزة. كما نُحيّي مقاومة لبنان الباسلة، التي كانت ولا تزال سنداً صلباً لشعبنا ومقاومته، وشريكاً في معركة الدفاع عن فلسطين، ونؤكد تلاحم جبهات المقاومة في وجه المشروع الصهيوني.

تاسعاً: نُثمّن عالياً صرخات التضامن التي تعالت من شوارع واشنطن وجامعاتها، ومن لندن ومدريد وبروكسل، ومن جوهانسبرغ وكل عواصم ومدن العالم، دعماً لغزة ورفضاً للعدوان وإسناداً لحقوق شعبنا العادلة. وإن تصاعد التضامن الأممي يُشكّل جبهة متقدمة في معركة وقف الحرب وكسر الحصار، وكشف جرائم الاحتلال ومحاسبته على المستوى الدولي.

جماهير شعبنا... يا أبناء أمتنا العربية... يا أحرار العالم

في ذكرى النكبة، نُجدّد عهدنا لشعبنا، ولأرواح شهدائنا، ولأسرانا وجرحانا، بأن تظلّ الجبهة الشعبية صوتًا للحق، ودرعاً للمقاومة، وحارساً للثوابت الوطنية، ومدافعاً صلباً عن حق العودة الذي لا يسقط بالتقادم ولا يُساوَم عليه، وكما قال الحكيم جورج حبش: «لا نستطيع أن نضمن مستقبل أجيالنا في حالة بقاء جرثومة الصهيونية على الأرض العربية.»

التحية لشعبنا المقاوم في كل الميادين.. التحية لأسرانا وأسيراتنا في سجون الاحتلال

المجد والخلود للشهداء... وإننا حتماً لمنتصرون

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

دائرة الإعلام المركزي

14 أيار/مايو 2025

كتائب الشهيد أبو علي مصطفى
الإعلام الحربي

Abu Ali Mustafa Brigades

الشهيد الرفيق المقاتل

أسامة عبد ربه

أحد أبطال ركن الاستخبارات في كتائب الشهيد أبو علي مصطفى والذي استشهد على طريق القدس وفلسطين هو ومجموعة من أفراد أسرته باستهداف صهيوني غادر له في مدينة جباليا وذلك يوم الإثنين الموافق 2025/05/26

بيان عسكري
كتائب الشهيد أبو علي مصطفى

عهداً على الأيامِ ألا تهزموا فالنّصرُ يَنبتُ حيثُ يَرويهِ الدّمُ

كتائب الشهيد أبو علي مصطفى تنعي رفيقها الشهيد المقاتل البطل «أسامة عبد ربه»

بمزيد من الفخر والاعتزاز تنعي كتائب الشهيد أبو علي مصطفى الجناح العسكري للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين رفيقها المقاتل الشهيد البطل «أسامة عبد ربه / أبو المجد»

أحد أبطال ركن الاستخبارات في كتائب الشهيد أبو علي مصطفى، والذي ارتقى شهيداً على طريق القدس وفلسطين باستهداف غادر له من قبل طيران الاحتلال الحربي خلال معارك الدفاع والتصدي عن شعبنا في خضم ملحمة السابع من أكتوبر في مدينة جباليا الصمود والتحدي، مسطرًا بدمه أروع معاني التضحية والفداء، ومدافعًا شرسًا عن شعبنا الفلسطيني والأمة العربية ومنتصرًا للمكلومين والمسحوقين من أبناء شعبنا الفلسطيني في وجه العدوان الصهيوني المستمر ضد وجودنا وحقنا في تحرير فلسطين من نهرها لبحرها.

لقد مثل رفيقنا «أبو المجد» نموذجاً للرفيق الملتزم المقاوم لا المساوم المتقدم لصفوف المواجهة، وعلى الرغم من الألم الكبير بفقدان رفيقنا وكافة أبطالنا الذين لم يستكينوا يومًا، فإننا نؤكد على أن هذا المصاب لن يزيدنا إلا إصراراً وثباتاً بالاستمرار على نهج الشهداء بالنضال والقتال حتى أخر قطرة دم للتحرير الشامل والناجز ودحر الاحتلال عن كامل ترابنا الوطني الفلسطيني واستعادة شعبنا لكافة حقوقه المسلوبة والثأر لدماء شهدائنا وقادتنا.

يا جماهير شعبنا البطل.. يا أحرار أمتنا والعالم

نعاهدكم نحن في كتائب الشهيد أبو علي مصطفى ونعاهد دماء شهدائنا وأبطالنا على امتداد ساحات القتال بأن نبقى الأوفياء لمن عبدّوا طريق الحرية بدمائهم ولم يرضوا بغير الطريق المستضيء بالدّم طريقًا للحرية والاستقلال.

- **بطاقة عسكرية تعريفية بالرفيق الشهيد «أسامة عبد ربه / أبو المجد»:**

- نشأ في مدينة جباليا وبكنف عائلة مناضلة تربى بها على مبادئ النضال والثورة.
- التحق رفيقنا في صفوف الجبهة الشعبية مبكراً فكان أحد أبطال مجموعات النسر الأحمر إبان الانتفاضة الأولى «انتفاضة الحجارة»، ولاحقاً في صفوف كتائب الشهيد أبو علي مصطفى إبان الانتفاضة الثانية «انتفاضة الأقصى»، وذلك إيماناً منه بالكفاح المسلح سبيلاً للتحرير والعودة.
- كان رفيقنا أحد أبطال ركن الاستخبارات في كتائب الشهيد أبو علي مصطفى.
- كان من المشاركين في ملحمة السابع من أكتوبر وفي مقدمة خطوط المواجهة مع العدو الصهيوني.
- تميز شهيدنا البطل بإنكار الذات والتضحية وبالشجاعة والمبادرة وتعلقه الشديد بفلسطين والبندقية وحلمه باسترداد حقوق شعبنا السليبة وتحرير فلسطين كل فلسطين.
- استشهد رفيقنا أسامة يوم الإثنين الموافق 2025/05/26 بعد أن أدى واجبه النضالي والكفاحي، حيث استهدفه الطيران الغادر الصهيوني بصواريخه هو ومجموعة من عائلته، ليختتم رفيقنا مسيرته النضالية والكفاحية بالشهادة، ملبياً نداء غزة والمقاومة متقدمًا الميدان إلى جانب رفاقه في المقاومة الفلسطينية، ومتسلحاً بعقيدته النضالية الراسخة وإيمانه بالنّصر الحتمي.

عهدنا ثأراً أبديًا لا يزول
المجد للشهداء والحرية للأسرى والشفاء للجرحى
وغدًا سينحسر الضباب عن التلال .. وإننا حتمًا لمنتصرون

كتائب الشهيد أبو علي مصطفى
الجناح العسكري للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين
30 أيار/مايو 2025

صديق فلسطين ونصير الفقراء والمقهورين.. الجبهة الشعبية تنعي القائد الأممي الكبير الرئيس الأوروغوياني السابق خوسيه «بيبي» موخيكا

نعت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين إلى جماهير الشعب الفلسطيني وأحرار العالم والحركة التقدمية الأممية، الرئيس الأوروغوياني السابق والقائد الأممي خوسيه «بيبي» موخيكا، الذي وافته المنية عن عمر ناهز 89 عاماً، بعد حياة حافلة بالنضال والثبات على المبادئ.

وقالت الجبهة في بيان نعيها إن موخيكا شكّل ضميرًا حيًا للشعوب المضطهدة وصوتًا صادقًا للحق في زمن الصمت، وكان مثالًا نادرًا في النزاهة الثورية والزهد في السلطة، مؤمناً بعمق التزامه بقيم العدالة الاجتماعية وحرية الشعوب.

وأضافت أن فلسطين كانت حاضرة في وجدان موخيكا، وقد عبّر عن انحيازه الأصيل لقضيتها حين وصف عدوان الاحتلال على قطاع غزة عام 2024 بأنه «إبادة جماعية»، في موقف شجاع تجاوز الحسابات الدبلوماسية وواجه بقوة الأصوات اليمينية المتصهينة.

وأكدت الجبهة أن موخيكا سخّر مكانته السياسية ونفوذه الدولي دفاعًا عن حقوق الفلسطينيين، وكان نصيرًا لقضيتهم ومبشرًا بحريتهم، كما دافع عن كرامة الفقراء والمهمشين في أمريكا اللاتينية والعالم أجمع.

واختتم البيان بالقول: «إن موخيكا وُلد من رحم الأرض، وعاش كعامل بسيط، وسُجن كمقاتل من أجل التحرر، وحكم كرئيس لم يتنازل عن مبادئه، ورحل كما عاش: عزيزًا، مرفوع الرأس، ثائرًا حتى الرمق الأخير».

وأكدت الجبهة أن القائد الراحل سيبقى حيًا في ذاكرة فلسطين وضمير الثوار في العالم، مشددة على مواصلة نضالها مع كل أحرار العالم ضد الإمبريالية والصهيونية ومن أجل الحرية والكرامة الإنسانية.

خبر

معتصم ردّاد شهيداً

استشهد الأسير المحرر معتصم طالب داود رداد (43 عامًا)، من بلدة صيدا شمال طولكرم، مساء اليوم الخميس2025/5/8 المبعد إلى القاهرة، في إحدى المستشفيات المصرية، بعد صراع مع مرض السرطان الذي أصيب به في معتقلات الاحتلال.

وقالت هيئة شؤون الأسرى ونادي الأسير، إنّ الشهيد رداد واحد من أبرز الأسرى المرضى الذين واجهوا جرائم طبيّة مركبة في سجون الاحتلال، حيث عانى من أمراض مزمنة إلى جانب تعرضه لعدة إصابات خلال اعتقاله عام 2006، وقد تفاقمت جرّاء الظروف الاعتقالية القاسية التي واجهها على مدار سنوات اعتقاله، والتي امتدت لنحو 20 عاماً في سجون الاحتلال، حيث أمضى غالبية سنوات اعتقاله فيما تسمى (بعيادة سجن الرملة) التي ارتقى فيها العديد من شهداء الحركة الأسيرة.

وأضافت الهيئة والنادي، لقد شكّلت قضية الأسير رداد واحدة من أبرز القضايا التي كشفت وعرّت منظومة سجون الاحتلال في استهدافها للأسرى عبر الجرائم الطبيّة الممنهجة، وتحويل حقّهم للعلاج إلى أداة تنكيل وتعذيب من خلال سياسات السّلب والحرمان، وقد بلغت هذه الجرائم ذروتها منذ بدء الإبادة، حيث واجه رداد خلال الشهور الأخيرة من اعتقاله عمليات تنكيل ممنهجة، كان الهدف منها قتله، حيث جرى قمعه ونقله من (عيادة سجن الرملة) إلى سجن (عوفر)، واحتجز في زنزانة لا تتوفر فيها أدنى شروط الحياة الآدمية، والتي ضاعفت من تدهور وضعه الصحيّ، وقد وجّه رداد في الشهور الأخيرة من اعتقاله رسالة قال فيها: (أشعر بداخلي أنني الشهيد القادم).

ولفتت الهيئة والنادي، أنّ استشهاد رداد بعد تحرره بفترة وجيزة، يصاعد التساؤل عن مصير المئات من الأسرى المرضى الذين يعانون من أمراض مزمنة منذ سنوات، وقد تضاعف هذا التساؤل منذ بدء الإبادة، حيث شكّلت الجرائم الطبيّة إلى جانب جرائم التّعذيب، والجرائم الطبيّة الممنهجة، والاعتداءات الجنسيّة، السبب المركزي في ارتقاء العشرات من الأسرى منذ بدء الإبادة، واليوم فإن جميع الأسرى في سجون الاحتلال يعانون من مشاكل وأمراض بمستويات مختلفة مع اتساع دائرة انتشار الأمراض والأوبئة، واستمرار منظومة السّجون بحرمانهم من العلاج بشكل متعمد بهدف قتل المزيد منهم.

وحمّلت الهيئة والنادي، الاحتلال الإسرائيلي، المسؤولية الكاملة عن استشهاد الأسير المحرر والمبعد معتصم رداد، الذي أصر الاحتلال على إبعاده رغم وضعه الصحيّ الصعب والحرج وأكمل جريمته بحرمانه من عائلته إلى أن ارتقى اليوم بعيداً عن عائلته ووطنه.

النكبة.. كفاح المئة عام

أحمد الخميسي - كاتب من مصر

بحلول 15 مايو من كل عام تصحو ذكرى نكبة فلسطين التي بدأت ولم تنته منذ عام 1948، وفي صحوة التاريخ تلك علينا ألا ننظر فقط إلى الجراح، لكن أن ننظر أيضاً إلى أوسمة البطولة التي وضعها التاريخ على صدر الشعب الفلسطيني، خاصة عندما نستعيد حقيقة أن كفاح الشعب الفلسطيني استمر نحو مئة عام كاملة ومازال حياً، فهي قصة أطول وأشد صراع في التاريخ المعاصر.

كفاح بدأ بثورة البراق عام 1929. والبراق جزء من الحائط الغربي للحرم القدسي الشريف ادعت عصابات الصهاينة حينذاك ملكيته، فهبت ثورة البراق. ومنذ أن اتضحت ملامح الخطة الاستعمارية البريطانية أولاً ثم الأمريكية لإخضاع المنطقة العربية هب الشعب الفلسطيني في ثورة ثانية من 1936 حتى 1939، ثم معركة الكرامة عام 1968، ويوم الأرض 1976، وانتفاضة أطفال الحجارة في ديسمبر 1987، والانتفاضة الثانية عام ألفين حتى 2004، وانتفاضة 2015، وهبات الأقصى المتواصلة، وصولاً إلى طوفان الأقصى في 7 أكتوبر 2023، وهذه كلها أوسمة على صدر الجراح والبطولات. وخلال ذلك التاريخ كان العرب قد أدركوا أن إسرائيل التي غرزت بالقوة ليست سوى أداة لإخضاع المنطقة للنهب الاستعماري، وقاعدة عسكرية أطلقوا عليها صفة دولة، وأن الخطر لا يهدد فلسطين فحسب، بل يهدد الجميع، وهو ما نراه الآن في عدوان إسرائيل على لبنان وسوريا واليمن وانخراطها في مؤامرات على النيل مع أثيوبيا، وتدخلها لتقسيم السودان، وحربها على العراق. هذا الإدراك تجلى منذ اللحظات الأولى حين امتلأت شوارع القاهرة في 15 ديسمبر 1947 بالمظاهرات الشعبية احتجاجاً على قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين، ولذلك كانت حروب مصر والحروب عليها في 1956 ، و1967، و1973، وبعد نحو خمسة شهور أعلنت الوكالة اليهودية قيام دولة إسرائيل في 15 مايو 1948 على القسم المخصص لها بمقتضى قرار التقسيم، أما الحكومة المصرية فقد عقدت جلسة سرية في 14 مايو لاتخاذ قرار بالحرب، وعارض البعض دخول مصر بدعوى أن الجيش المصري غير مستعد، لكن رئيس الوزراء أكد أن لدي الجيش ما يكفي من السلاح والعتاد، وما لبث الملك فاروق أن وقع قراراً بالحرب، ولم يكن تعداد الفرق المشاركة يزيد عن عشرة آلاف جندي بقيادة اللواء أحمد علي، كما شاركت الأردن بنحو خمسة آلاف جندي، وشاركت العراق وسوريا ولبنان بقوات رمزية، لكن العرب خسروا الحرب وتأكدت النكبة. وقامت اسرائيل بغارات جوية على قصر عابدين, المقر الرسمي للملك فاروق, وقصر القبة مقره العائلي في رسالة واضحة بأن على مصر أن تفض الاشتباك بينها وبين القضية الفلسطينية! ومع ذلك كانت حرب 1948 أول إعلان رسمي أن قضية فلسطين قضية تخص العرب جميعاً وليس فقط الشعب الفلسطيني، وتأكد ذلك لاحقاً، في 1956، و1967، وحرب أكتوبر. ومع اندلاع طوفان الأقصى في 7 أكتوبر 2023 أخذنا نسمع يومياً عن ارتقاء الشهداء من أطفال ونساء، وعن الحصار المضروب على غزة حتى أصبح الحصول على جرعة ماء حلماً بعيد المنال، وأن الأطفال يموتون من الجوع، ويقتلون في المدارس والخيام والشوارع، وما بين رشفة من قدح شاي ورشفة أخرى تصعد إلى السماء يومياً عشرات الأرواح الطفلة، وما بين إشعال سيجارة وإطفائها تموت عشرات الأمهات حتى لم نعد نميز الموت من الحياة، ورغم ذلك علينا أن نحدق بالبطولة، وأن ننظر إلى الشجاعة، وأن نعي أن شعباً بهذه البطولة لابد أن ينتصر.

نكبة 1948 الحقيقة المرة؛ والشعب الذي يأبى النسيان

بسام عليان - كاتب اجتماعي وباحث سياسي فلسطيني - سورية

عندما تهل علينا ذكرى نكبة عام 1948؛ يسألنا كثير من الناس لماذا نتذكر هذه الذكرى رغم أنها مؤلمة وموجعة وحقيقة مرة؛ وها نحن في هذا الشهر تهل علينا الذكرى ال 77. فنقول وبكل ثقة نحن نتمسك بجذورنا ونقرأ تاريخنا لنعي مدى عمق جذورنا في أرضنا، وحتى نتجنب عثرات من سبقنا، ونفيد من نجاحاته، ونطورها. فطوفان الأقصى الحرب المشتعلة في غزة فلسطين منذ ما يقارب السنتين؛ هي وريثة كل ما هو مجيد وتقدمي في تراث مقاومتنا الوطنية.

فعندما نتحدث عن النكبة اليوم؛ نجدد العهد جيلاً بعد جيل بأننا لن نتخلى عن المطالبة بأرضنا كاملة ودحر الاحتلال والعودة إلى مسقط رأس آبائنا وأجدادنا الأوائل وإقامة دولتنا الوطنية المستقلة عن أي احتلال وأي هيمنة من الخارج.

في العام 1948؛ نشبت حرب بيننا نحن الفلسطينيين وبين عصابات صهيونية مدعومة من الغرب الرأسمالي، وكان في البداية النصر لنا لأننا نحن أصحاب الأرض وسكانها وأهلها؛ لولا خيانات بعض الأنظمة العربية حينذاك التي أظهرت لنا حسن نيتها في الوقوف إلى جانبنا ولكن في الواقع كانت تضمر لنا المصيبة بتعاونها مع بريطانيا ضدنا مما أدى لانقلاب ميزان القوى لصالح هذه العصابات المدعومة من الغرب الرأسمالي ومن بريطانيا بالتحديد، وبمساعدة سرية من جيوش أنظمة عربية كانت موالية لبريطانيا بشكل كامل.

إن الحرب كانت نتيجة مباشرة لقرار الاستعمار البريطاني الانسحاب من فلسطين وإيكال الأمر إلى الأمم المتحدة التي أصدرت تحت ضغط القوتين العظميين آنذاك (الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي) قرار رقم 181 بتاريخ 29 نوفمبر 1947 بتقسيم فلسطين إلى دولتين عربية (45%) ويهودية (54%) ومنطقة دولية (1%). وكانت البلاد العربية في تلك المرحلة لم يشتد عودها العربي بعد؛ فكانت لا تزال تحت بعض أشكال النفوذ الاستعماري؛ أي أنها لم تكن تملك الحرية في قرارها السياسي.

وللأسف كان معظم ضباط الجيوش العربية التي جاءت للقتال إلى جانب الفلسطينيين معظمهم بريطانيين؛ وكانوا يأتمرون من الضباط البريطانيين؛ كمثال كان كلوب باشا قائد الجيش الأردني بريطانياً وكان يقود الجيوش العربية السبعة نيابة عن أمير الأردن عبد الله بن الحسين (أمير شرقي الأردن).

وكانت أوامر الجيوش العربية للمقاومة الوطنية الفلسطينية بأن يسلموا أسلحتهم لقيادة الجيوش العربية حتى يضبطوا تقديرات المعركة التي يقودونها؛ مما جعل المقاومة الوطنية بلا سلاح وبلا عتاد وبلا أية وسيلة للدفاع عن الأرض. وكانت الأوامر للجيوش العربية بعدم تجاوز خطوط التقسيم التي فرضتها الأمم المتحدة؛ أي أن الأوامر للجيوش العربية كانت لتثبيت حدود قرار التقسيم بدلاً من الدفاع عن المدن والقرى الفلسطينية إلى جانب المقاومة الوطنية الفلسطينية. كما أن عدد الجيوش العربية كان ضئيلاً جداً أمام عدد العصابات الصهيونية التي تسللت إلى فلسطين بمساعدة بريطانيا؛ فمثلاً كان عدد الجيش المصري ستة آلاف والجيش السوري 1500، والجيش العراقي 1500، والجيش السعودي 1500، والجيش اللبناني 1000، والجيش الاردني 4500 غالبيتهم بريطانيين. أما اليمنيون فكانت مشاركتهم رمزية. وكانت قرارات هذه الدول العربية المشاركة غير ذاتية أي أنها تفقد القدرة على الحسم واتخاذ القرار الصائب الذي يقف مع فلسطين وشعبها. وبهذا تم التصرف بفلسطين كما أراد البريطانيون والأميركان. ناهيك عما كشف عنه فيما بعد بأن الأسلحة التي كانت مع الجيوش العربية كانت أسلحة فاسدة، كما أن الأوامر كانت تأتي للجيوش العربية بالانسحاب وليس بالتقدم؛ فمثلاً جاءت الأوامر للجيش العراقي بالانسحاب من حيفا وتمركز في جنين. وانسحب الجيش الأردني من اللد والرملة بأوامر من الأمير عبد الله أمير شرقي الأردن حينذاك. وحوصر الجيش المصري في الفالوجا والذي كان يقوده آنذاك جمال عبد الناصر. وبهذا تكون الجيوش العربية قد ساعدت العصابات اليهودية بتسليمهم أراضي أكثر من ال54% فالعرب زادوا حصة اليهود حسب قرار التقسيم ليصبح 78%؛ وتم وبسرعة تغيير القيادات الميدانية للجيوش العربية وجاءتهم الأوامر بالانسحاب؛ إلى خط ما سمي حينها ب «خط وقف إطلاق النار»؛ وظلت مناطق قليلة من الأرض الفلسطينية أطلق عليها فيما بعد ب «الضفة الغربية» و«قطاع غزة». وقامت تلك الدول العربية باستثناء العراق بالتوقيع على اتفاقية رودس والتي تنص على «احترام وقف إطلاق النار» وفي تلك الاتفاقية اعترفت

الدول العربية بما يسمى «إسرائيل»؛ أي أن التطبيع العربي بدأ من رودس حيث كان التفاوض مع الوفد الإسرائيلي على انفراد أي كل دولة عربية وقعت الاتفاق مع الوفد الإسرائيلي بشكل منفرد؛ وربما كانت هناك الكثير من البنود التي وقعت عليها الدول العربية لم يكشف النقاب عنها إلى الآن.

وفي مذكرات أحد المفاوضين الأردنيين (سامي الأحمد)؛ قيل له ماذا ذهبت تعمل إلى رودس؟ قال: أنا لا أعرف شيئاً، ذهبنا دون تعليمات أو أهداف؛ وقيل لنا: اذهبوا ووقعوا فقط (!!!؟).

حتى إن الأمير عبد الله أمير شرقي الأردن حينذاك؛ تنازل عن منطقة المثلث لإسرائيل دون أن يطلب منه ذلك. وهذه المنطقة تشمل: أم الفحم وعرعرة ومحمص وكفر قاسم والطيبة وقلنسوة والطيرة وهذه المدن والقرى كانت تعتبر من قضائي جنين وطولكرم.

وضمن شروط الهدنة التي وقع عليها العرب أن تكون الجيوش العربية حارساً أميناً على حدود «إسرائيل» تمنع المقاومين الفلسطينيين من الدخول إلى أرض فلسطين وتمنع المواطنين الفلسطينيين الذين هجروا من أرضهم من العودة إلى بيوتهم وممتلكاتهم وأراضيهم.

فلا بد من الاعتراف أن الدور العربي كان وما يزال سلبياً متخاذلاً واهناً رجعياً وإلى الآن ولننظر ماذا فعل العرب والدول العربية للفلسطينيين منذ 20 شهراً وغزة تباد وتدمر وتهجر وتجوع ولم نسمع حتى أن تقوم هذه الدول بطرد السفير الإسرائيلي من أراضيها؛ أو تسحب سفيرها من فلسطين المحتلة احتجاجاً.

والفلسطينيون اليوم وبعض العرب الأحرار وبعض أحرار العالم يتطلعون اليوم إلى صمود غزة رغم استخدام إسرائيل وأميركا والغرب الرأسمالي أسلحة الدمار الشامل المحرمة دولياً لإبادة الشعب الفلسطيني في غزة وتدمير غزة والضفة إلا أن المواطن الفلسطيني ما زال يتحمل ويصبر ما جنته مؤامرة الأنظمة العربية على فلسطين وعلى الشعب الفلسطيني منذ العام 1948.

رسائل من غزة

أحمد علي هلال كاتب وناقد أدبي فلسطيني سورية

مازال الهواء يطيرها لجهات الأرض كلها: طعامنا ينفد وقوت أيامنا. الموت يختطف الحيوات بلا هوادة، لا حد لليلنا الطويل مشبع بالطنين والأزيز وهذه البلاد تضيق علينا أشبه بقبر جماعي والعالم يتفرج والوقت ينفد، رسائل كأنها من زمن آخر ومن قطعة من الجغرافيا بحجم اليد يتعثر بدروبها الغزاة، ومازال العالم مغمض العينين أو نائماً، لا يرى لا يسمع ولا يتكلم، والدم هناك يشكل جداوله لتتفجر ينابيع الكبرياء.... فإلى أين يمضي الشهداء، صرخ طفل من غزة إذا مت فلعل في الجنة طعام يكفينا، وذات مساء دام زحف أب ليحضر رغيفاً لأبنائه المنتظرين تحت ركام البيوت، علّه يسند جوعهم قليلاً، زحف تحت قصف الطائرات وعاد بعد وقت باحثاً عن أبنائه الستة فلم يجد سوى أشلائهم، قال بحزن لا يوصف: عدت بالرغيف المدمى. وثمة امرأة غزاوية لم تجد سوى المقبرة لتقيم فيها، همست في صمتها لعلني أجاور هؤلاء الأحياء وربما أكلمهم، هنا بقية عائلتي التي شطبت من السجلات، أين يبني الحمام اعشاشه وكيف يمد الليلك ذراعه لا مكان آمناً في هذه البقعة الأسطورية، مزقة من قلب كبير، قلب مخذول بالصمت والتواطؤ حيناً، تلك هي المقتلة فلا عزاء للتاريخ حينما تفلت منه الرسائل، رسائل لا تصل فلا حبر سوى دم القلوب، ولا حروف سوى أشلاء الشهداء.

جريمة النكبة في نسختها الجديدة

حاتم إستانبولي ـ كاتب سياسي فلسطيني ـ القدس

٧٧ عاماً مرت على جريمة النكبة التي كنا نحاول أن نتعرف عليها من خلال الأحاديث والشهادات والروايات والقليل مما كتب عن تفاصيلها ومدى عمق ومنهجية عقلية العدوان الصهيوني الذي جسد همجية الفكرة الرأسمالية الصهيونية لكن ما نعيشه يومياً وعلى مدى تسعة عشر شهراً يفسر لنا بالملموس ما جرى ما قبل جريمة النكبة وما بعدها على مدى ٧٧ عاماً.

جريمة ارتكبت في وضح النهار ضد شعب أعزل سرقت أرضه وأملاكه وهويته وثقافته ودفع للهجرة من خلال ما ارتكب من عمليات قتل وتعذيب وتهجير قسري.

هذه الجريمة الموصوفة المكتملة الأركان المعلن عن منفذيها وأدواتها وأهدافها والنية المسبقة لدوافع مرتكبيها الذين تعددت هويتهم القومية والفكرية والدينية.

واليوم على مدار تسعة عشر شهراً تتكرر هذه الجريمة بكافة فصولها ودوافعها وأطرافها التي تعددت هويتهم القومية والفكرية والدينية.

جريمة النكبة كانت جريمة تجاوزت حدود الإبادة الجماعية لمجموعة بشرية الموصوفة في القانون الإنساني الدولي وهي تتطلب تمحص وقراءة واستخلاص المعطيات القانونية التي تتلاءم مع ما جرى في جريمة النكبة عام ١٩٤٨وما يجري منذ ١٩ شهراً من حرب الإبادة المعلنة على الشعب الفلسطيني.

أثبت مرتكبو الجريمة أنهم وبخلاف انتماءاتهم وخلفياتهم ومَواقِعِهم الرسمية دولياً وإقليمياً ومحلياً أنهم عملوا منذ ٧٧ عاماً بشكل منهجي من أجل إبادة الشعب الفلسطيني.

الجريمة كانت فكرة صهيونية عملت على تحويلها من فكرة لمِجموعة رأسمالية مُرابية صهيونية إلى فكرة لرأس المال عندما اندمج رأس المال المرابي الصهيوني في حركة رأس المال العالمي وأصبحت عقلية المرابي الصهيوني هي أيديولوجية وشكل للاستغلال الرأسمالي المالي الذي أصبح مسيطراً على حياة الجموع البشرية في كل أصقاع الأرض.

وفي هذا السياق كان إعلان الرؤساء وأعضاء الحكومات والوزراء عن صَهيونِيَتِهم تعبيراً عن المدى الذي وصل إليه نفوذ الحركة الصهيونية.

عبر ٧٧ عاماً تحولت الفكرة الصهيونية من فكرة تتداول بين القبائل الدينية اليهودية كان ينظر إليها على أنها فكرة عنصرية يجب محاربتها بقرار من الأمم المتحدة تحت رقم ٣٣٧٩ في ١٠ نوفمبر من عام ١٩٧٥هذا القرار الذي قامت الولايات المتحدة بتقديم نص لنبذه بمعنى إلغاء قرار الجمعية العامة باعتبار الحركة الصهيونية حركة عنصرية.

هذا الإلغاء أعطى مشروعية للحركة الصهيونية وفكرها العنصري التمييزي الذي يتلاقى مع الفكر النازي في ممارسته ونتيجة لهذا القرار اكتسبت الحركة الصهيونية وفكرها العنصري التمييزي زخماً رأسمالياً وأصبحت الأيديولوجية الصهيونية رسمياً هي أيديولوجية رأس المال بغض النظر عن هويته القومية أو الدينية حتى أن بعض تيارات اليسار تأثرت بالفكرة الصهيونية بعد أن استثمرت الحركة الصهيونية

بقانون معاداة السامية الذي استخدم في إطار إعلان المُعاداة للصهيونية وإسرائيل على أنه معاداة للسامية ومن خلال هذا القانون الذي أصبح أداة لقمع أية تحركات معادية لِلممارسات الإجرامية للحركة الصهيونية التي أعلن عام ١٩٤٨ عن أول دولة تحمل هذه العقيدة الأيديولوجية وهي دولة الإحِلال الصهيوني الإسرائيلي في فلسطين.

تشريع الحركة الصهيونية وفكرها وتمددها في الحكومات والنظم حول الحركة الصهيونية ومؤسساتها المعلنة تحت اسم الجمعيات والنوادي والمراكز الدينية اليهودية في العديد من البلدان إلى أدوات ضغط داخلي لتحديد سياسات الدول والحكومات التي شرعت وغطت وتغطي الجرائم الصهيونية في فلسطين بشكل عام وفي غزة والضفة الآن تحديداً.

الآثار التي ترتبت على إعلان أن الفكرة والأيديولوجية الصهيونية هي فكرة رأس المال العالمي وتمدد نفوذها إلى في أوساط الأديان الأخرى تحت مسميات مختلفة واتفاقات متعددة أبرزها اتفاقات كامب ديفيد واتفاق أوسلو ووادي عربة وأبراهام جميع هذه الاتفاقيات كانت مدخلاً لتحويل فكرة التحرر الوطني الفلسطيني من فكرة تحررية إلى فكرة إرهابية وإضفاء طابع ديني على الصراع وتحويله من صراع وطني تحرري من أجل تحقيق العدالة الإنسانية إلى صراع حول تحقيق الرغبة الإلهية الموعودة في استحضار للمَقولات الدينية حول تحقيق العدالة الإلهية الذي حول الصراع بين الفئات الدينية والعرقية والقومية من صراع على تحقيق العدالة الإنسانية للجميع بغض النظر عن خلفياتهم الفكرية والدينية إلى صراع بين الأديان والمذاهب والأعراق والقوميات في منطقة تحمل كل هذا الإرث الفكري الديني المتعدد بهدف تشريع تحويل الفكرة الدينية اليهودية إلى فكرة قومية ولكنها تحمل الصفاء الديني لتحقيق مقولة الأفضلية الدينية اليهودية كمدخل لتحقيق الفكرة الصهيونية التي تفسر أن العالم مُقَسم بين أسياد ورعاع.

ونتيجة لهذا فإن تشريع ودعم وتغطية حرب الإبادة على غزة من قبل الحكومات والدول الرأسمالية هي نتيجة لعمل قامت به الحركة الصهيونية خلال ٧٧ عاماً أصبح فيها نفوذها السياسي والفكري عابر للقارات والأديان والأفكار في الدول والحكومات والمنظمات المساندة للفكر الصهيوني تحت مسميات متعددة تتغلغل في المجتمعات تحت شعارات تكيل بمكيالين.

لكن في الوجه الآخر لا يمكن لأي فكرة أو مؤسسة أو قوة أن تلغي القانون الطبيعي الذي يعمل خارج الإرادة ويكتسب الصفة الموضوعية وهو قانون التناقض الذي صعد وبين أن التناقض الرئيسي القائم بين العدالة الإنسانية ونقيضها يتمثل في الفكرة الصهيونية وأدواتها الرأسمالية ومساندتها وأتباعها من جهة وبين القضية الفلسطينية ومناصريها الذين خرجوا على مدى تسعة عشر شهراً في الميادين والساحات منددين بحرب الإبادة وكاشفين الجوهر الإجرامي والعنصري والتمييزي للفكر الرأسمالي الصهيوني وأدواته السياسية والإعلامية والذي أصبح يهدد النفوذ الصهيوني في الدول والمؤسسات وأصبحت تشير أن استمرار حرب الإبادة أصبح يكشف ويؤثر على النفوذ الصهيوني الرأسمالي في الحكومات وأصبحت حركة المناهضة للممارسات الصهيونية تأخذ أبعاداً من الممكن أن تطال تأثيرها قرارات الدول التي بدأت تتسارع فيها حملات الإدانة والتنديد.

الممارسات الممنهجة الإجرامية في غزة التي فاقت ممارساتها ما نصت عليها قوانين الأمم المتحدة في وصفها للإبادة الجماعية وضعت كافة الحكومات بموقع الشبه المعلنة لدى جماهيرها وخاصة جيل الشباب القادم الذي سيكون هو الجيل الذي سوف يقوض نفوذ الرأسمالية الصهيونية وامتداداتها.

الذكرى ال٧٧ لجريمة النكبة سيكون لها وقع خاص وستكون نقطة تحول في الصراع ما بين تحقيق العدالة الإنسانية وبين شرور نقيضها المتمثل بالرأسمالية الصهيونية وأدواتها.

ما يجري في غزة والضفة يعيد لنا مشهد جريمة النكبة التي كانت تتويجاً للتآمر الذي أعلن في بازل سويسرا في مؤتمر الحركة الصهيونية وإعلان بلفور الذي تطلب اتفاقية سايكس بيكو وتقسيم المنطقة بين كل من بريطانيا وفرنسا وإيطاليا مراكز الحركة الصهيونية في بدايات القرن الماضي هذا التقسيم الذي أعطى مبررات إنشاء الوطن القومي حسب وعد بلفور الذي حولته الحركة الصهيونية بغطاء استعماري بريطاني إلى دولة يهودية وتقسيم فلسطين (الدولة) التي كانت حيزاً مكانياً لكافة القوميات والأديان إلى مكان للإحلال اليهودي المستعمر الصهيوني والإلحاق الذي ألغى الهوية والشخصية الوطنية الفلسطينية في حين بقيت غزة البقعة المكانية الفلسطينية التي تحمل عنوان الهوية والشخصية الفلسطينية والتي عانت وتعاني من هذا الاستحقاق منذ ٧٧ عاماً.

هذا هو قدر غزة وجماهيرها التي هي طليعة المدافعين عن فكرة التحرر الوطني الفلسطيني في هذه اللحظة التاريخية التي أصبحت فيه القضية الفلسطينية هي معيار وناظم تحقيق العدالة الإنسانية بِثلاثيتها الحرية والعدالة الاجتماعية والمشاركة.

دماء أطفال ونساء وشيوخ وشباب غزة هو ثمن يدفعونه عن كل أحرار العالم.

والاحتلال الإحلالي يمارس جرائمه نيابة عن كل مراكز رأس المال الصهيوني وأدواته الممتدة في كل دول العالم بحيث أصبح الدم الفلسطيني عبئاً عليها ملطخاً كل مراكز رأس المال الصهيوني وأدواته السياسية والإعلامية والاقتصادية وأتباعهم في المنطقة في صورة لتِكرار جريمة النكبة بعد ٧٧ عاماً.

في الذكرى الـ 77 للنكبة:
القضية الفلسطينية في مواجهة التحديات

د. انتصار الدنّان ـ كاتبة صحفية فلسطينية ـ لبنان

مقدمة

في الخامس عشر من أيار/مايو من كل عام، يتأجج الجرح الذي لم يندمل أبدًا، جرح النكبة التي أدت عام 1948 إلى تهجير أصحاب الأرض بعد التنكيل بهم، وسرقة أراضيهم، وفي هذا التاريخ يحيي الفلسطينيون ومعهم أحرار العالم هذه الذّكرى، التي شهدت في عام 1948 تهجير ما يزيد عن 750 ألف فلسطيني من أراضيهم وقراهم، وتدمير مئات البلدات، على يد العصابات الصهيونية، لتُقام على أنقاضهم دولة الاحتلال الإسرائيلي.

هذا العام تحل الذكرى السابعة والسبعون في ظل أوضاع مأساوية متفاقمة، خاصّة في ظلّ ما يحدث من حرب إبادة بحق الشعب الفلسطيني في غزة، حرب مختلفة بكل المعايير، من تقتيل وتجويع وتهجير، ومحو عائلات من السجل المدني بأكمله، حرب تقضي على كل بارقة أمل كانت تعيش في غزة، هذه الأوضاع تجعل من القضية الفلسطينية أكثر القضايا إلحاحًا على الضمير الإنساني، الذي مازال مهادنًا للعدو برغم كل ما يرى ويسمع من ممارسات هذا العدو الذي تسلحه أقوى الدول بالأسلحة المتطورة الفتاكة.

النكبة.. جرح لم يندمل

النكبة ليست حدثًا تاريخيًا عابرًا، بل جرحٌ مفتوح ما زال ينزف حتى اليوم. فالفلسطينيون الذين طُردوا قسرًا من أراضيهم لم يُسمح لهم بالعودة، رغم قرارات الأمم المتحدة، وعلى رأسها القرار 194، الذي ينص على حق العودة والتعويض. ويعيش ملايين اللاجئين الفلسطينيين اليوم في الشتات، موزعين بين مخيمات اللجوء في الدول المجاورة والمهجر، يعانون أوضاعًا إنسانية صعبة، وظروفًا سياسية واقتصادية معقدة، وتهميشًا لحقوقهم المدنية والاجتماعية، وذلك بحسب كل دولة يعيشون فيها.

القضية الفلسطينية اليوم ترزح تحت تحديات متصاعدة:

في العام السابع والسبعين للنكبة، تواجه القضية الفلسطينية تحديات غير مسبوقة، من أبرزها:

1. العدوان المتواصل على غزة: الحرب الإسرائيلية المستمرة على قطاع غزة منذ تشرين الأوّل/ أكتوبر 2023، الّتي خلّفت آلاف الشهداء والجرحى، ودمرت البنية التحتية، وقضت على سبل الحياة كافة، في مشهدٍ أعاد إلى الأذهان النكبة بكل تفاصيلها.

2. توسع الاستيطان وتهويد القدس:

تتسارع اليوم وتيرة الاستيطان في الضفة الغربية والقدس الشرقية، ويعمل العدو بشكل كثيف على محاولة تهجير سكان الشيخ جراح وسلوان، والاعتداء على مخيمات الضفة الغربية، وتدمير البنية التحتية، ومنع إصلاحها، ما يهدد الوجود الفلسطيني، والهوية الفلسطينية في المدينة المقدسة ويقوض حل الدولتين.

3. الانقسام الفلسطيني الداخلي: الانقسام السياسي الحاصل بين الفصائل الفلسطينية، يُضعف الموقف الفلسطيني الموحد في مواجهة الاحتلال الصهيوني، ويعطل جهود المصالحة وإعادة بناء المؤسسات الوطنية.

4. تطبيع بعض الدول العربية: إنّ اتفاقيات التطبيع التي وقعتها بعض الدول العربية مع العدو الصهيوني، دون تحقيق أي تقدم في الحقوق الفلسطينية، شكّلت ضربة جديدة لطموحات الشعب الفلسطيني، وأضعفت التضامن العربي معه، خاصّة في ما يحصل بغزة من إبادة جماعيّة، وتهويد مناطق الضّفة وزيادة

عدد المستوطنات.

5. الموقف الدولي المزدوج: رغم تعاطف شعوب العالم المتزايد مع القضية الفلسطينية، ما زالت القوى الكبرى، خاصة الولايات المتحدة، تدعم العدو عسكريًا وسياسيًا، مع تقاعس الأمم المتحدة أو عجزها أمام هذه الدّول العظمى عن اتخاذ خطوات رادعة لوقف الجرائم بحق المدنيين.

ما هي التّحدّيات الّتي يواجهها الشّعب الفلسطيني... ما العمل؟

في ظل هذه التحديات، تبقى الإرادة الشعبية الفلسطينية صامدة أمام آلة القتل الصهيونية، كما يُظهره صمود أهالي غزة والضفة، والاحتجاجات المتواصلة في الشتات. ولكي تبقى القضية الفلسطينية حية في الضمير العالمي، هناك حاجة ماسة إلى:

- استعادة الوحدة الوطنية الفلسطينية.
- تعزيز المقاومة الشعبية والدبلوماسية.
- دعم الجهود الدولية لمحاسبة الاحتلال على جرائمه.
- الحفاظ على الرواية الفلسطينية وتوثيق جرائم النكبة وما بعدها.
- بناء جبهة عربية ودولية داعمة للحقوق الفلسطينية، على أسس العدالة وحق تقرير المصير.

مع مرور إضافي وتعداد لسنوات النكبة، وفي الذكرى السابعة والسبعين للنكبة، تعود الأسئلة المؤرقة لتطرح نفسها من جديد: هل العالم مستعد لإنهاء هذا الظلم التاريخي؟ وهل سيبقى الشعب الفلسطيني وحده في مواجهة آلة الاحتلال؟ هل ستشهد القضية الفلسطينية تحولًا جديدًا في الصراع مع هذا العدو بعد ما يقوم به في الضفة والقطاع، وبعد تضامن عدد كبير من الدول الأوروبية وغيرها مع ما يواجهه الشعب الفلسطيني من حرب إبادة وتهجير وتجويع؟

رغم الألم والمآسي، تبقى النكبة شاهدًا حيًا على الظلم الذي لم يتوقف، وتبقى القضية الفلسطينية، برمزيتها وعدالتها، منارة لكل من ينشد الحرية والكرامة في هذا العالم، وبرغم الوجع ستبقى هذه القضيّة حاضرة حتى تحرير فلسطين.

نداء غزة في الذكرى 77 للنكبة بين ساحات الضمير وساحات المصير

د. عابد الزريعي ـ مدير مركز دراسات أرض فلسطين للتنمية والانتماء

تتميز ذكرى النكبة بسمات خاصة تجعلها ذات معنى ودلالات مختلفة قياساً لكل المناسبات الفلسطينية المعروفة، ويعود التميز في هذا المستوى إلى أن النكبة وبالرغم من أنها ألقت بكلكلها على صدر الشعب الفلسطيني الذي دفع أثماناً غالية جراءها، إلا أنها في نسيج حدوثها وانعكاساتها تتشابك مع كل صغيرة وكبيرة في الحياة العربية الرسمية والشعبية، ليس فقط من زاوية دور النظام الرسمي العربي في صناعة كثير من فصولها، بل للانعكاسات المصيرية التي تركتها على حياة هذه الأمة ومستقبلها. وفي هذا السياق حملت الذكرى 77 للنكبة تميزاً خاصاً ضمن ذلك التميز، لما انضوت عليه من انتظارات ارتباطاً بالأحداث والحوادث التي سبقتها وساوقتها وستتلوها. خاصة وأنها جاءت وغزة تواجه قدرها على مرأى ومسمع العالم، بدءاً من محيطها العربي وانتهاء بالعالم الفسيح. لم تكن غزة بحاجة إلى أن تهتف بالنداء فالذكرى 77 للنكبة وفي هذا التوقيت في جوهرها هتاف ونداء واضح المعنى والدلالات. لقد كانت الذكرى بالنسبة لغزة مناسبة للقيام بعملية مسح بصري لمحيطها الإقليمي على المستويين الشعبي والرسمي أولاً، وللعالم ثانياً، لتقارن وتستخلص وتطلق نداءها المستند للعزة رغم أوجاعها. فتبدت لها الساحات كساحات ضمير وساحات مصير، وتبدى لها واقع ساحات المصير بوضوح شديد، وسردت مطالبها التي تشكل في جوهرها مطالب استنهاض لمحيطها الإقليمي ليس من أجل ذاتها بمحدوديتها الجغرافية، ولكن بانفتاحها الرمزي والدلالي الذي يغطي كل جغرافية الأمة من محيطها إلى خليجها.

أولاً - ساحات الضمير والمصير:

وهي تلك الساحات الأوروبية التي احتشدت شوارعها ومدنها بملايين البشر في الذكرى 77 للنكبة، للإجابة على وخز سؤال الضمير الإنساني الذي بات يؤرقها وهي ترى عمليات الإبادة الجارية التي تقوم بها آلة الدمار الصهيونية، تلك الجماهير التي احتشدت في ذكرى النكبة بكثافة وتأثير، وقوة تعبير عن الموقف حتى إن المتظاهرين وفي بعض المدن اختاروا أن ينزلوا للشارع بلباس موحد أحمر اللون كدلالة على دم الأطفال والنساء والشيوخ والمرضى الذي يهدر في غزة نتيجة لحرب الإبادة، وصاغت هتافها وشعارها الموحد تحت عنوان الحرية لفلسطين، وأصرت على الثبات في الساحات، ليجد هذا الإصرار ترجمته في تطور الموقف الرسمي الأوروبي تجاه الكيان الصهيوني بما يكشف عن فاعلية وحنكة القوى الحية في الحشد والتنظيم ومراكمة الفعل بشكل تدريجي ولكن مدروس ليصل إلى مبتغاه في نهاية المطاف. وفي المقابل كانت ساحات المصير وهي الساحات العربية التي يرتبط مصيرها بنتيجة الصراع مع الكيان الصهيوني، تعيش نبضها المعتاد، وكأن خبر الذكرى 77 للنكبة بمعانيها ودلالاتها لم يصل إلى سمع الساحات العربية بمستوييها الرسمي والشعبي، باستثناء وقفات محدودة وبأعداد محدودة يكاد عددها لا يتجاوز أصابع يدي وقدمي الإنسان الواحد ــ باستثناءات قليلة ـــ، وهتافات باهتة بلا معنى أو دلالة، وتأوهات صامتة تعكس شعوراً بالعجز وقلة الحيلة. وكأن آذانها قد صمت وبدنها قد تصلب فلم يعد قادراً على الاستجابة لوخز سؤال المصير، الذي يفرض عليها أن تكون في المقدمة لأن المشروع الصهيوني ينال من مصيرها ووجودها، يضاف إلى ذلك أن هذا المصير بات معلقاً في كثير من نواحيه بنتيجة معركة قطاع غزة وبقدرة أهله على الصمود.

ثانياً - نداء غزة وشروط تلبيته:

وعلى أرضية هذه المفارقة تعيد غزة نداءها للشارع العربي ولقواه الحية وتدعوه إلى المبادرة باستعادة دوره وفعله، أو إعادة صياغته ليكون أكثر فعلاً وتأثيراً، وعلى أرضية الوعي بحقيقة الواقع الذي تعمل وتنشط في إطاره بدءاً من الإدراك أن هناك ساحات فعل جماهيرية قد فقدت بفعل السياسات الرسمية وغياب القوى الفاعلة أو انتزعت انتزاعاً، بما يعنيه ذلك من ضرورة تزخيم الفعل في الساحات المتبقية. خاصة وأن مستوى الحشد الجماهيري قد تراجع إلى حدود دنيا بما أفقده القدرة على التأثير. والانتباه للشعارات التي يتم رفعها، لأن الشعارات التي ترفع في الوقفات على محدوديتها شعارات عامة وليست مصوبة تجاه قضايا محددة وواضحة. والعمل على تطوير الأشكال التي تكاد تقتصر على وقفات محدودة، وإيجاد أشكال جديدة تتناسب مع قدرات وطاقات قطاعات جماهيرية كبيرة لا تجد لها مكاناً في الأشكال الشبابية القائمة. والاشتغال على الوعي في ظل استفراد القوى المضادة بوعي الغالبية العظمى من الناس. مع التأكيد على أن الغاية لكل فعل هي التأثير سواء بالمستوى الاستقطابي أي استقطاب قطاعات اجتماعية للمشاركة، أو بالمستوى التغييري أي تغيير سياسات رسمية بشكل إيجابي. وعلى ضوء وعي هذه الحقائق والعمل على تلافي جوانب الخلل تصوغ غزة نداءها المطلبي وتدعو إلى انخراط جميع أبناء الأمة ــ في كل المواقع ــ عبر منظماتها ومؤسساتها الشعبية في عملية الدعم والإسناد، للشعب الفلسطيني، وفي تدشين مرحلة جديدة لنضال حركة التحرر الوطني الفلسطينية، بوصفها موقعاً متقدماً في صراع الأمة العربية مع المشروع الصهيوني على طريق دحره وتحرير أرض فلسطين التاريخية ومن أجل تحقيق ثلاث حزمات من الأهداف وهي:

أولاً - أهداف الحماية وهي: حماية أبناء قطاع غزة من تداعيات العدوان الصهيوني، وتوفير الاحتياجات الإغاثية اللازمة. وحماية الإنجازات الإستراتيجية لمعركة طوفان الأقصى، بإسقاط مشاريع الإجهاض المطروحة. وحماية النضال الفلسطيني بوصفة نضالاً تحررياً من أجل التحرير والعودة وتقرير المصير وحماية ظهر المقاومة الفلسطينية، بمنع الكيان الصهيوني من التمدد في البلدان العربية.

ثانياً - أهداف المحاصرة وهي: محاصرة وملاحقة الكيان وعزله دولياً، قانونياً وسياسياً، بوصفه مجرم حرب. ومحاصرة وملاحقة المتواطئين مع الكيان ومن ضمنهم قوى التطبيع مع العدو الصهيوني.

ثالثاً - أهداف الكسر وهي: كسر دائرة الرتابة والتكيف والغرق في القضايا القطرية التي باتت تحيق بالجماهير العربية وتوسيع دائرة انخراط الجماهير العربية في عملية الإسناد والدعم بوصفها عملية نضالية تشاركية وكسر دائرة الحصار المضروبة على قطاع غزة وفي هذا السياق تأتي أهمية فتح معبر رفح لإدخال المساعدات للقطاع.

لقد جاءت ديناميكية ساحات الضمير كنتيجة طبيعية لمواظبة القوى الشعبية الحية وتطوير آليات عملها وفعلها بشكل مستمر ومتراكم، وهي مسالة ليست صعبة أو مستحيلة بالنسبة للقوى الحية في ساحات المصير، إذا تجاوزت خلافاتها على أرضية الوعي بالتناقض الرئيسي مع الكيان الصهيوني وهذا يشكل بدوره ضمانة لتطوير فعلها وقدراتها، وبالنتيجة قدرة على تلبية نداء غزة بما يليق.

في إحياء ذكرى النكبة الفلسطينية وعي عالمي متزايد لأبعادها

عبد النبي العكري - كاتب سياسي وناشط حقوقي من البحرين

تزامنت الذكرى ال77 للنكبة الفلسطينية 1948 مع نكبة جارية في فلسطين قد تكون أخطر من نكبة 1948 وتتمثل في حرب الإبادة الصهيونية ضد الشعب الفلسطيني وامتداداتها في لبنان وسوريا واليمن وإيران, بمشاركة أميركية وغربية وقد تجاوزت الشهر العشرين دون أن يلوح في الأفق نهاية لأبشع الحروب في هذا العصر. وتستهدف النكبة الجديدة استكمال نكبة 1948 بإبادة أكبر عدد من الفلسطينيين وإجبار من تبقى منهم على النزوح من فلسطين وبالتالي استكمال السيطرة الصهيونية على كامل فلسطين وتهويدها.

لكن ما يميز هذه الذكرى أيضاً المقاومة الباسلة للشعب الفلسطيني وتمسكه بأرضه رغم حرب الإبادة وتفوق العدو عسكرياً والدعم اللامحدود الذي لا سابق له من قبل حلفائه والعجز العربي وشلل المجتمع الدولي .

وبالمقابل فإن ما يميز إحياء هذه الذكرى هذا العام حركة التضامن العالمية الأهلية التي أطلقتها عملية طوفان الأقصى في 7 أكتوبر 2023 وبالمقابل مقاومة الدول الكبرى (باستثناء الصين وروسيا) والعديد من الدول الغربية وغيرها لإرادة شعوبها ومقتضيات القانون الدولي والقيم الإنسانية البديهية. وللتنويه فقد ترسخت حركات مقاومة للصهيونية والكيان الصهيوني وحرب الإبادة للشعب الفلسطيني وتواطؤ دولها في حرب الإبادة والمشروع الصهيوني, إلى حد التطابق كما في الحالة الأميركية.

وعلى وقع حرب الإبادة «الإسرائيلية» والتي تصاعدت بشكل مخيف في قطاع غزة, وتزامنت مع غزوة ترامب لمجلس التعاون الخليجي حيث من أهم تجلياتها شيطنة المقاومة الفلسطينية والعربية وتبرير الجريمة الصهيونية والترويج للاتفاق الإبراهيمي والتطبيع مع الكيان الصهيوني والشرق الأوسط الجديد. فقد مثل التعاطي مع ذكرى النكبة دلالات مهمة في مسار الصراع ما بين التحرير والاستعباد.

ذكرى النكبة وحقيقة الكيان الصهيوني

حلت ذكرى النكبة في ظل حراك دولي أطلقه طوفان الأقصى في 7 أكتوبر 2023 وما تلاه من حرب الإبادة الصهيونية على الشعب الفلسطيني, وما ترتب عليها من شراكة غربية في الحرب وصراع سياسي وإعلامي وقانوني وفكري. من أهم جوانب هذا الصراع هو استعادة حدث النكبة في 1948 بأنها تأسيس لنكبات متتابعة للشعب الفلسطيني والأمة العربية والبشرية, وأن ما يجري الآن هو نكبة أخطر من نكبة 1948. وإذا كان جوهر نكبة 1948 هو اغتصاب الحركة الصهيونية 78% من فلسطين من خلال الاستعمار الاستيطاني والمجازر وإجبار الفلسطينيين على النزوح عن وطنهم. وقيام دولة «إسرائيل" على أنقاض دولة فلسطين, وإضفاء الشرعية عليها بقرار من الأمم المتحدة ودعم واسع من قبل الدول الغربية بقياده أمريكا. ومن حينها انطلق المشروع الصهيوني, لإقامة «إسرائيل» الكبرى, وإحباط المشروع الوطني الفلسطيني والقومي العربي بتحرير فلسطين ,وإنهاء الاستعمار في الوطن العربي وتوحيد الأمة العربية وتقدمها.

من هنا فإن وظيفة الكيان الصهيوني أن يكون قاعدة متقدمة للغرب وحاجزاً يحول دون تواصل الأمة العربية ووحدتها, وأداة الغرب لإقامة الشرق الأوسط الجديد على أنقاض الوطن العربي. وهكذا فإنه في ذكرى النكبة وفي غمار حرب الإبادة الجارية يجري الترويج لهذا المشروع بالتسليم بشرعية «إسرائيل» في حدود مفتوحة, وإقرار الدول العربية واعترافها «بإسرائيل» وتطبيع العلاقات معها. في إطار شرق أوسط جديد تحت الهيمنة الغربية والدور القيادي للكيان الصهيوني .

مقاومة المشروع الصهيوني الغربي

في ذكرى النكبة وفي خضم الحراك الدولي لمواجهة المشروع الصهيوني الغربي, اتخذ الحراك أبعاداً سياسية

وفكرية وأيديولوجية, وشارك فيه في البداية الطلبة الجامعيون وتوسعت لتضم جماهير واسعة ساحاتها الجامعات والميادين والشوارع. ونهضت أحزاب وشخصيات معارضة حكوماتها في تحالفها ودعمها للكيان الصهيوني, حيث شهدت البرلمانات والفعاليات السياسية هذا الصراع. كما أن شخصيات أكاديمية بارزة ومنهم يهود معادون للصهيونية تصدوا لتشريح الحركة الصهيونية والتحالف الغربي وطبيعة «إسرائيل» ككيان عنصري يتوجب تفكيكه, وقيام دولة فلسطينية ديمقراطية لكل أبنائها. وباستثناء بضع دول مثل إسبانيا وإيرلندا وجنوب أفريقيا وكولمبيا, توافق فيها موقف الدولة وأحزابها الحاكمة مع شعوبها ونخبها في نصرة الحق الفلسطيني, فإن الدول الغربية تشهد انقساماً حاداً حول الانحياز للكيان الصهيوني وإنكار حقوق الشعب الفلسطيني.

احتجاجات واسعه وقمع متزايد

في ذكرى النكبة واستمراراً للحركة الاحتجاجية فقد شهدت عدة جامعات احتجاجات واسعة, وتحولت حفلات التخرج إلى مهرجانات للتعبير عن جوهر الصراع والاحتجاج على انحياز إدارات الجامعات للسياسة الرسمية والتعاون مع الجامعات والمؤسسات «الإسرائيلية» والاستثمار فيها. كل ذلك رغم إجراءات القمع ومعاقبة الطلبة والأكاديميين المحتجين بفصلهم أو إبعادهم من البلاد.

كما أن ذكرى النكبة تزامنت مع احتفالات التخرج للعديد من الجامعات الأميركية حيث تحولت إلى تظاهرات للتضامن مع الشعب الفلسطيني ومقاومته وفضح طبيعة الكيان الصهيوني وحرب الإبادة ضد الشعب الفلسطيني في غزة وباقي فلسطين. وقد استغل البعض كلمات التخرج التي تلقى نيابة عن الطلبة الخريجين لتبيان نكبة 1948 ومسيرة نكبات الشعب الفلسطيني حتى النكبة الحالية. ومن هذه الجامعات جامعة كولمبيا وجامعة هارفرد وجامعة جورج تاون وجامعه ييل في أمريكا وجامعة كامبردج في بريطانيا وجامعة إلسيانس بو في فرنسا وغيرها. وقد عمدت بعض الجامعات إثر ذلك إلى إلغاء شهادات بعض الخريجين ممن شاركوا في الاحتجاجات .

كما تصادفت ذكرى النكبة هذا العام مع أهم مهرجان سينمائي في العالم وهو مهرجان كان السينمائي. وكان المهرجان قد اختار الفيلم الفلسطيني «ضع روحك على كفك وامضي « حيث مصورته ونجمته المصورة الصحفية الفلسطينية فاطمة حسونة والتي اغتالتها القوات «الإسرائيلية» هي وعائلتها في غزة بعد أيام من ترشيح الفيلم لمهرجان كان للأفلام الوثائقية والذي يوثق لحرب الإبادة في غزة. وقد عزز ذلك من حضور القضية الفلسطينية والنكبة الجارية في مهرجان كان. فقد خاطبت الممثلة الفرنسية رئيسة لجنة التحكيم جولييت بينوشيه في خطاب افتتاح المهرجان شارحة الأحداث المذكورة وأن فاطمة حسونة يجب أن تكون بيننا ولكن «إسرائيل» اغتالتها ككثير من الفلسطينيين في غزة, ونوهت لدور الفن السينمائي في تجسيد أحلام البشرية. هذا وقد وقع المئات من كبار الفنانين المشاركين في المهرجان على بيان يدينون فيه حرب الإبادة التي تشنها «إسرائيل "ضد الشعب الفلسطيني.

وقد شهدت العديد من البرلمانات والجامعات والفضائيات ومواقع التواصل الاجتماعي والمنتديات والمؤتمرات مناظرات حامية حول جوهر الكيان الصهيوني والحركة الصهيونية وأبعاد حرب الإبادة وسياسات الدول الغربية وبرامج ومواقف الأحزاب, حيث أعيد إلى النقاش جوهر وأبعاد الصراع . وقد برز أكاديميون وسياسيون وبينهم يهود في فضح طبيعة الكيان الصهيوني والصهيونية وطبيعة الأنظمة الغربية الرأسمالية المعادية للإنسانية والمتحالفة مع الحركة الصهيونية و»إسرائيل» والمعادية لشعوبها وللبشرية. وقد برزت شخصيات على نطاق وطني وعالمي ومنهم السناتور الأميركي بيرني ساندس والأكاديمي الأميركي جيفري ساخس والإعلامي مهدي حسن والبرفسور اليهودي إفي شليم وزعيم حزب فرنسا الأبية جان لوك ميلانشون والبرلماني البريطاني جيرمي كوربن وغيرهم .

جاء إحياء ذكرى النكبة 1948 على وقع حرب الإبادة في فلسطين المحتلة ليفضح طبيعة هذا التحالف الشرير ما بين الصهيونية وكيانها الغاصب والرأسمالية المتوحشة وأنظمتها. وتجلت في الانهيار الأخلاقي للغرب وتنكره للمبادئ والقيم الإنسانية التي طالما بشر بها، وهكذا شهدت عدة دول في أوروبا وأمريكا الشمالية وأمريكا اللاتينية وشرق آسيا أوسع حركة احتجاجية. وفي معظم هذه البلدان, ووجهت هذه الاحتجاجات بالقمع الشديد ومعاقبة المحتجين خلافاً لدساتير وقوانين هذه البلدان دعاة الديمقراطية وحرية الرأي والتعبير والمعتقد حيث تهمة معاداة السامية جاهزة للتجريم .

يتم ذلك في ظل صعود متواصل لليمين واليمين المتطرف إلى السلطة في أمريكا ممثلاً بحكم ترامب والحزب الجمهوري وفي عدد من الدول الأوروبية والذي انعكس على دعمها الفاضح للكيان الصهيوني في حرب الإبادة, حيث تستمر هذه الدول بإمداد «إسرائيل» بالأسلحة والذخائر المستخدمة في حرب الإبادة وتوفر له الحصانة من المحاسبة وتتنكر للحق الفلسطيني. وانعكس ذلك على تصديها للحركة الاحتجاجية ومصادرتها لحقوق مواطنيها والمقيمين فيها بقمع الاحتجاجات ومحاصرة حرية التعبير ومعاقبة النشطاء, وهو ما تجلى في قمع الاحتجاجات والتظاهرات والفعاليات في ذكرى النكبة. رغم ذلك فإن المظاهرات والاجتماعات الحاشدة لإحياء ذكرى النكبة ودعم الشعب الفلسطيني وإدانة «إسرائيل» والصهيونية والتواطؤ الغربي لا سابق له.

تكمن المفارقة في غياب ومحدودية الفعاليات لإحياء ذكرى النكبة في غالبية البلدان العربية والإسلامية حيث هامش الحريات محدود في غالبيتها, في حين أن بعض أنظمتها إما مطبع أو متواطئ أو ساكت عما يجري والبعض ينتظر الظروف المواتية للانخراط في التطبيع.

غزة في مرمى الكاميرات:
البث المباشر كأداة للهيمنة والتضليل

وسيم السلطي – صحفي وكاتب فلسطيني / سورية

منذ السابع من أكتوبر/تشرين الأول 2023، وبداية حرب الإبادة الإسرائيلية على غزة، لم تغب غزة عن شاشات العالم. كلما التفتنا إلى الهاتف أو التلفاز، وجدنا صوراً من هناك؛ من بقعة صغيرة صارت مركز البث الحي للدمار. الجميع ينقل صوراً ومقاطع من داخل غزة وخارجها، حتى تحولت المأساة إلى مشهد يومي مألوف.

لقد أصبحت الكاميرا أداة مركزية في إدارة الصراع، ليس فقط من ناحية التوثيق، بل كجزء من الإستراتيجية السياسية والإعلامية للطرفين، والنظام الدولي برمّته.

التوثيق المزدوج: سلاح بين أيدي الضحية والجلاد

المشهد الإعلامي منذ بداية الحرب يوضح بجلاء أن الطرفين يدركان قوة الصورة: الاحتلال يستخدمها لشرعنة عملياته، وإظهار تفوقه العسكري والتقني، يوثق عدوانه بالكاميرا، يرسل للعالم لقطات دقيقة للقصف والتدمير. فيما يوظف الفلسطينيون الكاميرا لكشف حجم المأساة، وكسب التعاطف الدولي. يوثقون المعاناة، ويصرخون بما تبقّى لهم من صوت. وبين هؤلاء وأولئك، عالم يشاهد: بعضه يعيد البث تضامناً، وبعضه مشاركةً في الجريمة.

لكن الفرق يكمن في من يملك السيطرة على الخطاب الإعلامي العالمي. فإسرائيل، بما تملكه من منصات ودوائر تأثير غربية، قادرة على توجيه السردية نحو «الدفاع عن النفس» و«محاربة الإرهاب». بينما الفلسطينيون، رغم قدرتهم على إيصال الصورة، ما زالوا يواجهون روايات أمنية تحاكمهم لا باعتبارهم ضحايا وأصحاب حق، بل كمصدر تهديد.

العرض لا الفعل: من التضامن إلى الفرجة

تحوّل غزة إلى ما يشبه «عرضاً مباشراً» لجريمة إنسانية يومية يُشير إلى خلل عميق في النظام الدولي. المشاهد المفجعة لم تعد تحرّك القرار السياسي بقدر ما أصبحت محتوى يُستهلك. تكرار الصور، وتطبيع المأساة، جعلا الكارثة جزءاً من «تدفق الأخبار» لا غير.

في هذا السياق، يمكن القول إن الاحتلال نجح نسبياً في تحويل الضحية إلى «مادة بصرية»، تُفرّغ من بعدها السياسي، وتُعرض بوصفها مأساة إنسانية منفصلة عن الأسباب الجذرية، وهي الاحتلال نفسه.

إستراتيجية الترهيب والتفاخر: حين تصبح الكاميرا أداة حرب

اللافت في هذا العدوان ليس فقط حجم العنف، بل توثيقه بفخر من قبل جيش الاحتلال. جنود يُصورون وهم يقصفون، يرقصون على أنغام الموسيقى، ويهتفون بالنصر أمام كاميراتهم الخاصة. مشاهد لجنود يخربون بيوت الفلسطينيين، يُحطمون الجدران. هذه المشاهد ليست عفوية، بل موجهة ومدروسة: رسالة قوة وعقاب جماعي، ورسالة تحريض داخلي، ورسالة تحدٍّ للمجتمع الدولي.

وبثّ مشاهد الأسرى الفلسطينيين عراة أو مقيدي الأيدي في ظروف مهينة، هو ممارسة ممنهجة تُخاطب الداخل الإسرائيلي أولاً، لترسيخ صورة الانتصار والإذلال، وتخاطب الخارج كرسالة بأن إسرائيل لا تخشى المحاسبة.

الإعلام كأداة سياسية لا كشاهد محايد

الكم الهائل من التغطية الإعلامية لا يعني بالضرورة أن القضية الفلسطينية تحظى بتضامن عالمي كافٍ. فبعض التغطيات تسعى إلى موازنة كاذبة، أو نشر السردية الأمنية للاحتلال، بينما يُظهر الإعلام الغربي تقصيراً ملحوظاً في مساءلة الاحتلال أو تسميته كمعتدٍ.

هذه المعادلة تُبرز الفجوة بين الواقع على الأرض وطرق تغطيته، وتضع الإعلام كجزء من الصراع، لا كوسيلة نقل موضوعية.

ما يجري في غزة ليس مجرد مأساة إنسانية، بل معركة سردية أيضاً. الاحتلال يستثمر في الصورة لتكريس روايته وتعزيز ثقافة العقاب، والفلسطينيون يستخدمونها للنجاة من محو الوجود والذاكرة. لكن المجتمع الدولي، بعجزه أو تواطئه، يشارك في تحويل الجريمة إلى عرض بصري مستمر، تُستهلك دماء الضحايا فيه كأخبار عاجلة، لا كقضية عدالة.

في التاريخ، ارتُكبت جرائم بشعة، بعضها في ساعات، وبعضها استمر سنوات. لكن لم يحدث من قبل أن بُثّت جريمة بهذه الدرجة من العلنية والدوام. غزة تُقصف وتُصور. يُقتل أهلها ويُعرض مقتلهم. مدينة كاملة أصبحت ساحة عرض، وبدلاً من أن توجِع القلوب، باتت تملأ شاشات المتفرجين.

الاستهداف المسموم خلف «التسريب» المزعوم

أحمد بهاء الدين شعبان - الأمين العام للحزب الاشتراكي المصري

لم تكن عملية النشر الواسع النطاق، وفي منابر إعلامية متعددة، داخل مصر وخارجها، في آن واحد، والتي سُميت «تسريبًا»، لحديث الرئيس الراحل «جمال عبد الناصر»، عملية عشوائية أو محض صدفة، فالتوقيت المُختار بعناية، يكشف بوضوح عن مقاصدها والغايات المُستهدف تحقيقها، والتي تقف وراءها جهات لا تخفى على لبيب!

فهذه «الحملة» المُنظّمة، إضافةً لتلويث سمعة «الزعيم»، الذي لا زالت ذكراه وإنجازاته، الوطنية والقومية، مذكورة بالتقدير، حتى بعد رحيله عن دنيانا بخمسةٍ وخمسين عاماً، تسعى إلى تحقيق غايةً آنية، لها علاقة وثيقة بصمود الشعب الفلسطيني الباسل، وتحديه للعدوان الهمجي الذي فاق كل أشكال العنف وصور الإبادة المعروفة عبر التاريخ، ونشر حالة من اليأس والإحباط، وفقدان الثقة واليقين، في الماضي والحاضر والمستقبل، لإقناع فلسطينيي غزة، ومن بعدهم باقي أبناء الشعب الفلسطيني في الأرض المحتلة، وسائر فصائل وشخصيات الحركات الوطنية المقاومة للإمبريالية الأمريكية والكيان الصهيوني وأشياعهما، بألّا سبيل أمامهم إلا الاستسلام والركوع، والقبول بالشروط الصهيو ـ أمريكية، المُبَارَكة من الرجعيات العربية التابعة والعميلة، تماماً مثلما فعل (زعيمكم عبد الناصر!) وأشار إليه بالصوت والصورة، كما كشف التسجيل المُسرّب!

فمنذ «طوفان الأقصى» ومحطات تلفزيونية خاصة، تَبث من القاهرة ومواقع عربية وأجنبية أخرى، تمارس دور «الطابور الخامس» علناً، وتعمل، على التشكيك في جدوى المقاومة الفلسطينية، وتُحَمِّل شعب فلسطين وأهل غزة مسؤولية ما حاق بمواطنيهم ومدنهم من دمار وخراب، وتهاجم بضراوة كل من يقول «لا» للمؤامرة الصهيونية الأمريكية لتهجير أبناء الشعب الفلسطيني خارج غزة، بتهمة «التطرّف» و«استفزاز الطرف الصهيوني والأمريكي»، و«جر المنطقة وغزة للهلاك»، ... إلخ، وكأن الشعب الفلسطيني كان يحيا هانئاً مُنَعَّماً قبل «الطوفان»، وكأن السجون الصهيونية لم تكن مكتظة بآلاف الأسرى، وكأن البيوت لم تكن تُهَدَّم، والأرض الفلسطينية لم تكن تُنهب عياناً بياناً، تحت سمع وبصر العالم وأنظمة العرب، من المستوطنين المتطرفين... إلخ.

والمُغالطة الأولى في قضية التسجيل المُشار إليه، أنه لم يكن «تسريباً»، على الإطلاق، فمفهوم «التسريب» يفترض في المادة المُسَرَّبة صفة السريّة والكتمان، وهذا أمر عارٍ تماماً من الصحة، بينما الفيديو المُذاع كان تسجيلاً قديماً، موجوداً ومُتاحاً بأرشيف الرئيس الراحل بمكتبة الإسكندرية منذ عام 2004، ومتوفراً لكل من أراد الاستماع إليه، حسبما أوضح البيان الصادر عن المكتبة، وأحاديث مسؤوليها، بعد الجدل الدائر حوله.

أما المُغالطة الكبري، فتعود إلى عملية التدليس الواضح في قراءة وتفسير مضمون «التسجيل» المُذاع، وبالذات ما صدر عن «جمال عبد الناصر»، في تجاهل مقصود لوضع وحال مصر والنظام، الخارجين من هزيمة عسكرية خطيرة، وفي حالة سيكلوجية حرجة، يُضاعف منها تأثيرات اقتصاد مأزوم، والتزامات مُلحّة للملمة الجراح على كل المستويات لا تقبل التسويف أو التأجيل، وإنكار تفاعلات اللحظة التاريخية الفارقة التي صدر فيها تصريح عبد الناصر بتناقضاتها المؤثرة، مع التجاهل التام لما كان يتهدّد مصر من نتائج العدوان الصهيوني المُتصاعد دون رادع أو موانع!

فقد خرجت القوات المُسَلّحة من وقائع الخامس من يونيو / حزيران 1967، بحالة لا تُحسد عليها، فاقدةً لأغلب أسلحتها وعدداً لا يُستهان به من كوادرها وجنودها، وبتحطيم أسطولها الجوي بالكامل على الأرض، والأخطر تداعيات اهتزاز صورتها وانحطاط مكانتها من جراء الهزيمة النكراء في الحرب التي لم يُتح لجيشنا أن يخوضها بسبب رعونة القيادة العليا، ما أدّى إلى وجود قوات الاحتلال الصهيوني فوق ضفة قناة السويس، على مرمى حجر من القاهرة، وكانت عملية إعادة بناء القوات المسلحة المصرية أسطورة حقيقية للبطولة والعطاء، خاصةً في ظروف انفجار الحركات الشعبية والطلابية التي عبّرت عن غضبها من الهزيمة، ومطالبتها الحادة بإعداد البلاد للحرب والثأر، فضلاً عن الصراعات داخل المؤسسة الحاكمة لإزاحة عبد الحكيم عامر عن مواقع القيادة العسكرية بعدما ترتب على سلوكها من كوارث.

وقد قادَ تَحَطُّم الطيران المصري في قواعده الأرضية إلى تعرية مصر من أية قدرة لمواجهة العربدة الصهيونية في السموات المصرية، فراح طيران العدو يستبيح البلاد، يضرب المدن، ويقذف المصانع، ويجتاح مدارس الأطفال، ويدك المواقع العسكرية بلا رادٍ أو مُمانعة، فيما وقفت الظروف الاقتصادية الصعبة حائلاً دون القدرة على التعويض السريع للخسائر الفادحة وتلبية الاحتياجات المُلحّة!

وفي هذه الظروف كان النظام

الناصري أمام تحديات هائلة على كل الجبهات، جميعها واجبة الإنجاز عصيّة على التأجيل، وفي مقدمتها تلبية الحاجات المعيشية لملايين المصريين، في ظل تعطُّل قناة السويس، وانشغال كثير من المصانع المُنتجة في تأمين حاجات المجهود الحربي الأساسية، ومواجهة تبعات ساحة الحرب المُشتعلة، وأهمها تحديات بناء «حائط الصواريخ» لاعتراض الطيران الإسرائيلي، ومنعه من استباحة البلاد، حيث «أُلحقت بمصر خسائر فادحة، وبلغت الخسائر والأضرار المادية والمعنوية التي سببتها غارات الفانتوم الإسرائيلية على مصر حداً هائلاً فاق كل تصور».(1)

وقد بذل القادة العسكريون المصريون جهداً فائقاً لتذليل العقبات التي واجهت عملية «إعادة بناء الجيش المصري»، وإعداده تقنياً ونفسياً في أعقاب هزة الهزيمة، واستُشهد بعض أبرز وأكفأ قياديهم، في هذه المرحلة العصيبة، في مقدمتهم «الجنرال الذهبي»، الفريق أول عبد المنعم رياض، قائد الأركان، ولجأت القوات المسلحة إلى تطوير «نوعية» المقاتل المصري، بتجنيد نحو مئة ألف شاب من خريجي الجامعات لكي يكونوا مؤهلين للتعامل مع الأسلحة والمعدات الإليكترونية المعقدة، وقدّم السوفييت لجمال عبد الناصر مُساعدات بالغة القيمة: أسلحة وذخيرة، ومئات الدبابات، والصواريخ، والطائرات، وطيارين، ومدربين، وخبراء، ومُعلمين، واقتضى بناء حائط الصواريخ، القادر على التصدي لهجمات الطيران الصهيوني، استشهاد المئات من العمال والعسكريين المصريين بل وعشرات من العسكريين والخبراء السوفييت، الذين كانوا يعملون في العراء بلا ساتر يحميهم من القصف الإسرائيلي الوحشي، في ملحمة بطولية عز نظيرها!

لكن الوضع كان بحاجة إلى المزيد من الوقت لاستكمال بناء الجدار الصاروخي القادر على وضع حد للعربدة الإسرائيلية، وهو ما اقتضى قبول «عبد الناصر» لمبادرة «روجرز»، وزير الخارجية الأمريكي، التي تضمنت هدنة من الزمن، كان الجيش المصري أحوج ما يكون لها، للانتهاء من بناء قواعد الصواريخ ونصبها وتجهيزها للمواجهة وإكمال شبكة الدفاع الجوي، وهو ما أُنجز، بسرعة وكفاءة فائقة، بمجرد وقف إطلاق النار ليلة 7 و8 أغسطس 1970، حيث تم تحريك حائط الصواريخ الذي كان على مبعدة 40 ـ 50 كيلومتراً من قناة السويس، إلى مدى لا يبعد عنها إلّا 12 كم، وهو ما سمح بتوفير الحماية للجيشين الثاني والثالث، اللذين لعبا دوراً كبيراً فيما بعد، في عملية «العبور» يوم السادس من أكتوبر عام 1973 وتجاوز عائق القناة المنيع!

وقد احتاج النجاح في هذه الخطوة الفاصلة إلى جهدٍ جهيد، على أعلى درجة من الكتمان والحرفية، الأمر الذي فاجأ العدو مُفاجأة كبيرة، وأتي أُكله سريعاً بتكبيد سلاح الجو الصهيوني المتفوق، ومنعه من اجتياز السموات المصرية مُجدداً، ولإيقاع خسائر فادحة بين صفوفه وطائراته وطياريه، إلى حد دفع «عزرا وايزمان»، قائد القوات الجوية الإسرائيلية آنذاك، للاعتراف بأن «حرب الاستنزاف» التي استُئنفت فور استكمال بناء الجدار «هي أول حرب تخسرها إسرائيل». (2) وهي خطة كانت تقتضي درجة عالية للغاية من الاحتياط والسريّة، ولم يكن مُمكناً لعبد الناصر التصريح بها، وإلا سترفض أمريكا طرح هذه المبادرة، ولن تقبلها إسرائيل، وستستمر في استباحة الأرض المصرية وتدمير كل مقومات ردع العدوان عليها!

وبالطبع، وكما هو معروف، فقد رُفضت مبادرة «روجرز» من دول وفصائل عديدة، اشتدت في معاداة هذه الخطوة التي رأت فيها تنازلاً غير مقبول، بينما هي لا تدري شيئاً عن خلفيات ودواعي قبول عبد الناصر لها، وفي نفس الوقت لم يكن من الممكن ولا المُتاح أن يصرح الرئيس المصري بالسبب الحقيقي وراء قبولها!

وقد زايدت بعض الأطراف على عبد الناصر وقتها، وراحت تُطالبه بخوض حرب شاملة لتحرير فلسطين، كل فلسطين، المُحتلة منذ عام 1948، من النهر إلى البحر، وكافة الأراضي المحتلة بعد 1967، دفعة واحدة، دون أدنى اعتبار لقدرات النظام الناصري المطعون بعد كارثة 5 يونيو/ حزيران 1967، والمجتمع المصري المصدوم لكن المُصر على حرب استعادة الشرف والكرامة، ولا ظروفهما المادية والموضوعية، وهو ما جعل عبد الناصر، يُطالب مُنتقديه، والذين رماه بعضهم بالهزيمة والخيانة، بالذهاب وحدهم إلى الحرب التي يتصورونها، وهو أمر لم يجرؤ أيٌّ منهم على الإقدام عليه بالطبع! فقد كان همّه الأول ـ في تلك اللحظة بالذات ـ هو بناء الجدار المانع لتغوُّل الطيران الصهيوني، واسترداد الجيش المصري لعافيته، قبل الزج به في معركة تحرير الأرض المحتلة عام 1967، وهي معركة كان عبد الناصر يدرك أن دون الفوز فيها أهوال كبيرة وتضحيات لا سابق لها، والذي كانت ملحمة بناء حائط الصواريخ المصري العظيم، خطوة أساسية في مسارها البطولي، والتي لولاه ما كان لمصر أن تعبر القناة يوم 6 أكتوبر/ تشرين أول 1973.

.....

(1) أ. د. جينادي جورياتشكين، ذكريات مُترجم سوفييتي على الجبهة المصرية، دار أنباء موسكو، القاهرة، الطبعة الأولى، 2014، ص: 51.

(2) د. أحمد زكريا الشلق، مقدمة كتاب حرب الاستنزاف بين مصر وإسرائيل (1967 ـ 1970)، للباحثة إنجي محمد جنيدي، دار الكتب والوثائق المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، 2013، ص:10.

ويُمكن الرجوع إلى مصادر أخرى عديدة لدراسة مرحلة بناء حائط الصواريخ المصري: أهميتها وملابساتها، ومن أبرزها مذكرات الفريق أول محمد فوزي، وزير الحربية الأسبق، في جزأين: الأول بعنوان «حرب الثلاث سنوات (1967 / 1970)، دار الوحدة للطباعة والنشر، 1988، والجزء الثاني بعنوان: إستراتيجية المصالحة، دار الفالوجة للنشر، القاهرة، 2019.

في أقل من ثلاثة أشهر: ثلاث قمم عربية.. المحصلة صِفْرِية

محمد صوان ـ كاتب سياسي فلسطيني ـ تركيا

يوم 2025/3/4 انعقدت القمة العربية الطارئة في القاهرة، ويوم 2025/5/17 انعقدت القمة العربية العادية في بغداد، وبين القمتين القمة الخليجية بمشاركة الرئيس الأمريكي ترامب الذي استحوذ على «4» تريليون دولار «خاوة» من ملوك النفط وأمراء الغاز في الخليج !..

لقد كان المأمول من هذه القمم الخروج بخطة بديلة للخطة الصهيو أمريكية التي تقضي بالاستيلاء على كامل فلسطين التاريخية وتهجير الشعب الفلسطيني، وتصفية قضيته الوطنية !..

إن خطورة التحديات التي تواجه النظام الرسمي العربي تملي على دول المنطقة وقادتها إدراك أن ما هو مطلوب منها ليس مجرد الحديث عن « خطة لإعمار قطاع غزة « التي تكررت في القمّتين « الطارئة والعادية « فهذه مسألة عربياً ميسورة من الناحية الفنية، لكن بطريقة لا تؤدي إلى تهجير أهله وسكانه، ونزع سلاح المقاومة الفلسطينية المرابطة فيه!، فمصر والأردن أعلنتا رفضهما تهجير الشعب الفلسطيني سواء من الضفة أو القطاع « قسراً « وأيدت جميع الدول العربية هذا الموقف نظرياً، وأكد الشعب الفلسطيني رفضه القاطع مغادرة أرض وطنه طوعاً أو قسراً .. وعليه أصبح النظام الرسمي العربي مطالباً بالرد على كرة النار التي قذف بها ترامب إلى ملعبه بالتنسيق والمشاركة الكاملة مع مجرم الحرب نتنياهو، وبدعم مطلق من اليمين القومي الديني الأكثر تطرفاً في تاريخ هذا الكيان الصهيوني !..

تدّعي إسرائيل أن لدى قادة النظام الرسمي العربي دوافع سياسية وأيديولوجية للتخلص من « المقاومة « وأن رفض بعضهم تهجير الفلسطينيين، لأسباب أمنية لا يحول دون ترحيبهم بالقضاء على المقاومة ونزع سلاحها، غير أن هذا الادّعاء يبدو أقرب إلى البروبوغاندا الإعلامية أو الحرب النفسية، لا يستند إلى وقائع ملموسة، صحيح أن لدى أطراف من النظام الرسمي العربي خلافات سياسية حادة مع حركة المقاومة أو نزع سلاحها، قبل إنجاز « حل الدولتين»!

في جميع الأحوال فالنظام الرسمي العربي يعرف أن المقاومة هي السبيل الأكثر نجاعة لحماية حقوق الشعب الفلسطيني، سواء في القطاع أم الضفة الغربية، ولولا وجود المقاومة لتمكنت « إسرائيل « من سياسة الاقتلاع والتهجير كما حصل عام 1948، وبالتالي تعريض أمن الدول العربية المجاورة لمخاطر جمّة.. وقد أعلنت حركة « حماس « عن استعدادها « الانسحاب من المشهد « في حال توقف العدوان على غزة، وانسحاب إسرائيل منها، عندها تسلّم سلاحها لسلطة فلسطينية منتخبة من الشعب الفلسطيني، إذا تمكن هذا الشعب من ممارسة حقه في تقرير مصيره وإقامة دولته المستقلة..

وعليه فإن النظام الرسمي العربي مدعو حين يشرع بطرح رؤيته لإعمار قطاع غزة، أن ينتبه إلى أهمية الربط بين مصير القطاع والضفة الغربية والقدس، وأن يؤكد بشكل قاطع أن إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعودة اللاجئين إلى ديارهم وممتلكاتهم هو السبيل الوحيد لإقناع حركة المقاومة الفلسطينية بأنه حان الوقت لوضع السلاح جانباً، والتحوّل إلى أحزاب سياسية تتنافس للوصول إلى السلطة عبر الآليات الديمقراطية والوسائل السلمية!.

• الأهداف الحقيقية لحرب الإبادة :

لم يكن بمقدور « حركة حماس « أن تحقق كل ما تمكنت من إنجازه حين قررت القيام ب « طوفان الأقصى « لولا نجاحها في خداع العدو وأجهزته الاستخبارية، التي ادّعت أنها قادرة على « سماع دبيب النمل « في أنحاء البلاد العربية ،فما بالك بقطاع غزة الملاصق، والمحاصر من الجهات الأربع، ولكي يتمكن السفاح نتنياهو من ستر سوءات أجهزته الأمنية التي ضبطت عارية وعاجزة، قرر شن حرب إبادة شاملة على الشعب الفلسطيني، حدد لها أهدافاً معلنة هي: «القضاء على حماس ، واستعادة الأسرى الإسرائيليين»، أما أهدافها الحقيقية فهي «تهجير الفلسطينيين من كامل القطاع

، وإعادة احتلاله' وكذلك كامل الضفة الغربية تمهيداً لضمّها، كما أبدى نتنياهو استعداداً للتضحية بالأسرى جميعهم في سبيل تحقيق أهدافه المعلنة والخفية، لكنه وبعد مضي ما يقارب عشرين شهراً على حربه الدموية فشل في تحقيق أي منها، فلا هو استطاع القضاء على « حماس» ، ولا الشعب الفلسطيني هاجر من القطاع والضفة، وعندما بدأ الداخل «الإسرائيلي» يحاصره من أجل استعادة أسراه، لجأ إلى أسلوب الخداع والتضليل ، فأعلن وقف إطلاق النار في تشرين الثاني 2023، إلا أنه عاد إلى إطلاق النار بعدما تمكن من استعادة بعض الأسرى عبر المفاوضات.. وعندما ارتفع صراخ أهالي الأسرى، تقدم باقتراحات بنى عليها الرئيس الأمريكي السابق بايدن خطة لوقف إطلاق النار، أعلن عنها في أيار 2024، معتقداً أن المقاومة الفلسطينية سترفضها، وعندما فوجئ بموافقتها على الخطة، عاد نتنياهو إلى استخدام المناورات والحيل كلها إمعاناً منه في شراء الوقت اللازم لتحقيق « الانتصار المطلق » وبانتظار نتائج الانتخابات الرئاسية الأمريكية ، التي توقّع أن يفوز فيها ترامب ، صحيح أنه كسب رهانه.. مما اضطره لقبول ذات الخطة التي سبق لبايدن أن تقدم بها لوقف إطلاق النار قبل ثمانية أشهر، وذلك قبل يوم من دخول ترامب إلى البيت الأبيض ، ثم لم يلبث أن عاد وانقلب عليها !.

• متى يدرك النظام الرسمي العربي مصالحه؟

يبدو النظام العربي غير مدرك للآفاق التي فتحها صمود الشعب الفلسطيني وتشبثه بأرضه ، كما لم يدرك أهمية استثمار الزخم الشعبي الإقليمي والدولي سياسياً ودبلوماسياً ، حيث يملك هذا النظام اليوم فرصة نادرة قد لا تتكرر قريباً، تمنحه القدرة على تعزيز حضوره الإقليمي والدولي ، إلى جانب تعزيز مصالحه الضيقة منها – مصالح النظام المسيطر - ، والوطنية كذلك ، إذ يمر النظام الدولي بمرحلة عدم استقرار على خلفية تصاعد الصراعات والخلافات الدولية، خصوصاً بين المعسكرين الغربي « أمريكا و أوربا « من جهة والشرقي «الصين و روسيا « من جهة أخرى ، والتي أفضت إلى أزمات اقتصادية متعددة، فضلاً عن التنافس على الأسواق ، كذلك التمويل والاستثمار والاستدانة!

إن منطقتنا الإقليمية وموقعها الجيوسياسي وثرواتها الباطنية والبشرية تمنحها ميزة مؤثرة على كل ما سبق ، مما يمكّن دولها من لعب دور حاسم ، أو على الأقل فاعل ، في الصراع الدولي المحتدم اليوم وهو ما يمكنها من فرض رؤيتها بل إرادتها السياسية – إن وجدت – نلاحظ أيضاً بُعدين مهمين على الصعيد الدعائي والشعبي ، إذ طالما استثمرت الدول الكبرى مواقف شعوبها من النظام الرسمي العربي ، بل يمكن القول إنها ساهمت في تكوين نظرة شعبوية سلبية تجاهه ، وذلك عبر الترويج للرؤى الاستشراقية الفوقية تجاه مجمل الإقليم على اعتبار أنه « خارج التاريخ والحضارة «، من ناحية أخرى تراجعت ثقة شعوب المنطقة بالأنظمة المسيطرة، وهو ما انعكس من خلال توالي الأزمات الاجتماعية والانتفاضات الشعبية !.

بالرغم من سيطرة قوى الثورة المضادة على زمام الأمور في السنوات الأخيرة، فإن قدرتها على ضبط الشارع في المنطقة العربية تثير شكوكاً عديدة، خصوصاً بعد عملية « طوفان الأقصى « وتحديداً في الدول المطبّعة مع الاحتلال الصهيوني ، أو المتقاربة معه ، وعليه لا يزال النظام الرسمي العربي يملك أربع أوراق ضغط قوية :

- الأولى: الورقة الاقتصادية التي تشمل وارداته وصادراته ، إذ يمكن استخدامها بقطع العلاقات الاقتصادية مع كيان الاحتلال كلياً بداية ، ومع داعميه الغربيين تالياً ، مما يهدد بارتفاع أسعار المشتقات النفطية ، ويضع أمريكا وأوربا تحت ضغط أزمة طاقة يصعب تداركها، كما يؤدي قطع العلاقات الاقتصادية إلى خسارة دول المعسكر الغربي للسوق الإقليمية الكبيرة والمهمة، في حين يمكن لدول الإقليم تعويض تلك الصادرات من مصادر بديلة صينية وأفريقية وبرازيلية ، وهو ما يعزز تباطؤ النمو الاقتصادي الغربي ، ويرفع معدلات التضخم بشكل قياسي !.

- الثانية: الورقة الدبلوماسية، إن إقدام النظام الرسمي العربي على قطع العلاقات الدبلوماسية مع الدول الداعمة والمشاركة في حرب الإبادة والإرهاب الصهيوني، يعني تحوّل نوعي في التوازنات الدولية، بين المعسكرين المتصارعين، وهو ما يعني تداعيات نوعية على المدى القريب والمتوسط، وربما المدى البعيد أيضاً، فضلاً عن تداعياته السريعة على كيان الاحتلال الصهيوني، ودوره المفترض غربياً باعتباره عضواً مرافقاً في الاتحاد الأوروبي !.

- الثالثة: الورقة الجيوسياسية، من خلال استثمار موقع دول الإقليم المركزي في الصراع الجيوسياسي العالمي، على طريق التجارة البرية والبحرية والجوية، وهو ما يمنح النظام الإقليمي القدرة على استثمار هذه المصالح الحيوية للاقتصاد العالمي عبر تحويلها إلى أوراق ضغط، يمكنها أن تفرض رؤية تحررية وتطور بنيوي يلبي حقوق الشعب الفلسطيني، وطموح شعوب المنطقة التحررية والتنموية والنهضوية !.

- الرابعة: الورقة الإستراتيجية، تمتلك دول الإقليم بحكم أهميتها الاقتصادية والجيوسياسية خيارات إستراتيجية متنوعة وعديدة في الوقت الراهن،» صينية وروسية وأوروبية وأمريكية « أيضاً إذا أحسن استخدامها أو التلويح بها في ظل الصراع والتنافس الدولي المتصاعد اليوم .

وعليه، يملك النظام الرسمي العربي فرصة نادرة قد تمكنه من تحقيق تحوّل نوعي في مكانته الدولية ، قد تساهم في معالجة أزماته الوطنية ، وربما القومية، وتمكنه من تحقيق نهضة حضارية على مختلف الأصعدة ، اقتصادية وسياسية وثقافية ، تنعكس إيجاباً على مكانة شعوب المنطقة ودولها وقيمها .. كما قد يتعرض النظام الإقليمي / في حال تردده وامتناعه عن ذلك / إلى تحديات إستراتيجية كبرى، داخلية وخارجية، ربما يصعب تدارك تداعياتها المحتملة لاحقاً !..

ما بين زيارة ترامب وقمة بغداد حصاد أمريكي وفير... وقمة عربية مسلوقة

علي بدوان - كاتب وباحث فلسطيني ـ سورية

مقدمات زيارة ترامب... وقمة بغداد

انعقدت قمة بغداد العربية الـ 34 في 17 أيار/مايو 2025 وليوم واحد بعد تحضيرات وزارية مكثفة من دول الجامعة العربية، وبُعيد زيارة الرئيس الأمريكي دونالد ترامب لعدد من دول المنطقة، حين زارها قبل قمة بغداد بأيام، حاملاً معه أجندة مُتعددة العناوين، لم تكن فلسطين ووقف القتل والإبادة ضد شعبنا في القطاع عنواناً رئيسياً فيها، بل عنواناً فرعياً جداً، ولم تنل الاهتمام الملحوظ لموقف سفك الدم الفلسطيني على يد جيش الاحتلال وحكومة القتل الفاشية في كيان الاحتلال، اللهم سوى بعض الكلام المعسول من قبل المبعوث الأمريكي للمنطقة (ويتكوف) الذي أطلق أكثر من تصريح عن اقتراب وقف النار في قطاع غزة والوصول إلى صفقة تبادل شاملة بعد إطلاق الجندي الأمريكي «الإسرائيلي» عيدان إلكسندر.

القمة العربية في بغداد، وإن كانت مطلوبة، وعلى غاية من الأهمية، لكنها لم تستطع أن تدفع الطرف الأمريكي للضغط على كيان الاحتلال لوقف حرب الإبادة ضد الشعب الفلسطيني في قطاع غزة، ووقف الحرب ورفع الحصار عن القطاع وتحرير المعابر وتدفق المساعدات ومواد الحياة وإعادة الإعمار. فكانت كأنها قمة مستعجلة ومسلوقة، دون آليات عمل تتمخض عنها كما يجب.

فكانت القمة العربية في بغداد، وبالرغم من بيانها العام الإيجابي وبعناوينه الرئيسية بالنسبة لفلسطين ووقف الحرب على القطاع، ووقف مشاريع التهويد على امتداد الضفة الغربية خاصة في محيط وريف مدينة القدس، وحتى في مناطق النقب بالداخل المحتل عام 1948، عاجزة عن دفع الولايات المتحدة للتدخل الحقيقي بالضغط على «إسرائيل» من أجل وقف كل ما يجري في فلسطين. فالقمة العربية وببيانها الختامي لاقت وحظيت بترحيب عالمي، بما في ذلك من الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش، وعدد من الدول الأوربية التي أعلنت موقفاً

متميزاً بهذا الشأن وعلى رأسها إسبانيا والنروج وإيسلندا ...

الرئيس الأمريكي دونالد ترامب، الذي كان قد هيأ لزيارته لبعض دول المنطقة، بسلسلة تصريحات صدرت عنه وعن بعض المصادر الأمريكية، حول إمكانية وقف إطلاق النار في القطاع، وإنجاز خطوات سياسية ملموسة وذات معنى في المنطقة تخص الشعب الفلسطيني بالدرجة الأولى، إلاّ أن الأمور راوحت مكانها، بعد أن كانت قد تعددت التقديرات بشأن الخطوات المتوقعة في هذا المجال من قبل المتابعين والمراقبين من المحللين السياسيين وكتاب الأعمدة في الصحف العالمية والمنابر المرئية قبل وصول ترامب للمنطقة.

الإفراج عن عيدان إلكسندر

في هذا، تم إنجاز لقاءات بين حركة حماس والوفد الأمريكي برئاسة الموفد (ويتكوف) إلى المنطقة قبل وصول الرئيس ترامب، وذلك برعاية وإشراف الدوحة، وهي اللقاءات التي كانت تهدف الى «تطرية وترطيب الأجواء» مع قدوم الرئيس دونالد ترامب للمنطقة، رغم التحفظ «الإسرائيلي»، لكن إرادة واشنطن هي التي تُقرر وليس حكومة نتنياهو أو دولته فواشنطن صاحبة القرار أولاً وأخيراً. ومع هذا فإن مبعوث الرئيس ترامب للشرق الأوسط، (ويتكوف) باع «الإسرائيليين» كلاماً حين قال: «نتنياهو والإسرائيليون حلفاء مخلصون للولايات المتحدة، والعكس صحيح. وجميع التقارير عن جمود في العلاقات بين نتنياهو والرئيس ترامب غير صحيحة».

هذه الخطوة (أي الإفراج عن الجندي الأمريكي الإسرائيلي المزدوج الجنسية عيدان إلكسندر) تأتي بعد اتصالات مهمة أبدت فيها (من المرجح) حركة حماس مرونة هنا أملاً بدور أمريكي موعود عبر الدوحة لوقف النار ومستتبعات الأمر.

على كل حال، إنَّ المعلومات المتوفرة تُشير إلى وجود 58 «إسرائيلي» بيد كتائب القسام وسرايا القدس وغيرهما من قوى المقاومة في القطاع، يُعتقد بأن 23 منهم مازالوا على قيد الحياة. وبالتالي فإن المسألة مازالت في استعصاء وفي مناخ لا يُبشّر بالانفراج وخلاص شعبنا من هذه الحرب التي أكلت الأخضر واليابس في القطاع.

ترامب وديدنه البزنس... أولاً وأخيراً...

إذاً، جعبة الرئيس الأمريكي دونالد ترامب في زيارته الأخيرة للمنطقة، كانت تضم عناوين وأجندة هامة بالنسبة له ولإدارته، وعلى رأس تلك الأجندة (بزنس اقتصادي) + بيع وتسويق سلاح أمريكي لدول الخليج بأرقام مالية ضخمة + تهدئة نسبية للحالة المشتعلة في فلسطين وقطاع غزة (دون اهتمام كافٍ).... وصولاً لإعلانه رفع العقوبات عن سوريا كخطوة لترضية دمشق وتجديد العلاقات معها ودفعها للقبول بالاتجاه العام نحو معاهدة «تاريخية» بينها وبين «إسرائيل» مع حل وسط لقضية الجولان. معتبراً أن مشروع صفقة القرن في ولايته الأولى عام 2017 يتم الآن ترجمته على الأرض.

وفي عملية (البزنس) فإن أميركا والسعودية بحثتا احتمال شراء الرياض طائرات (إف 35) المقاتلة. والبيت الأبيض يُعلن بأن السعودية ستستثمر 600 مليار دولار في الولايات المتحدة، والأسهم الأميركية تواصل المكاسب، ومؤشر ناسداك يصعد.

وبالفعل، وقعت الولايات المتحدة والسعودية أكبر اتفاقية مبيعات دفاعية في التاريخ (تصوروا في التاريخ) بنحو (142) مليار دولار. الاتفاقية تتضمن تزويد السعودية بمعدات وخدمات حربية متطورة من أكثر من (12) شركة دفاعية أمريكية. وسلسلة اتفاقيات تتضمن: اتفاقية الشراكة الإستراتيجية. مذكرة تفاهم في مجال الطاقة. التعاون الدفاعي. مذكرة تفاهم لتطوير القوات المسلحة في السعودية. اتفاقيات في مجالات الجمارك والنقل. اتفاقيات في مجالات الطب والصحة والعلوم.

فلسطين الغائبة تماماً

وخلاصة القول، وفي جولة الرئيس الأمريكي دونالد ترامب الخليجية، بدت فلسطين ومسألة وقف إطلاق النار في قطاع غزة، ووقف حرب الإبادة ضد الشعب الفلسطيني، كعنوان فقط في الأجندة الفرعية الثانوية للرئيس ترامب، الذي كانت أجوبته فضفاضة عند توجيه أي تساؤل بشأنها، كما عند طباخي وصانعي القرار في سراديب الدولة الأمريكية العميقة، بينما تطرق البعض من وفده بتقديم تصوّر بشأن مستقبل قطاع غزة بعد انتهاء الحرب، وبرنامج إيران النووي كملفات السياسة الخارجية الأمريكية بعد الجولة الخليجية والعودة لواشنطن وبقاء الموفد (ويتكوف) في الدوحة لقيادة مفاوضات بشأن غزة.

لقد كان الرئيس ترامب قد صدم العالم، بعد أيام من بدء ولايته الثانية، بحديثه عن أن الولايات المتحدة تريد السيطرة على غزة لتحولها إلى «ريفيرا الشرق الأوسط» وتارة بنقل مواطني القطاع إلى جزيرة غرينلاند... إلخ. لكن الأمور تحوّلت وطرأت عليها مُتغيرات عدة في أداء الرئيس ترامب ذاته، لتجد الآن أن واشنطن أمام انعطافة أكثر تميزاً في علاقاتها الخليجية، وقد تُقدم على خطوات ما من أجل استرضاء السعودية أكثر فأكثر على وجه الخصوص، والتي كانت سخية جداً جداً مع الرئيس ترامب بكل ما تقدم به، وناله بالنسبة للقضايا الاقتصادية، وصراعاته الكبرى مع روسيا وجمهورية الصين الشعبية ودول بريكس عموماً.

فلسطين لن تبقى غائبة، وليست غائبة أصلاً. ففي فلسطين يتم صناعة الوقائع، والأحداث، وفي فلسطين يدور الصراع من أجل الحق والعدالة، التي لا يُمكن أن تنتهي دون تقديم الحد الأدنى من الحقوق الشرعية للشعب الفلسطيني والتي توافق العالم عليها، وعلى رأسها حقه بتقرير مصيره بدولة مستقلة لكل الفلسطينيين فوق الأرض المحتلة عام 1967، دولة لكل الفلسطينيين بمن فيهم فلسطينيي الشتات في دول الطوق الذين حملوا على أكتفهم عبئاً كبيراً جداً من مسيرة الحركة الوطنية الفلسطينية المعاصرة.

السلطة الرابعة في عين العاصفة الصهيونية

إلهام الحكيم ـ كاتبة سياسية فلسطينية ـ تركيا

تؤكد اتفاقيات جنيف المؤرخة « 12/آب/1949 » وبروتوكولاتها اللاحقة على حماية الصحفيين وغيرهم من العاملين بوسائط الإعلام المختلفة والذين يؤدون مهمات صحفية خطيرة في مناطق الصراع المسلح, كما تشدد كافة القوانين والقرارات الصادرة عن مجلس الأمن « 1738 لعام 2006 و 2222 عام 2015 « ومجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة « 27/5 في أيلول عام 2014 و 33/2 أيلول عام 2016 « وقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة 70/162 كانون الأول عام 2015 « .. وتقرير مكتب المفوض السامي للأمم المتحدة لحقوق الإنسان الصادر في تموز / 2013 « بشأن سلامة الصحفيين وتهيئة بيئة آمنة وداعمة لهم وللمهنيين العاملين معهم.

كافة القرارات السابقة وغيرها تدعو الأطراف المتنازعة للتقيّد بها واتخاذ التدابير اللازمة لتمييز المدنيين عن الأهداف العسكرية , إضافة للامتناع عن الهجمات الموجهة عمداً ضد المدنيين والتي قد تؤدي إلى أضرار جانبية مفرطة , وباعتبار أن الصحفيين والإعلاميين الذين يؤدون مهمات صحفية خطيرة في مناطق النزاع المسلح هم مدنيون, لهذا يتوجب احترامهم وحمايتهم تحت هذه الصفة , وتوفير بيئة حرّة وآمنة وتأمين سلامتهم وحماية منشآتهم , واحترام حقهم بحرية الرأي والتعبير وتقديم تقاريرهم لجهاتهم الإعلامية وعدم تعريضهم للاعتقال التعسفي والتعذيب أو الاختفاء القسري والنفي والترهيب والتحرش والتهديد بالعنف.. مما يستوجب معاقبة مَن يتجاوز تلك القرارات التي تضمن مكافحة الإفلات من العقاب !..

• الكيان الصهيوني فوق القانون :

من يتمعن بالقرارات السابقة يظن أن الصحفيين يتمتعون بالحصانة الدولية ولا يتعرضون للمضايقات أو المنع من ممارسة عملهم بحرّية وبصورة مستقلة بعيداً عن التعنيف والترهيب خاصة من قِبَل الدول التي تدّعي الديمقراطية والشفافية وتسمح بالتعددية وإبداء الرأي دون عوائق !.. لكن الواقع يناقض ذلك كلياً بمختلف مناطق النزاع والحروب في أنحاء العالم, في ظل ممارسة تلك الحكومات شتى أنواع المضايقات والحصار على الإعلاميين لمنعهم من نقل الحقيقة.. بل إضافة لذلك يجبرونهم على الولاء لتلك الأنظمة أو فمصيرهم المنع من العمل والضغط عليهم والملاحقة القضائية والاعتقال كما يجري في العديد من الدول التي لا تأبه بالقوانين الدولية الراعية لحقوق الإنسان بمن في ذلك العاملين في مجال الإعلام الذين تعزز سلامتهم وحمايتهم المفوضية السامية لحقوق الإنسان ومنها حرية التعبير والإعلام , لكن العديد من الدول تنتهك الحقوق ولا تأبه بها وعلى رأس قائمة تلك الدول الكيان الصهيوني الغاصب الذي يرتكب كل أنواع الإجرام والمجازر بحق المدنيين الفلسطينيين بمن فيهم «الأطفال والنساء والمسنين» دون أي اعتبار لشرعية الحقوق والمبادئ الإنسانية, خاصة في ظل ضمان عدم تعرضه للمحاسبة أو فرض العقوبات عليه, بل على العكس فهو يتحصّن بحماية العديد من الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية في المؤسسات الدولية ومنها « مجلس الأمن الذي يُسْتخدَم فيه حق النقض ضد محاسبة دولة الاحتلال « ويدعم ذلك « الصمت العربي المطبق» !.. إضافة لإمداده بشتى أنواع الأسلحة التدميرية بما فيها المحرمة دولياً فيزيد من جرائمه الوحشية الممنهجة كونه يتمتع بالحصانة الغربية ويأمن العقاب والردع والإدانة فتتفاقم إساءته للإنسانية والقوانين الدولية ويستهدف رواة الحقيقة الناقلين للحدث المحفوف بالمخاطر, رغم أن القوانين تقرّ حماية الصحافيين في النزاعات المسلحة وتوفير الظروف المناسبة للعمل الإعلامي خلالها بما فيها الحق بالنشر والتنقّل والوصول إلى المعلومات مع حماية الخصوصية والمصادر الصحفية !..

• لا حصانة للصحفيين ومؤسساتهم الإعلامية :

تلتزم معظم دول وبلدان العالم بالقوانين الوضعية الخاصة بالإعلام , لكن الكيان الصهيوني يعتبر نفسه فوق القانون فيمارس التضييق على الصحفيين منعاً لنشْر الحقيقة وكشْف التطهير العرقي والإبادة الجماعية للفلسطينيين والتجويع

القاتل خاصة بالعدوان الأخير على غزة والذي بدأ في أكتوبر 2023 ولا زال , ثم توسيع الاقتحامات على بلدات ومخيمات الضفة الغربية والقدس وفرض التهجير على الأهالي ونسف المنازل والبنى التحتية فيها واعتقال الآلاف وقتل العشرات لإجبارهم على المغادرة , والاقتحامات المتكررة للمسجد الأقصى وتمادي المستوطنين باعتداءاتهم على المواطنين وحرق ممتلكاتهم ومزروعاتهم وماشيتهم , لم يضع الاحتلال لنفسه الضوابط التي تلزمه بالتقيد بالقوانين الدولية والسماح للصحفيين بالتغطية الإعلامية , تجاوز كل الخطوط فبدأ بمنع الصحفيين الدوليين من الدخول إلى غزة والضفة الغربية لنقل الأحداث , وهذا يسمح لوسائل إعلامه بنشر المعلومات المضللة والروايات الكاذبة وطمس الحقيقة, خلت الساحة من الإعلاميين الأجانب فبقيت الصحافة الفلسطينية فقط إضافة للمراسلين الفلسطينيين لبعض المؤسسات الإعلامية الغربية في محاولة منهم لنقل الحقيقة المدعومة بالصورة التي لا لبس فيها , لكن جنود الاحتلال يعتبرون هؤلاء المراسلين ومؤسساتهم هدفاً لهم باعتبارهم يتعاملون مع « الإرهابيين «لذلك فقتلهم مشروع ولا حصانة لهم !.. لم تكن الصحفية شيرين أبو عاقلة التي مرت ذكراها السنوية الثالثة قبل فترة وجيزة «11 أيار « لم تكن أول ولا آخر الصحفيين الفلسطينيين المستهدفين فقد زاد عدد الشهداء في غزة عن» 222 شهيداً منهم 30 شهيدة « و33 معتقلاً وعشرات الجرحى , إضافة للمئات من عائلاتهم التي استهدفت معهم أو في منازلهم أو خيامهم التي نزحوا إليها للضغط على الإعلاميين ومنعهم من أداء عملهم ونقل الحقيقة , قصفت المسيّرات الصهيونية سيارات الصحفيين خلال تنقلهم رغم التنسيق لهم ووجود شارة المؤسسة الإعلامية عليها إضافة لارتداء الصحفيين للخوذ والزيّ الصحفي الدال عليهم !.. ومن الأحداث المأساوية التي تعرض لها العديد من المراسلين تلقيّهم خبر قصف منطقة الأهل أو العائلة أو الأصدقاء واستشهادهم وشطبهم من السجل المدني !..

- طالبت 60 منظمة صحفية وحقوقية دولية الاتحاد الاوروبي باتخاذ إجراءات ضد « إسرائيل « على خلفية عمليات القتل غير المسبوقة والانتهاكات التي ترتكبها بحق الصحفيين في قطاع غزة, كما طالبت الرسالة بتعليق اتفاق الشراكة معها وفرض عقوبات ضد المسؤولين الإسرائيليين , والحث على التحرك ضد عمليات قتل الصحفيين غير المسبوقة وانتهاكات حرية الصحافة التي ترتكبها « إسرائيل « في غزة!

/ الاقتباس عن وكالة الأناضول /

• انتهاكات السلطة بحق الصحفيين :

ربما يتفاجأ البعض بالعنوان!, إذ هل يعقل أن تنتهك السلطة الفلسطينية أبناءها؟ وكيف يكون هذا الانتهاك بحقهم وهم الذين يكشفون الممارسات الصهيونية ضد أبناء شعبهم؟! لكن الرد رغم صعوبته فهو سهل جداً إذا ربطنا الأمور بالتنسيق الأمني السلطة مع العدو, وهذا يسهّل عليها اتخاذ العديد من الإجراءات القمعية ضد الصحفيين والمؤسسات التي طُلِب منها الإغلاق والامتناع عن العمل الصحفي في المناطق التي تشرف عليها السلطة , أو تعرضهم للتحقيق وربما الاعتقال أحياناً !.. ومن هذه المؤسسات «قناة الجزيرة « التي التفّت على الموضوع وتعاملت مع مراسليها في القدس والضفة كصحفيين مستقلين, أو تواصلت مع مراسلين تابعين لمؤسسات صحفية أخرى للحصول على المعلومات المطلوبة !..

• دور التوثيق بملاحقة مجرمي الحرب :تعتبر الوثيقة الإعلامية تحديداً المدعومة بالصوت والصورة دليلاً هاماً لملاحقة مجرمي الحرب ومعاقبتهم عبر المؤسسات الدولية « منظمة العفو الدولية, المحكمة الجنائية الدولية « اللتين اعتمدتا عشرات آلاف الأدلة ضد الحكومة الصهيونية اليمينية وجيشها الذي يدّعي أنه الأكثر أخلاقية في العالم!. وبعض هذه الوثائق تم تصويرها ونشرها على يد الجنود الذين كانوا يتباهون بجرائمهم المرتكبة ضد المدنيين والمنشآت المدنية والبنية التحتية بشكل سادي وحقد مفرط على الفلسطينيين واعتبارهم « حيوانات بشرية» يجب القضاء عليهم.. نساءً ورجالاً وحتى الأطفال منهم لأن طفل اليوم سيكون « إرهابياً « في المستقبل.. وقد حرصت مؤسسة « هند رجب « على كشف الحقيقة ونشر الوثائق ومحاسبة المعتدين بناء على هذه الأدلة, وملاحقتهم بأي مكان يزورونه بهدف محاسبتهم حسب القوانين الدولية ..

عندما نتحدث عن الأفلام الوثائقية البصرية فلا بد من إدراجها ضمن الإعلام الحيوي «سينما, دراما ومختلف الفنون» باعتبار الفن مقاومة كما يقول المخرج الفلسطيني إياد الأسطل الذي أنتج سلسلة وثائقية بعنوان «حكايات من غزة» تتحدث عن حياة الناس فيها - قبل العدوان وبعده وحتى اليوم - وكان آخرها فيلم « من أجل كرامة غزة « الذي يتناول قصص التهجير القسري من القطاع ! , يعيد الأسطل مع الفنانين إحياء قصص المدنيين الذين دفنوا .. وتحويلها إلى أفلام تدحض التضليل الصهيوني, مع حرصه على رفع وجع الغزيين على المنصات الفنية خاصة الغربية باعتبار الفن وسيط إنساني ..

- لو كان الإعلام الفلسطيني قبل ثمانية عقود كما هو الآن لما سادت السردية الصهيونية المضللة حين كان التفوّق للماكينة الإعلامية الصهيونية.. وما اخترقت عقول البشر وكسبت أفئدتهم وتأييدهم الأعمى! لو كان الشباب العربي آنذاك يمتلكون وسائط التواصل الاجتماعي لكانوا من المؤكد سيتبعون أسلوب أقرانهم في القرن الحادي والعشرين وكانوا صوتاً إعلامياً لمن لا صوت لهم من أبناء شعبهم.. نقل الشباب آثار العدوان على غزة والضفة بالصوت والصورة.. انتشرت في أرجاء المعمورة فانكشف الوجه الإجرامي للكيان الصهيوني وامتلأت الساحات بمظاهرات الدعم والتأييد للقضية الفلسطينية والمطالبة بمعاقبة المجرمين المحتلين, وتأكيد الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني بهدف إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة ..

تسونامي الانتقادات الأوروبية لمخططات إسرائيل تجاه الشعب الفلسطيني هل تتحول لأفعال مؤثرة؟

حمدان الضميري ـ ناشط فلسطيني في أوروبا

أي مراقب لتطور المواقف الأوروبية، سواء على مستوى الدولة الواحدة أو على مستوى المجموعة الأوروبية أي الاتحاد الأوروبي، يلاحظ تطوراً في هذه المواقف. كمراقب لهذا التطور، أستطيع القول إن مواقف الدول الأوروبية منفردة وكذلك الاتحاد الأوروبي مر بثلاث مراحل أساسية هي:

أولاً مرحلة هرعت بها الدول الأوروبية لدعم إسرائيل واعتبار أنها الطرف الذي وقع عليه العدوان، لذلك يحق لها الدفاع عن نفسها وأوروبا تدعمها بهذا الموقف، وهنا وإن عدنا للأسابيع التي تلت السابع من أكتوبر 2023, نرى العديد من الزيارات التي قام بها المسؤولون الأوروبيون كما هو حال الرئيس الأمريكي بايدن آنذاك .

ثانياً مرحلة توجيه انتقادات للممارسات العسكرية على الأرض بقطاع غزة وكذلك تصريحات مسؤولين في الحكومة الصهيونية وفي هيئة أركان جيش الاحتلال، مجمل هذه التصريحات أكدت أن الموقف الرسمي الصهيوني يعمل وفق مشروع مخطط سابقاً وهو تهجير أكثر من مليونين من قطاع غزة للخارج وبالتالي إحداث نكبة فلسطينية جديدة بعد ما عاشه الشعب الفلسطيني في عام 1948, وهنا مثلت مجزرة مستشفى المعمداني في قطاع غزة نقطة التحول في الشارع الأوروبي وكذلك عند العديد من المسؤولين الأوروبيين، من سياسيين وأحزاب وأعضاء برلمانات. في إطار هذه المرحلة جاء قرار محكمة الجنايات الدولية بإصدار مذكرات توقيف بحق رئيس وزراء الكيان الصهيوني ووزير حربه قالنت ليعطي زخماً كبيراً باتجاه انتقاد إسرائيل ومطالبتها بالتوقف عن ممارسات الإبادة بحق المدنيين وكذلك تدمير كامل وممنهج للبنية التحتيّة في مختلف قطاعات الحياة الصحية والتعليمية والاقتصادية بقطاع غزة. لم توصل هذه الانتقادات لدفع الكيان الصهيوني للتوقف عن عدوانه والسماح بإدخال مختلف المساعدات الضرورية لسكان القطاع.

ثالثاً وهي المرحلة الحالية التي مثلت بداية تحول كبير في السياسة الأوروبية وكذلك في مواقف غالبية الدول الأوروبية، هذا التحول يجسد نفسه بالمطالبة بوقف العدوان فوراً والسماح بإدخال المساعدات والأهم الدعوة لتبني الاتحاد الأوروبي مواقف عملية تجاه إسرائيل وأهمها إعادة النظر باتفاق الشراكة الذي يربط الاتحاد الأوروبي بكيان الاحتلال، كذلك رأينا مواقف متقدمة من بعض الدول بمنع تصدير السلاح لإسرائيل وسحب بعض الاستثمارات خاصة من بعض صناديق الاستثمار الكبيرة التابعة لبعض الدول مثل النرويج.

خلال اللقاء الذي جرى مؤخراً على مستوى وزراء خارجية الاتحاد الأوروبي، لم يستطع الاتحاد تبني موقف واضح نحو إعادة النظر باتفاق الشراكة، حيث صوتت غالبية دول الاتحاد وعددها 17 لصالح إعادة النظر بينما عارضته 9 دول، وبما أن الاتحاد الأوروبي يعمل وفق مبدأ الإجماع في مواقفه السياسية، تم ترحيل هذا الموضوع للقاء قادم بشهر حزيران القادم .

التحول في سياسة العديد من الدول الأوروبية تجسد مؤخراً بإعلان بعضها عن عزمه الاعتراف بدولة فلسطين، وهذا موقف جديد في الساحة الأوروبية سيما وأن قضية الاعتراف بدولة فلسطين موضوع مطروح منذ عقود لكن لم تجرؤ الدول الأوروبية باستثناء النادر منها من تخطي حاجز عدم الاعتراف باتجاه الاعتراف .

كيف نفسر هذا التحول الكبير بالسياسة الأوروبية تجاه إسرائيل وهي التي أنشأت هذا الكيان ورعته ودعمته وغطت خلال كل المرحلة الماضية كل جرائمه؟ الجواب نجده بتوفر عدة عوامل تفسر هذا التحول وهي :

أولاً- بشاعة المشاهد القادمة من قطاع غزة، وحجم التوحش وأعداد الضحايا وحجم الدمار الناتج عن هذا العدوان المستمر.

ثانياً- وصول السياسيين لقناعة أن استمرار مشروع الإبادة والهادف للتهجير لا أفق له: ما لم يستطع ناتنياهو خلال أكثر من سنة ونصف السنة من تحقيقه سياسياً، لن يستطيع فعله خلال الشهور القادمة، لذلك حان الوقت للتوقف والذهاب لبدائل أخرى .

ثالثاً - وجود رغبة عند العديد من الدول الأوروبية بضرورة تميز السياسة الأوروبية عن السياسة الأمريكية، وهنا لا بد من ذكر أن مواقف ترامب الأخيرة سواء في الموضوع الأوكراني أو في ملف زيادة الضرائب على البضائع المستوردة ومنها الأوروبية، دفع بهذه الدول للتفكير بمقاربة جيوسياسية جديدة، ترى ضرورة التميز عن السياسة الأمريكية في العديد من المناطق ومن بينها منطقة الشرق الأوسط وفي قلبها القضية الفلسطينية.

رابعاً- وهذا عامل مهم جداً وهو موقف الشارع الأوروبي، حيث ما يزال زخم رفض هذا الشارع لاستمرار العدوان على قطاع غزة، الشارع الأوروبي خرج ومازال يخرج بأعداد ضخمة للتعبير عن رفضه وإدانته لحرب الإبادة المستمرة بقطاع غزة، هذا الشارع يطلب من أحزابه ومن حكوماته للتوقف عن دعم إسرائيل وتقديم السلاح لها ويرفض منحها غطاء سياسياً لما تقوم به، هذا التحول نراه كذلك في أوساط جمعيات يهودية في العديد من الدول الأوروبية وهذا يعبر عن نفسه عبر شعار ليس باسمنا، أي أن إسرائيل ليس من حقها القول إنها تمثل اليهود في العالم أو أنها المدافعة عن مصالحهم في

الدول الأوروبية وأخيراً ليس من حقها القول إنها وريثة ما تعرضت له الجاليات اليهودية في العديد من الدول الأوروبية خاصة خلال مرحلة الحرب العالمية الثانية وما قام به نظام هتلر ومن وقفوا معه ضد الجاليات اليهودية الأوروبية.

نعم نحن أمام تحول كبير وأمام مقاربة جديدة تستحق الدراسة وتستحق التحليل لنرى ما يمكن عمله باتجاه معاقبة إسرائيل على جرائمها وفرض العزلة عليها.

علينا أن نكون واعين أن موقف الشارع الأوروبي لا يلغي وجود لوبي فاعل يدافع عن السياسة الإسرائيلية رغم وحشيتها، وهنا يتم استخدام أسطوانة قديمة جديدة وهي توجيه التهمة للنشطاء، لسياسيين أوروبيين، لأحزاب أوروبية وكذلك لدول أوروبية أحياناً بأن مواقفها هي مواقف معادية للسامية ، هذا السلاح الذي استخدم كثيراً بدأنا نراه بقوة في الآونة الأخيرة، قضايا رفعت ضد نشطاء، تهم وجهت لسياسيين معروفين، وجود تساوق عند بعض الدول الأوروبية بإعلان منع وحظر نشاطات لجمعيات ناشطة في العمل التضامني مع فلسطين، هذا المسعى من قبل أوساط اللوبي الصهيوني يهدف أولاً لتجريم حركة التضامن الأوروبية واعتبار نشاطها يصب في معاداة السامية، وثانياً هدف ترهيب نشطاء عبر رفع دعاوى ضدهم بسبب نشرهم على صفحاتهم محتويات منتقدة لسياسات الكيان الصهيوني واعتبار ذلك ترويجاً للفكر المعادي للسامية.

إذاً نحن أمام مرحلة فيها أفق جديد لم نعرفه سابقاً وفيه الكثير من الجوانب الإيجابية وكذلك فيه بعض المخاطر، غياب عامل عربي فاعل من جهة واستقالة الشارع العربي من التعبير عن رفضه لما يتعرض له الشعب الفلسطيني من حالة تدمير وإبادة وخطر التهجير من أرض فلسطين، إن أضفنا عامل الانقسام المدمر الذي تعرفه الساحة الفلسطينية وفقدان الوعي عند الأطراف الفلسطينية أننا أمام مرحلة وجودية لذلك حان الوقت لتجاوز حالة الانقسام والذهاب نحو تقوية العامل الذاتي الفلسطيني.

مؤشرات الزيارة الخارجية الأولى لترامب وحيثياتها

د. محمد عياش - كاتب وباحث سياسي

للمرة الثانية "يبدأ" الرئيس الأمريكي دونالد ترامب بزيارته الخارجية الأولى من المملكة العربية السعودية، في إشارة لا تخطئها العين والأفئدة إلى عودة العلاقات القوية، بعد أن جمّدها ووترّها الرئيس السابق جو بايدن وسيرهُ على نهج الرئيس الأسبق باراك أوباما بالانفتاح على إيران، وإقامة علاقات متبادلة، وتجاهل الدول العربية التي تقطن الخليج العربي، مما أدى إلى زيادة الاضطرابات وبث الخوف في نفوس الخليجيين من تمدد الأذرع الإيرانية سواءً الموجودة في لبنان وسوريا وحتى اليمن والعراق الذي يعد جوهرة التاج الإيراني .

حيث يميل الحزب الديمقراطي الأمريكي إلى تجنب الاصطدام مع الجمهورية الإسلامية الإيرانية، في الوقت الذي يظهر فيه حجم التناقض مع مصالح المنطقة، وفي مناقشة بين الجنرال ديفيد بتريوس، القائد الأسبق للقيادة المركزية بالجيش الأمريكي والذي شغل منصب رئيس وكالة الاستخبارات الأمريكية أو ما يُعرف CIA ، والرئيس أوباما حذر بتريوس من تنامي الميليشيات الإيرانية في العراق وتمددها، وبالتالي فإن العراق سيذهب تدريجياً تحت الإدارة والهيمنة الإيرانية، ورد أوباما - أرى ذلك على خريطة جدارك - أي أنه كان راضياً عن هذا الإجراء والتسليم المطلق لهذه السياسة، مع حدوث شبه أزمة مع المملكة العربية السعودية، إلا أن البراغماتية السعودية تغلبت في نهاية المطاف وأرغمت أوباما ومن بعده ترامب وبايدن على التعامل معها ضمن المساحة التي تضمن الاعتراف بمخاوف وهواجس الخليج العربي من التهديدات القادمة من الشرق .

تأتي أهمية الزيارة التاريخية واعتبارها نقطة الانطلاق، ضمن ما يسمى الميزان التجاري الرابح والمضمون، وتأكيداً لمخططات ترامب، الواقعية التبادلية Interactive Realism وجوهرها نهج يجمع بين القوة الصريحة والتفاوض العملي حول القضايا السياسية والاقتصادية بغية تحقيق نتائج ملموسة وفورية.. الملموس من حجم الاتفاقيات التي تمت والتريليونات التي ستضخ في الخزينة الأمريكية، والفورية هي السرعة بالتنفيذ دون عقبات ومعوقات .

وبما أن الرئيس ترامب رجل "بزنس" بالدرجة الأولى وعاشق تدفق الأرقام من العملات التبادلية والصفقات، لا يمكن الاستغناء عن المنطقة بالرغم من التلويح المبطن أحياناً والنتائج التي سيترتب عليها عدم الوصول إلى هذه الاتفاقيات من جهة الحماية التي تقدمها واشنطن للملوك والأمراء وتحديد المدة الزمنية لانهيارها في حال رفع الحماية! كل هذا موجود بالعقل الباطن لكل الملوك والأمراء والحكام الخليجيين، وبالتالي فإن الزيارة ناجحة قبل أن تبدأ، كما يقولون في الأمثال العربية، الرجل يعلم من أين تؤكل الكتف .

قبل أن تبدأ الزيارة، قطع ترامب اتصاله برئيس العدو الصهيوني بنيامين نتنياهو، في حالة غير مسبوقة لجهة الغضب الأمريكي من سياسات إسرائيل الإجرامية التي رفعت وتيرة الإبادة الجماعية، ووحشيتها إلى أعلى درجاتها وإعلانها عملية "عربات جدعون" التي تأمل من خلالها تحقيق النصر المطلق والقضاء على المقاومة الفلسطينية ونفي قادتها وتسليم سلاحها، وإعادة احتلال قطاع غزة بالكامل، وذلك مع التطابق

ورؤية ترامب بضرورة ترحيل الفلسطينيين وتحويل القطاع إلى ريفيرا !

ترامب المنتشي بقراراته الجمركية والتي من خلالها يضمن تدفق الأموال وإعادة الهيبة للولايات المتحدة، باعتبارها قائدة العالم بلا منازع وإعادة مرتسمات التجارة العالمية وفق البارومتر الأمريكي الذي عده ترامب عاش حالة من الغبن والاستغلال وخاصة من العدو اللدود الصين التي وبلغة الأرقام في العلم الاقتصادي، أنها أصبحت القوة الاقتصادية الأولى المهيمنة على التجارة العالمية، الأمر الذي يهدد واشنطن وربما يفقدها السيطرة والإحكام ومفهومها الماغميكس، التي ترى من خلاله بأنها القوة العظيمة .

أعتقد أن هذه الإجراءات المجحفة بحق العالم بمثابة المحاولة الأخيرة من واشنطن لإثبات قوتها بالبعدين العسكري والاقتصادي، وما كشف عوار هذه السياسة حقيقة الأزمة بين الهند والباكستان، والذي من خلالها ظهر العجز العسكري الأمريكي الغربي مقابل التطور التكنولوجي الصيني في حالة لا تقبل الشك، وقبلها الأزمة الروسية الأوكرانية مؤشر قوي على ضعف الولايات المتحدة وقدرتها على ضبط الأمور، وتتطلع روسيا إلى مكانتها التي يجب أن تعود كقطب ينافس واشنطن من بوابة المتناقضات وسوء الإدارة الأمريكية، ووقوفها إلى جانب الكيان الصهيوني الذي يوغل بالدماء الفلسطينية وتعاميها عن المحرقة في قطاع غزة.

لا يغرنكم الابتسامات وحجم الهدايا التي تلقاها ترامب من الزعماء الخلجيين، لأن خلف الابتسامات والهدايا حقائق لا يمكن الإعلان عنها، وأهم هذه الحقائق، عدم رضا الشعوب العربية من سياسات حكامها في الوقت الذي تطحن الآلة العسكرية الصهيونية مئات الآلاف من الفلسطينيين وأغلبهم من الأطفال والنساء، والأرقام الصادمة التي تقول، مسح أكثر من 4000 عائلة من السجل المدني، والتعليمات الصادرة بعدم رفع العلم الفلسطيني أو التعاطف عبر وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي والمباريات والفعاليات، وآخر الصرعات، "السلام الإبراهيمي" الموعود لسكان المنطقة الذي يراد له أن يتم على حساب الحقوق الفلسطينية الشرعية، وتوسع إسرائيل وتمددها على الأراضي العربية، وتحريض ترامب لها بذلك وتحسره على صغر حجمها بالوقت الذي تنازل للصين عن تايلاند، عندما وصف الأخيرة بأنها صغيرة جداً وقوله لجون بولتون، بأن تايلاند كالمبراة على الطاولة، فليس من المعقول أن نتحدى الجغرافية، يعني الصين ومساحتها الكبيرة، فكيف تستخدم الموضوعية بموضوع تايلاند، وبين ما تراه مناسباً لإسرائيل التوسع على حساب الأراضي العربية؟!.

حقيقة يجب الانتباه إليها في علم الصفقات والمال والأعمال، مفادها أن الصفقة التي تأتي عن عجل ووراءها تهديد ووعيد مصيرها الفشل، لا سيما وأنها تسير وفق طريق كلاسيكية مكررة ومبتذلة، مع العلم أن هناك جهات كانت جاهزة لإبرام هذه الصفقة بكل احترام ومودة، الأمر الذي سينعكس سلباً على مجريات الحالة التنفيذية للمشروع وظهور مشاكل أو أزمات تهدد وربما تنسف الاتفاق برمته، ومتوقف هذا على طبيعة الحالة التبادلية وتأثرها بالحالات التي أشرنا إليها، ومن هذا المنطلق يمكن القول من صلحت بداياته؛ صلحت نهاياته .

من سلبيات الزيارة أنها تأتي نتيجة تجربة سابقة، يعني في حال تمكن ترامب من تغيير السياسة الداخلية الأمريكية وقوانينها الانتخابية بالتمديد ورشح نفسه لولاية ثالثة، مؤكد أن الزيارة الأولى في الثالثة كالعادة، يعني ذلك أن الولايات المتحدة تقر وتعترف أنها على خلاف وبقية العالم وأن هذه الدول الخليجية واستمرار ثرواتها وربما حكامها على هذا النهج والمنوال هو نقطة ضعف مستقبلية يتوقف ذلك على طبيعة الشعب الخليجي الذي لا يرضى الاحتكار والتهديد والابتزاز الأمريكي مع قادم السنوات في إشارة إلى حالة الثبات المتبادل، بالرغم من انفتاح العالم على الخليج العربي، وتطلعه أي الشعب الخليجي لنسف الرؤية السلبية عن ذلك الشعب العربي المتخم بالاستهلاك الغذائي ووصفه بالتابع النجيب .

المؤشر الذي ينبغي للدول التي تنافس الولايات المتحدة كالصين وروسيا وبعض الدول الممتعضة منها، هو نفسه المؤشر الذي يقول إن الولايات المتحدة ترى في دول الخليج المسعف الاقتصادي الحيوي وقت النائبات الذي يعد إكسير الحياة وشريانها الرئيس، وبالتالي فإن العالم أصبح أكثر جاهزية لمجابهة المشروع الأمريكي، وتجلى ذلك في الحالة غير المسبوقة والشجاعة التي امتلكتها بعض الدول الغربية، واستدعاء سفير إسرائيل احتجاجا على الإبادة الجماعية والإعلان الصريح بالاعتراف بالدولة الفلسطينية، المؤشر الذي سيقوى مع قادم الأيام ويشتد عوده، وينتفض بوجه الراعي الرسمي للكيان الصهيوني المنفلت، ويأتيك التأكيد هذه المرة من قلب واشنطن بالتحديد من قلب المتحف اليهودي الذي قتل فيه الأمريكي إلياس رودريغيز اثنين من موظفي السفارة الإسرائيلية وصرخ عالياً: الحرية لفلسطين .

ترامب ونتنياهو يصارعان الإرادة الدولية، ويتنكران للمتغيرات، فبدلاً من التسليم بالحقائق والمعطيات، يقفزان إلى أقصى درجات الاستنكار والإقصاء.. طوفان الأقصى أثبت أنه حالة اشتباك حضاري تاريخي إنساني سياسي وحتى ديني، الوضع الذي خلق مناخاً أكثر جرأة في وجه المشروع الصهيو - أمريكي وبالتالي فإن على إسرائيل أن تحارب مئات الجبهات بدلاً من سبع بزعم المطلوب دولياً نتنياهو، وأجزم أن أول إشارات انهيار المشروع الصهيوني، تفكك العلاقة العضوية بين واشنطن والكيان الصهيوني الذي بدأ ملامحه ومؤشراته تظهر من خلال عدم التنسيق واستقلال واشنطن بالمفاوضات مع حركة حماس، والمفاوضات الجارية مع إيران للتوصل إلى اتفاق، واستمرار القطيعة بين ترامب ونتنياهو بالرغم من أن الأخير يكذب ويقول بأن العلاقة مع ترامب تسير على ما يرام.. بينما ترامب ومسؤوليه يعكفون عن زيارة الكيان ويتطلعون إلى إيجاد صيغة تفاوضية مع حماس للوصول إلى حل قد لا يرضي إسرائيل وهذا ليس مهماً في الوقت الحالي في أجندة الولايات المتحدة الأمريكية التي أدركت أن نتنياهو يصارع ويكافح للبقاء في السلطة متمنياً من واشنطن السير معه لآخر نقطة.

صفقات ترامب في الخليج وحرب النجوم الجديدة

رضي الموسوي ـ كاتب وصحفي من البحرين

يتباهي الرئيس الأمريكي دونالد ترامب بحصاده صفقات مالية يدّعي أنها بلغت 5.1 تريليون دولار في جولته التي قام بها لثلاث دول خليجية هي السعودية وقطر والإمارات. ولم يتردد في القول إن المبلغ قد يرتفع إلى 7 تريليونات دولار «بحلول الوقت الذي نتوقف فيه»، وفق تصريحه قبل اجتماعه مع أعضاء مجلس النواب الجمهوريين. ومع أنه أعلن في ختام جولته عن حصاد بلغ 4 تريليونات دولار، أي ما يشكل ضعف الناتج المحلي الإجمالي لدول مجلس التعاون الخليجي الست والبالغ 2.1 تريليون دولار، إلا أن ترامب الذي يهوى المبالغات التي تقود إلى الإشادة الداخلية الأمريكية به، ربما تعمد إغاظة خصومه الديمقراطيين وكذلك دول الاتحاد الأوروبي التي يسيل لها لعاب مسؤوليها وشركاتها بغزارة بحثاً عن حصة، ولو ضئيلة، من عائدات النفط الخليجية، تأكيداً لقول ترامب أمام القمة الخليجية الأمريكية عندما لفت فيها إلى أن «العالم يراقب الفرص المتاحة في هذه المنطقة الحيوية».

لا شك أنها حصيلة تاريخية تلك التي حصدها ترامب في جولته الخليجية. فهي أولاً أعادت تموضع الولايات المتحدة وقواتها العسكرية في منطقة الخليج العربي وتحميل دولها جزءاً لا بأس به من تكاليفها تحت يافطة الحماية الأمنية والعسكرية. وثانياً استمرار التحكم في تدفق النفط من هذه المنطقة الحيوية للاقتصاد العالمي، حيث تنتج 20 مليون برميل يومياً، نصفها من السعودية. وثالثا أدخلت الجولة ونتائجها تأثيراً على الحضور الصيني المتنامي، وتتحفز الإدارة الأمريكية لمواجهة الصعود المدوي للتنين الصيني عبر فرض المزيد من التعرفات الجمركية الكبيرة رغم الهدنة التي أعلنها ترامب مؤخراً بتخفيض تسبة التعرفة، وقطع الطريق على تمدد بكين في الأسواق العالمية وعرقلة طريق الحرير الجديد وتأمين سلاسل الإمدادت للعالم تجسيداً لحالة «الصين مصنع العالم»، وبالتالي ترجمة سعي البيت الأبيض لتحجيم الدور الصيني في منطقة الخليج عبر محاصرتها بالصفقات الكبرى وسحب الاموال لصالح الولايات المتحدة ومشاريعها. فضلاً عن كل ذلك فإن صفقات ترامب في الخليج قدمت خدمات كبرى للشركات الأمريكية العملاقة التي كانت تتحسس تحت اقدامها من المنافسة الصينية، فجاءت الصفقات وانتشلتها من حالة التوتر التي تعيشها.

لم ينسَ ترامب وهو يتباهى بصفقاته التاريخية توجهاته العسكرية ونزوعه للسيطرة على العالم، تنفيذاً لإستراتيجيات واشنطن بأن يكون القرن الواحد والعشرون، أيضاً، قرناً أمريكياً مثلما كان النصف الثاني من القرن العشرين، فكان لحرب النجوم الجديدة وقبتها «الذهبية» حيزاً في أولى تصريحاته عندما عاد إلى واشنطن. ففي كلمة له في «مركز كينيدي» قال ترامب إن «تكلفة بناء نظام الدفاع الصاروخي «القبة الذهبية» لا يمثل إلا جزءاً صغيراً من تلك العوائد.. وأن هدف القبة الذهبية حماية أمريكا من كل الصواريخ حتى لو جاءت من الفضاء بما فيها الفرط صوتية». وقال أيضاً إن «كل شيء في القبة الذهبية سيكون مصنوعاً في أمريكا، ولا أحد يقترب مما تمتلكه أمريكا في التكنولوجيا الصاروخية، وسنحمي البلاد بنسبة 100%، وأن تكلفة القبة الذهبية ستبلغ 175 مليار دولار»، وهذه تشكل فعلاً نسبة ضئيلة من إجمالي الصفقات التي حصدها ترامب في الخليج. لم يطل رد روسيا والصين على «حرب النجوم الجديدة» فأصدرت الدولتان بياناً صريحاً أكدتا فيه أن هذه الخطوة «تقوض الاستقرار العالمي»، بينما وجد بعض الخبراء العسكريين الأمريكان أن القبة الذهبية لن تحمي أمريكا كما يروج ترامب.

طبيعة الصفقات

حضّر ترامب بشكل جيد لجولته الخليجية بملفات واضحة لتحريك الاقتصاد الأمريكي الذي يعاني من منافسة شديدة مع الصين، ويواجه وضعاً مالياً حرجاً يتمثل في الدين الفيدرالي الذي بلغ 34 تريليون دولار في 2024 تشكل 36.4 بالمئة، وفق بيانات الخزانة الأمريكية. كان التسلح هو الملف الأول فحصد صفقات كبرى وصفت بأنها «تاريخية» حيث وقع اتفاقيات مبيعات دفاعية في السعودية وحدها بنحو 142 مليار دولار. كما تعهدت الرياض بضخ استثمارات تبلغ قيمتها 600 مليار دولار في أربع سنوات، علماً أن عدد الاتفاقات التي وقعتها الرياض مع واشنطن في هذه الزيارة بلغت 145 اتفاقاً غطت عدة قطاعات منها الذكاء الاصطناعي والنفط والطاقة المتجددة والاتصالات وغيرها. وكانت السعودية قد تعهدت قبل عدة أشهر بضخ مئات المليارات من الدولارات في الأسواق الأمريكية.

وفي قطر كشف المسؤولون الأمريكيون عن التزام الدوحة بضخ 1.2 تريليون دولار، بما فيها صفقة 210 من طائرات البيونغ بمبلغ 96 مليار دولار، توفر 154 ألف وظيفة أمريكية سنوياً وبما مجموعة أكثر من مليون وظيفة في أمريكا في فترة إنتاج وتسليم الطائرات ومعداتها، حيث تعتبر هذه أكبر صفقة على الاطلاق لطائرات الركاب من طراز بوينغ787 ، بينما أكدت الإمارات التزامها باستثمارات تبلغ قيمتها 1.4 تريليون دولار في السنوات العشر المقبلة، من بينها استيراد 500 ألف وحدة سنوياً من الرقائق الأكثر تقدماً في الذكاء الاصطناعي. ويفترض أن تعزز هذه الصفقة مكانة الإمارات في هذا الحقل الواعد وفي قطاع الطاقة المتجددة.

نشير هنا إلى أن حجم التبادل التجاري بين الولايات المتحدة والخليج بدوله الست قد بلغ في العام 2024 نحو 120 مليار دولار بما فيها القطاع النفطي، مقارنة بنحو 93.6 مليار دولار في العام 2023، وقد شكل النفط نسبة بلغت نحو 45 بالمئة. ويبدو أن حجم التبادل سوف يقفز مع هذه الصفقات الكبرى في السنوات المقبلة.

وبالمقارنة فإن التبادل التجاري بين دول الخليج والصين، وبحسب بيانات مجلس التعاون الخليجي، بلغ نحو 287 مليار دولار في 2023، تشكل السعودية ما يقرب من 40% من حجم التبادل التجاري منها، وقد زاد أكثر في العام 2024، بينما بلغ التبادل التجاري بين دول المجلس ودول الاتحاد الأوروبي نحو 170 مليار دولار في العام 2023.

تهميش القضايا الكبرى

تعمد الرئيس الأمريكي دونالد ترامب عدم الخوض في القضايا التي تقلق المنطقة وتشكل هاجساً لدى دولها، وعلى رأس هذه القضايا حرب الإبادة الجماعية التي تشنها قوات الاحتلال الصهيوني ضد الشعب الفلسطيني في قطاع غزة وعموم فلسطين منذ السابع من أكتوبر 2023، محاولاً عزل المنطقة وإبعادها عن همومها. وقد مر على هذه القضايا مرور الكرام بعد توقيعه على الاتفاقيات والصفقات، حيث أعاد إنتاج مواقف الإدارات الأمريكية المتعاقبة وزاد عليها بأنه يريد تحويل قطاع غزة إلى منطقة حرة بعد أن تسيطر عليها الولايات المتحدة الأمريكية. ويؤكد ترامب أنه «إذا لزم الأمر، أعتقد أنني سأكون فخوراً بامتلاك الولايات المتحدة للقطاع، واستلامه، وتحويله إلى منطقة حرة (..) لم يتم حل مشكلة غزة قط، وإذا نظرتم إليها، أعني أنه لا يوجد أي مبنى قائم تقريبًا. يعيش الناس تحت أنقاض المباني المنهارة، وهو أمر غير مقبول، إنه موتٌ هائل. وأريد أن أراها منطقةً حرةً». يقول ترامب ذلك وإدارته هي التي تشارك في الإبادة الجماعية والتطهير العرقي وتقدم الدعم المطلق لجيش الاحتلال في عدوانه!!

أما الملف النووي الإيراني، فقد كان حاضراً على استحياء في جولة ترامب، ذلك أن الإدارة الأمريكية تلعب وفق المعطيات الناتجة عن العدوان على غزة ولبنان واليمن والتطورات في سوريا بعد سقوط نظام الحكم فيها. ترى الولايات المتحدة أن إيران تعاني من ضعف شديد بعد انكشاف ظهرها، وأن الوقت قد حان لمضاعفة الضغوطات عليها من أجل تسليمها بشروط واشنطن إزاء الموضوع النووي. لذلك فإن جولات المفاوضات التي تخوضها واشنطن مع طهران تنطلق من هذا المبدأ، ويبدو أنها أرادت تهدئة الجانب الخليجي قبل وأثناء الصفقات، لكنها تسير باتجاه عدم رفض تحضير الكيان الصهيوني توجيه ضربة استباقية للمفاعلات النووية الإيرانية، إن لم يكن ذلك بالتنسيق مع رئيس الحكومة الصهيونية بنيامين نتنياهو.

يمكن القول إن جولة ترامب الخليجية حققت الكثير من أهدافها التي رسمت في واشنطن من حيث تجميع تريليونات الدولارات لإنقاذ الاقتصاد الأمريكي الذي يرزح تحت وطأة الدين الفيدرالي وتمدد الصين والخلاف مع أوروبا. والجولة الخليجية ربما بطأت اندفاعة الصين وروسيا نحو تطوير العلاقات مع دول مجلس التعاون الخليجي، حيث شهدت السنوات الأخيرة تقارباً كبيراً وسعياً حثيثاً لتتويج هذه العلاقة بتهيئة الظروف لتوقيع اتفاقية التجارة الحرة بين بكين والعواصم الخليجية، وهي الاتفاقية التي بدأت محادثاتها قبل أكثر من 20 عاماً. وأن لروسيا طموحات الوصول لمياه الخليج الدافئة عبر صفقات تسليحية ربما يشجعها عرقلة بعض الصفقات الأمريكية مع دول الخليج. كما أن السلاح الصيني في الاشتباك الأخير بين الهند والباكستان قد أثبت فعاليته، ما يشجع دول المنطقة للتوجه إليه.

لكن القضية المحورية التي تقلق واشنطن هي المنافسة مع الصين وتقديرات مراكز الأبحاث الدولية وبينها المراكز الأمريكية، بأن الاقتصاد الصيني سيكون الأول عالمياً مع منتصف هذا القرن ويزيح الولايات المتحدة، وهو الأمر الذي لا تريد الإدارات الأمريكية أن تتخيله، حتى وإن تطلب ذلك افتعال المزيد من الحروب وخصوصاً في شرق آسيا. القلق الأمريكي يتحول إلى توتر شديد يصل حد الهستيريا.

النظام العربي مستمر في خذلانه لغزة والغرب يتجه لمعاقبة (إسرائيل) على حرب الإبادة والتجويع

عليان عليان- باحث وكاتب سياسي ـ الأردن

تطورات متلاحقة تحصل على الصعيد العالمي، وبخاصة على الصعيد الغربي رسمياً وشعبياً حيث تتكامل مواقف العديد من الدول الغربية ضد جرائم الإبادة الجماعية وحرب التجويع غير المسبوقة منذ الثاني من مارس (آذار) الماضي، مع المسيرات الضخمة التي تعم العواصم الغربية، بفارق أن شعارات المسيرات تتميز بالسقف العالي التي تتحدث عن تحرير فلسطين والتأكيد على محاكمة قادة العدو وجنوده وضباطه بتهمة الإبادة الجماعية.

وهذه التطورات في موقف العديد من الدول الغربية ضد حرب الإبادة والتجويع تشكل انقلاباً تدريجياً على حرب الإبادة والتجويع ،التي تشنها حكومة الائتلاف اليميني المتطرف بزعامة نتنياهو، بعد أن هبت لدعم العدو الصهيوني إثر معركة طوفان الأقصى، في ملحمة السابع من أكتوبر التاريخية 2023 ، وعندما اعتبرت الحرب العدوانية على مدى 19 شهراً حرباً مشروعة في إطار الدفاع عن النفس ، لدرجة أنها وقفت موقفاً مناهضاً من محكمة العدل الدولية ، التي عقدت ثلاث جولات، للبت في قضية الإبادة الجماعية التي ترتكبها قوات الاحتلال في قطاع غزة.

مقارنة الموقف العربي الرسمي مع الموقف الغربي المستجد

-1الموقف العربي الرسمي : واللافت للنظر أن معظم أطراف النظام العربي الرسمي تشيح بوجهها عن الأهل في قطاع غزة ، وتكتفي بعقد القمم التي تكتفي بالمطالبات والتنديد والمناشدات، دون أن تستخدم أوراق الضغط التي بيديها ، مثل وقف التطبيع والمعاهدات مع الكيان الصهيوني ، بوصفها أضعف الأيمان، وذلك بحكم تبعيتها لدول الغرب الرأسمالي ، ما دفع بعض المراقبين للتساؤل: لماذا تمارس الدول العربية تبعيتها على الدوام لدول الغرب ضد شعوبها وضد قطاع غزة ولا تمارس تبعيتها للدول الغربية في موقفها الراهن ضد حرب الإبادة والتجويع، بأن تقوم بفتح المعابر عنوة لإيصال المساعدات إلى قطاع غزة ، وأن تهدد بإلغاء المعاهدات مع الكيان الصهيوني.

إن أبسط نظرة على قرارات القمم العربية، وخاصةً قمة بغداد الأخيرة، تكشف حقيقة أن النظام العربي الرسمي شريك في المؤامرة على القطاع، لا سيما وأنه يتلطى في بيانه الختامي وراء عبارات علاقات عامة لا تسمن ولا تغني من جوع على نحو :

طالبت القمة في بيانها المجتمع الدولي بتنفيذ قرارات مجلس الأمن الدولي بشأن العدوان على غزة، وشدد على ضرورة إدخال المساعدات الإنسانية إلى غزة، وعلى أهمية التنسيق المشترك لفتح جميع المعابر وتمكين الوكالات الأممية من القيام بدورها، وعلى رفض تهجير الشعب الفلسطيني وأكد «مركزية القضية الفلسطينية والدعم المطلق لحقوق الشعب الفلسطيني».

من يقرأ هذه الفقرة من البيان الختامي يسجل ما يلي :

-1أن الأنظمة العربية تعفي نفسها من أية إجراءات عملية لوقف حرب الإبادة والتجويع ، ومثل هذا البيان قد يصدر من أي جهة أو منظمة إقليمية ، ما يعني أن هذه الأنظمة لا تنتمي للأمة العربية بل تنتمي لأسيادها في إطار الدور الوظيفي الموكول بها.

-2 البيان يشدد على ضرورة إدخال المساعدات الإنسانية لقطاع غزة وأهمية التنسيق المشترك لفتح المعابر وتمكين الوكالات لأممية للقيام بدورها ، والسؤال هنا موجه للقمة وللنظام المصري على وجه التحديد :

من يتولى هذه المهمة؟ فمصر هي الدولة المحاددة لقطاع غزة وترتبط بمعاهدة مع الكيان الصهيوني، ووفق اتفاق 2005 هناك اعتراف إسرائيلي بأن منطقة صلاح الدين تمثل الحدود المصرية الفلسطينية، وأنها جزء من اتفاقية كامب ديفيد، فلماذا لا تفتح مصر بوابة رفح لإيصال آلاف الشاحنات المحملة بالمواد الغذائية والطبية وغيرها، ولماذا لا تهدد بإلغاء اتفاقيات كامب ديفيد، التي يتبجح الرئيس السيسي بأنها أرست أسس السلام والاستقرار في الشرق الأوسط؟ وعن أي سلام واستقرار يتحدث في ظل حرب الإبادة والتجويع في قطاع غزة.

ونذكر هنا بما جاء في مقال لمبعوث السلام الأمريكي الأسبق في الشرق الأوسط « دينيس روس» بتاريخ 29--10 2023، جاء فيه (أن عدداً من الزعماء العرب الذين تحدثوا إليه صرحوا له بموقفهم «على انفراد» بضرورة إنهاء وتصفية حركة حماس، بينما مواقفهم العلنية على خلاف ذلك، لأنهم يدركون أنه مع استمرار انتقام (إسرائيل) وتزايد الخسائر والمعاناة الفلسطينية، فإن مواطنيهم سوف يغضبون منهم، وأن أولئك الزعماء يحتاجون إلى أن يُنظر إليهم، على أنهم يدافعون عن الفلسطينيين على الأقل خطابياً).

واللافت للنظر أيضاً أن دولة وعد بلفور بقيادة حزب العمال وفرنسا ماكرون اللتين هبتا لدعم الكيان بكل السبل، نراهما يتخذان مواقف صارمة نسبياً مع الكيان، بينما لا تجرؤ دولة عربية واحدة على إلغاء المعاهدة معها، أو حتى استدعاء السفير الصهيوني لتقديم احتجاج بشأن تجويع القطاع.

-2الموقف الغربي: بدايةً لا بد أن نشير إلى أن معظم الدول الغربية ، وفرت كل سبل

الدعم العسكري والاقتصادي والسياسي للكيان الصهيوني ، منذ نشوئه الغاصب عام 1948 ، وأنها حريصة على بقاء الكيان الصهيوني قوياً ومتفوقاً عسكرياً على دول المنطقة ، وأن خلافها ليس مع (إسرائيل) بل مع نهج نتنياهو الذي يقود الكيان إلى عزلة كبيرة وغير مسبوقة ، ويعطي الأولوية لبقاء حكومته على حساب مصالح وأمن (إسرائيل) نفسها ، وعلى حساب المصالح الأوروبية في المنطقة .

لقد تمثلت هذه التطورات الدراماتيكية الصادرة عن مختلف الحكومات الغربية حتى اللحظة بما يلي :

-1 إصدار قادة أيسلندا وأيرلندا ولوكسمبورغ ومالطا وسلوفينيا وإسبانيا والنرويج بياناً مشتركاً بتاريخ 16--5 2025 جاء فيه أنهم «لن يصمتوا أمام الكارثة الإنسانية التي يسببها الإنسان والتي تحدث أمام أعيننا في غزة / دعوة حكومة (إسرائيل) إلى عكس سياستها الحالية على الفور ، والامتناع عن القيام بالمزيد من العمليات العسكرية، وإلغاء الحصار تماماً وضمان توزيع المساعدات الإنسانية بشكل سريع وبدون معوقات في جميع أنحاء قطاع غزة من جانب الجهات الفاعلة الإنسانية الدولية / إدانة التصعيد الإسرائيلي في الضفة الغربية، بما في ذلك القدس الشرقية وإدانة عنف المستوطنين، وتوسيع المستوطنات غير القانونية وتكثيف العمليات العسكرية الإسرائيلية».

-2 تهديد قادة فرنسا وبريطانيا وكندا الاثنين 19-5-2025 في بيان مشترك باتخاذ إجراءات ضد (إسرائيل) إذا لم توقف حرب الإبادة الجماعية التي تشنها على قطاع غزة منذ 7 أكتوبر/تشرين الأول 2023 / مطالبة هذه الدول (إسرائيل) بوقف عملياتها العسكرية في غزة والسماح الفوري بدخول المساعدات.

-3 إعلان مسؤولة السياسة الخارجية بالاتحاد الأوروبي «كايا كالاس»، بتاريخ 20--5 25أن اتفاقية التجارة بين الاتحاد الأوروبي و(إسرائيل) ستخضع للمراجعة، في ظل الوضع «الكارثي» في قطاع غزة .

ومما زاد الطين بلة قيام قوات الاحتلال بإطلاق الرصاص الحي في 21 مايو (أيار) الماضي باتجاه وفد دبلوماسي، أثناء وجوده بمدخل مخيم جنين في الضفة الغربية، للاطلاع على الواقع المأساوي للمخيم، مما أثار غضب الدول الغربية ودفعها لاستدعاء السفراء الإسرائيليين في بلدانهم لتقديم تفسير لعدوانهم على الوفد .

نحو فرض عقوبات غربية على الكيان الصهيوني

ولم تكتف الدول الغربية الموقعة على البيانات سالفة الذكر ، بتهديد الكيان باتخاذ إجراءات عقابية بل لجأت فعلاً إلى تطبيق العقوبات في سياق تدريجي، فالحكومة البريطانية أعلنت تعليق محادثات اتفاق التجارة الحرة مع (إسرائيل) وفرض عقوبات جديدة على مستوطنين في الضفة الغربية ، كما أكد وزير الخارجية البريطاني، أن بلاده قررت تعليق مبيعات الأسلحة لتل أبيب والتي قد تُستخدم في العمليات العسكرية في غزة، معتبرًا أن منع دخول المساعدات يُعد انتهاكًا صارخًا للقانون الدولي ، هذا كله ناهيك عن استدعاء الخارجية البريطانية للسفير الإسرائيلي لإيصال رسالة احتجاج بشأن حرب الإبادة الجماعية ونهج تجويع أبناء الشعب الفلسطيني في قطاع غزة .

وها هو رئيس وزراء اسبانيا «بيدرو سانشيز « يعلن بأن بلاده قطعت العلاقات التجارية مع (إسرائيل) لأنها دولة إبادة جماعية، وأنها ألغت نهائيا تصدير الأسلحة لها، ناهيك أن خطابه في قمة بغداد العربية كان متقدماً بكثير على كلمات العديد من الحكام العرب، وعلى مخرجات القمة المذكورة، أما إيرلندا فموقفها معروف بمعاداتها للكيان ودعمها للحقوق الفلسطينية ومقاطعتها للمنتجات الإسرائيلية.

كما أن الاتحاد الأوروبي بات يعمل على إلغاء اتفاقية الشراكة الموقعة مع (إسرائيل) من خلال سعيه لتحقيق إجماع أعضاء الاتحاد لإلغاء الاتفاقية، احتجاجاً على حرب الإبادة والتجويع، لا سيما وأن الاتفاقية الموقعة مع الكيان الصهيوني عام 2000، تنطوي على مادة تربط استمرار الاتفاقية بالتزام (إسرائيل) بحقوق الإنسان.

سؤال التغيير في الموقف الأوروبي حيال الكيان الصهيوني

والسؤال هنا لماذا هذا التحول المتأخر، في موقف الدول الأوروبية حيال جرائم الإبادة الجماعية وحرب التجويع بحق الشعب الفلسطيني في قطاع غزة؟

في التقدير الموضوعي أن هذا الانقلاب يعود لمجموعة عوامل أبرزها :

1. المظاهرات الهائلة في العواصم والمدن الغربية التي لم تتوقف منذ بدء العدوان الصهيو أميركي الأطلسي على قطاع غزة على مدى (19) شهراً، التي طالبت بوقف العدوان على غزة ووقف تصدير الأسلحة للكيان الصهيوني .

2. أن كافة المنظمات الأممية ومنظمات حقوق الإنسان ـ رفعت صوتها عالياً بضرورة وقف حرب الإبادة الجماعية التي أدت إلى ارتقاء ما يزيد عن 174 ألف شهيد ومصاب ، وبضراوة حرب التجويع التي تنقل بالصوت والصورة ما أجبر الدول الغربية على إجراء استدارة في موقفها حتى لا تتهم بالمشاركة في حرب الإبادة والتجويع في القطاع ، ودعم الاستيطان في الضفة الغربية.

3. لأن الدول الغربية وخاصةً بريطانيا وفرنسا وكندا ، باتت تشعر بأن استمرار حرب الإبادة والتجويع في قطاع غزة ، يضعها في خانة المشاركة في الإبادة الجماعية، كما أنها ووفق حسابات إستراتيجية وسياسية، ترى أن هذه الحرب قد تفضي في تداعياتها إلى نشوب حرب إقليمية ، تضرب في الصميم مصالحها في المنطقة .

وأخيراً فإن صمود المقاومة وانتصاراتها في الميدان ، والتطورات سالفة الذكر تعزل الكيان الصهيوني دولياً ، كما أن تصريحات قادة سياسيين وعسكريين صهاينة مثل تصريح رئيس الحزب الديمقراطي الإسرائيلي يائير غولان، ورئيس الوزراء الأسبق «يهودا أولمرت» ووزير الحرب الأسبق «موشيه يعلون» ، التي وصفت حرب نتنياهو على القطاع بأنها غير أخلاقية لأنها حرب ضد المدنيين ، وتعكس هواية قتل أطفال غزة والاحتفال بقتلهم ، وأن قتل الفلسطينيين «أيديولوجية قومية وفاشية» ، وأن (إسرائيل) تتجه لأن تصبح دولة منبوذة بين الأمم ناهيك عن الدعوات المتزايدة من قادة المعارضة، بضرورة إنجاز عصيان مدني لإسقاط حكومة الائتلاف اليميني المتطرف ، كلها تساهم في عزل الكيان الصهيوني، وتخدم وقف العدوان على قطاع غزة .

الشرق الأوسط الجديد ومعالم التغيير

علي زيدان ـ باحث وكاتب سياسي من لبنان

تميزت العقود الثلاثة الأخيرة في منطقة الشرق الأوسط بالغليان الشديد، وتغيرات في المشهد السياسي. لقد نشبت عدة حروب في المنطقة، واستمرت تركة إتفاقية سايكس – بيكو كما هي حتى الآن، وظلت الحدود الجغرافية والسياسية قائمة بدون تغيير يُذكر بالرغم من مرور مائة سنة ونيف على رسمها. غير أن تفكك الإتحاد السوفياتي السابق في تسعينات القرن الماضي، وغياب دوره كقوة عظمى، أدى إلى تغير معادلات سياسية كثيرة، وتغيرات في خرائط الأطلس حول العالم.

لقد اختفت دول، وبرزت إلى الوجود دولاً أخرى. غاب حلف وارسو وانتهى دوره. واستمر حلف الناتو حتى اليوم، بقيادة الولايات المتحدة القوة العظمى الوحيدة في العالم، وتعاظم دوره، وزاد من رقعة نفوذه وعدد أعضائه؛ وبات على حدود روسيا، وريثة الإتحاد السوفياتي السابق. ولم تسلم منطقة الشرق الأوسط من رياح التغيير. فقد تغيرت أوضاع كثيرة أيضاً، وما زالت دائرة التغيير تدور رحاها دون توقف. التغيير الجوهري الذي حدث في الأساس في هذه المنطقة من العالم، هو غياب الكيان الفلسطيني في عام 1948، وإحلال الكيان الصهيوني بدلاً منه. وصار هذا الكيان المتوحش دولة حديثة وعلى درجة عالية من التقدم في مجالات عديدة، مثل المجالات العسكرية، والعلمية، والإقتصادية، والإستخبارية. بينما إزداد تفتت الدول العربية وإنقساماتها، وعدم توافقها على أي شئ. وتراجع استقرار العديد من هذه الدول، وازدادت الصراعات البينية والحروب الأهلية. في هذه الأجواء المسمومة، تغلغل الكيان الصهيوني في شرايين العالم العربي بكل تفاصيله، منذ الإنقلاب المفصلي الذي أدى إلى توقيع إتفاقية كامب ديفيد مع مصر، وما تلاها من إتفاقيات أوسلو ووادي عربة، وصولاً إلى إتفاقيات أبراهام التي تحاول إعادة صياغة المنطقة برمتها، بما في ذلك الجغرافيا، والثقافة والدين. وقد ترافقت كل تلك الإتفاقيات مع دعايات قوية عن فضائل الشرق الأوسط الجديد الذي سوف ينشأ من تحالف العقل اليهودي والمال العربي. وقد عبر عن هذا الشرق الأوسط الجديد شمعون بيريز[1]، بعد توقيع إتفاق أوسلو المشؤوم في أيلول / سبتمبر عام 1993، في كتابه الذي

يحمل ذات العنوان[2]. منذ ذلك الحين، وحملات التبشير بقيام شرق اوسط جديد لاتنتهي. باتت جميع القوى تدرك أن الحقبة الزمنية التي رسمت معالمها إتفاقية سايكس-بيكو قد انتهت، وانتهى معها دور الدول العظمى الفاعلة آنذاك في المنطقة. وبدأت مرحلة جديدة، أضحت فيها الريادة للولايات المتحدة الأمريكية التي تهيمن على الموارد الرئيسة في المنطقة العربية، وبحراسة الكيان الصهيوني الذي بات يمثل مصالح الدول الإمبريالية القديمة والجديدة على حد سواء. لقد بينت معركة طوفان الأقصى وما تلاها من حرب الإبادة في قطاع غزة، والحرب في لبنان، وتغير النظام في سوريا، معالم التغيير في العالم العربي ومنطقة الشرق الأوسط على حد سواء.

يمكن القول أن الهدف الرئيس للتغيير المنشود في منطقة الشرق الأوسط هو تمكين الكيان الصهيوني وحمايته، وبسط نفوذه في المنطقة. وعليه، فإن الصراع على فلسطين التاريخية، هو جوهر التغيير المرتقب في الشرق الأوسط الجديد. إلا أن هذا الصراع ما زال مفتوحاً ومستمراً إلى اليوم، بالرغم من عدم تكافوء القوى، بسبب مقاومة الشعب الفلسطيني وتمسكه بأرضه وحقوقه الوطنية. إعتبر رئيس الحكومة الصهيوني، مجرم الحرب نتنياهو، أن هذه الحرب فرصة مهمة لنشوء الشرق الأوسط الجديد. ولعل إحدى السيناريوهات المفضلة هو إعادة رسم الحدود الجغرافية للدول القائمة، وتفتيت المنطقة إلى دويلات طائفية ومذهبية متناحرة، تكون فيها الريادة والهيمنة للكيان الصهيوني، الدولة اليهودية. ومن نافلة القول أن الحروب الكبيرة تعتبر مناسبات هامة لإجراء أي تغيير استراتيجي سواء في التحالفات السياسية أو في الجغرافيا السائدة في منطقة الصراع. فإن التسارع في عملية التغيير في المنطقة بدأ إبان الحرب على العراق في بداية تسعينات القرن الماضي، حيث اصطفت معظم الدول العربية إلى جانب الولايات المتحدة لتدمير دولة عربية هي عضو في جامعة الدول العربية. وبذلك انتقل الكيان الصهيوني من موقع العدو إلى موقع الحليف. وشكلت تلك الحرب بداية فعلية لإعادة تموضع بعض الدول العربية وترتيبها وفقاً لمفاهيم التحالف والعداوة الجديد. وبالرغم من الإخفاقات الكثيرة والتراجع العربي المُهين بعد لاءات الخرطوم التي تلت نكسة عام 1967، ظلت المقاومة الفلسطينية تأخذ أشكالاً مختلفة إصراراً على نيل الحقوق الوطنية، وبناء الدولة الفلسطينية المستقلة. وكان ذلك دافعاً للتغيير في تركيبة المنطقة سواء من الناحية السياسية أو الجغرافية، وفقاً لتمنيات شمعون بيريز أو حتى إطروحات برنارد لويس[3]. وما زالت الولايات المتحدة الأمريكية تقوم بكل ما تيسر لها من قوة ناعمة وآلة عسكرية متوحشة لتغيير الشرق الأوسط، وقد عبرت عن ذلك في محطات مختلفة، لعل أبرزها تصريحات وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة كونداليزا رايس في بداية حرب الكيان الصهيوني على لبنان عام 2006، حيث وصفت تلك الحرب بأنها آلام ولادة الشرق الأوسط الجديد. غير أن رياح تلك الحرب لم تأتي كما اشتهى الكيان الصهيوني وتمنت الإدارة الأمريكية. لقد أدى إنتصار المقاومة في لبنان إلى فشل خطط التغيير آنذاك بالقوة العسكرية. على العكس من ذلك، فإن فشل تلك الحرب وانتصار المقاومة جعلت الرئيس السوري[4] آنذاك يعلن أن الشرق الأوسط الجديد يتم بنائه بإنجازات المقاومة. لكن الأمور لم تسر، فيما بعد، كما كان يحلم قادة تيار المقاومة. لقد ظلت قوى محور الشر المعادية تخطط بكل السبل لمواجهة نتائج حرب لبنان الثانية دون توقف، وقد حققوا إختراقات مهمة في قلب البلاد العربية، بانت آثارها خلال حرب الإبادة في غزة ولبنان. بينما تشتتت جهود المقاومة على عدة جبهات غير متوقعة. وصارت المقاومة، بالنسبة للبعض، عبئاً ينبغي التخلص منه.

لكن السؤال الجوهري هو، هل من الممكن أن ينشأ شرق أوسط جديد؟ وعلى أي أسس؟ يقول مارتين آنديك[5] بأن الشرق الأوسط الجديد لن يكون وفقاً للتصورات الأمريكية – الإسرائيلية، ولكنه قد يكون مجرد شيء تنبثق أسسه من الصراع القائم، مثل اتفاق سلام مؤقت[6] بين الكيان الصهيوني والفلسطينيين. غير أن التنكر الدائم لكافة الإتفاقيات التي توقع عليها الحكومات الصهيونية، لم تدع فرصة لنجاح أي إتفاق مؤقت أو دائم. وما زال الكيان الصهيوني إلى اليوم لا يحترم ولا يلتزم بالإتفاقيات التي يوقع عليها، ويُخل ببنودها، دون إعتراض من الإدارة الأمريكية وحلفائها. ولعل الإنقلاب الذي حصل على إتفاق أوسلو هو أبلغ دليل، وكما حصل في التنكر لإتفاقيات الهدنة في لبنان، وغزة مؤخراً. والسؤال الذي ينبغي طرحه هنا اليوم، هل تغير مفهوم الشرق الأوسط فعلاً؟ هل هو تغيير جغرافي؟ أم تغيير سياسي؟ وما هي معالم التغيير التي يمكن أن تكون أدلة قاطعة على ما يحدث من تغيرات. بالنظر إلى الوراء قليلاً، يُمكن القول أن هنالك تغيرات جوهرية وهائلة حدثت وما زالت، حتى بات الشرق الأوسط والعالم العربي الذي نراه اليوم مختلفاً كلياً عن العالم العربي الذي مضى عليه الزمن وغابت معالمه تحت وطأة المخططات الأمريكية والصهيونية، ناهيك عن المؤامرات المحلية. ولعل حرب الإبادة الصهيونية الأمريكية التي تدور رحاها في غزة هي أبلغ دليل على شكل التغيير الهائل الذي لف المنطقة، مما يجعل المراقب يقف مشدوهاً ومحتاراً من هول ما يجري. لقد طرح برنارد لويس في محاضرة له عام 1992[7]، بعض معالم التغيير التي حدثت وتتفاوت في مقدارها وحجمها. واستنتج أن العالم العربي كقوة أو كتلة سياسية موحدة قد فشلت وتراجعت، أو حتى زالت من الوجود. ويذكر على سبيل المثال إجماع الدول العربية في عام 1947 على رفض قرار تقسيم فلسطين الصادر عن

الأمم المتحدة، وموقف الدول العربية في حرب تشرين الأول/ أكتوبر 1973 المساند لمصر وسوريا، واستخدام النفط كوسيلة ضغط على الإدارة الأمريكية والمجتمع الدولي. بالمقارنة مع ما حدث في عام 1982 عندما غزا الجيش الصهيوني لبنان، واحتل عاصمته بيروت، وأخرجوا منظمة التحرير الفلسطينية من لبنان، كان رد الفعل في الدول العربية خجولاً ومحدوداً، بالرغم من مجازر صبرا وشاتيلا البشعة التي ارتكبها جيش الإحتلال والميليشيات التابعة له. بعد ذلك جاءت الغارة الجوية الأمريكية على طرابلس الغرب عام ١٩٨٦، حيث توقع جميع الخبراء السياسيين أن هذه الغارة سوف توحد العالم العربي بأسره ضد الغرب عموماً، وضد الولايات المتحدة خصوصاً. لكن لم يحدث شيء من هذا القبيل. ويمكن سرد أحداث كثيرة حدثت بعد العام 1992، وبينت أن مشاعر القومية العربية قد تلاشت، ولم تعد العروبة ووحدة العالم العربي ذات شأن. ويُمكن إضافة الحروب المتتالية على غزة، وحصار أبو عمار ومنعه من المشاركة في القمة العربية في بيروت عام 2002، دون أن يحتج القادة العرب، أو يتدخلوا لدى حلفائهم. وجاءت أحداث ما سمي حينها بالربيع العربي، حيث شاركت بعض الدول العربية في تمويل الحروب في دول عربية أخرى، مثل ليبيا وسوريا والسودان، وتم طرد سوريا من جامعة الدول العربية. وفي عام 2018 اعترفت الولايات المتحدة بالقدس عاصمة للكيان الصهيوني، ونقلت سفارتها من تل أبيب إلى القدس، وسط مخاوف وتحذيرات من براكين الغضب في العالم العربي. إلا أن شيئاً ما، أيضاً، لم يحدث. وفي عام 2020 تم توقيع ما سمي بالإتفاقيات الإبراهيمية، بما في ذلك إتفاقيات أمنية وتعاون عسكري، بين الكيان الصهيوني وعدد من الدول العربية، دون الإلتفات أو التطرق إلى القضية الفلسطينية. ولعل حرب الإبادة الأخيرة على غزة أسقطت ورقة التوت الأخيرة، وأظهرت مقدار التغيير الذي طرأ على المنطقة، حيث لم تحرك معظم الدول العربية ساكناً، مثل تعليق العلاقات مع الكيان الصهيوني، أو سحب السفراء، أو الغضب الخجول الذي يتوسلون به عند الإدارة الأمريكية لوقف العدوان. على العكس من ذلك. ظلت محادثات التطبيع العلني جارية بين بعض الدول والكيان الصهيوني. بل أكثر من ذلك، فقد ساهمت بعض الدول في دعم الكيان الصهيوني والدفاع عنه، سواء بإقفال المعابر مع قطاع غزة، أو التصدي للهجمات ضد الكيان الصهيوني (مثل إعتراض الصواريخ الإيرانية)، أو بالمشاركة الفعلية بالحرب، حيث شاركت بعض الدول العربية في تحالف الإزدهار الأمريكي ضد اليمن بسبب وقوفه إلى جانب الشعب الفلسطيني. يتبين من هذه الأحداث أن التغيرات المذكورة هي تغيرات جوهرية، وتعبر عن تفكك رئيس في مفهوم الوحدة العربية والترابط العربي، ومواثيق الجامعة العربية. لقد أصبحت الدول العربية غير مبالية بالقضية الفلسطينية، وكأن ما يجرى في قطاع غزة والضفة الغربية لا يعنيها ولا يؤثر على أمنها القومي. فهل هذا التغيير نهائي، ولا رجعة فيه؟ لا شيء مستحيل. يقول برنارد لويس ربما تنجح الإدارة الأمريكية أو إسرائيل بإنشاء كتلة سياسية عربية[8] متحالفة مع الكيان الصهيوني، أو كما توقع شمعون بيريز[9]، نشوء عصر جديد يسود فيه الود والسلام، ويؤدي إلى شرق أوسط جديد متكامل إقتصادياً، ويصبح فيه الكيان الصهيوني عضواً طبيعياً في جامعة الدول العربية، وتمسي غزة سنغافورة الشرق الأوسط، أو الريفيرا كما يُبشر الرئيس الأمريكي.

حواشي:

١ شمعون بيريز (١٩٢٣ – ٢٠١٦)، مجرم حرب صهيوني وأصله من بولندا. شغل منصب رئيس الكيان الصهيوني، وهو منصب فخري (٢٠٠٧ – ٢٠١٤)، كما تولّى رئاسة الحكومة مرتين، الفترة الأولى (١٩٨٤ -١٩٨٦)، والثانية (١٩٩٥ – ١٩٩٦) بعد اغتيال إسحق رابين. عمل مع ديفيد بن غوريون وزعماء الحركة الصهيونية، وتزعم حزب العمل (١٩٧٧ - ١٩٩٢). عمل على تقوية التعاون العسكري مع فرنسا، وأشرف على تأسيس البرنامج النووي ومفاعل ديمونا، وصناعات الفضاء الإسرائيلي في الكيان الصهيوني. وكان أحد مهندسي المفاوضات مع الفلسطينيين ومع الأردن.

٢ شمعون بيريز. الشرق الأوسط الجديد. ترجمة محمد حلمي عبد الحافظ. الأهلية للنشر والتوزيع. عمان، ١٩٩٤.

٣ برنارد لويس (١٩١٦ - ٢٠١٨) مؤرخ وباحث بارز في تاريخ الشرق الأوسط من أصول يهودية. درس في جامعات لندن وباريس، وأصبح أستاذا مساعدا للدراسات الإسلامية في كلية الدراسات الشرقية عام ١٩٣٨. خلال الحرب العالمية الثانية عمل في الاستخبارات البريطانية في الشرق الأوسط. كان من الكتاب المفضلين لرئيسة الوزراء الصهيونية غولدا مائير. هاجر إلى الولايات المتحدة واصبح مؤثراً على السياسة الخارجية الأمريكية وعلى صناع القرار في واشنطن. شكلت أعماله مرجعاً للمواقف المعادية لقضايا الشرق الأوسط، ودعا إلى ضرورة إعادة تقسيم الشرق الأوسط على أساس الدين والعرق، وفروع الطائفية والمذهبية.

٤ https://www.aljazeera.net/news/١٥/٨/٢٠٠٦/ الأسد-يشيد-بإنجازات-المقاومة

٥ مارتن شون إنديك (١٩٥١ - ٢٠٢٤) دبلوماسي أمريكي من أصول يهودية بريطانية، هاجرت عائلته إلى أستراليا وتخرج في جامعة سيدني. حصل على الجنسية الأمريكية عام ١٩٩٣. شغل منصب السفير الأمريكي لدى الكيان الصهيوني مرتين في الفترة ١٩٩٥ – ٢٠٠١. وهو عضو في جماعة الضغط اليهودية في الولايات المتحدة إيباك. عيّنه الرئيس الأمريكي مبعوثا للسلام في الشرق الأوسط في عام ٢٠١٣.

٦ Martin Indyk. Is a “New Middle East” Possible? Perspectives. Lowy Institute for International Policy (www. Lowyinstitute.org), Aug. ٢٠٠٦.

٧ Bernard Lewis. Rethinking the Middle East. The Henry M. Jackson Memorial Lecture. The Henry M. Jackson Foundation, Univ. of Washington. Seatle, Washington, Mar. ١١, ١٩٩٢.

٨ Bernard Lewis. مرجع سبق ذكره

٩ شمعون بيريز. مرجع سبق ذكره.

أسباب وخلفيات التعارض بين الموقف الشعبي والموقف الرسمي الغربي تجاه الإبادة الجماعية في غزة

د. موسى العزب ـ طبيب وكاتب سياسي ـ الأردن

بحسب الشارع الغربي المتضامن مع غزة، فإن الصمت تجاه استمرار «الإبادة الجماعية» في غزة أمر يدعو للقلق. كيف يمكن أن نفسر المعايير المزدوجة عند مقارنة السخط الذي أثاره القصف الروسي على أوكرانيا، والصمت المتواطئ تجاه القصف الذي يستهدف السكان المدنيين الفلسطينيين المحاصرين في غزة؟

باستعراض وجهة نظر أصدقاء فلسطين في الشارع الغربي والذين يتخذون موقفاً إيجابياً من قضية الشعب الفلسطيني وحقوقه، يدين العدوان الوحشي والإبادة الجماعية على غزة، ويتظاهر بشكل حاشد في الجامعات، وشوارع وساحات العواصم والمدن الغربية، ليواصل الضغط على حكوماته لتغيير مواقفها المدانة.

هذا الموقف يرتكز على مقاربة تقول: من الضروري لفت انتباه الحكومات الغربية إلى حقيقة يتم تغييبها. وهي أنه في هذه اللحظات ومنذ أكثر من عام ونصف، هناك شعب يُقتل أمام العالم أجمع. حكوماتنا ترى هذا ولكنها تتعامى، وتتهمنا بالمبالغة وتأجيج الصراع..

شريحة واسعة من الشارع الغربي تنتصر لغزة ولفلسطين، وهي تتشكل من طلاب ومثقفين ومفكرين وفنانين وسياسيين منتخبين، يصرخون حان الوقت لرفع الصوت، وعلى الضمير الإنساني أن يتحرك. هناك شعب يتعرض للقصف يومياً منذ 8 أكتوبر 2023، وهو تحت الحصار والتنكيل قبل هذا التاريخ بكثير.. إن قصف السكان المدنيين يمثل فضيحة إنسانية وسياسية وأخلاقية، ومحظور تماماً بموجب القانون الدولي.. إنها حقيقة مخيفة؟!

يرفض هؤلاء ازدواجية المعايير، ويدينون «إسرائيل» نتنياهو وبن غفير، ويرتكزون على المبادئ الأممية الراسخة؛ مثل الدفاع عن القانون الدولي وحق الشعوب في تقرير المصير. وللفلسطينيين الحق للعيش بكرامة وسلام، وفي أن تكون لهم دولتهم الخاصة.

يؤكد الشارع المنتفض أن على الغرب أن يتوقف عن تزويد إسرائيل بالسلاح والذخائر، ولا يكتفي بالمطالبة بوقف إطلاق النار وبعض التسهيلات الإنسانية. وهذا الموقف يبنى في الغالب على احترام القانون الدولي، إلا أنه يكلف أصحابه الكثير، في أمنهم الشخصي والوظيفي.

يقوم هؤلاء الأصدقاء بجهود شاقة لتوثيق وقائع وأخطار الإبادة الجماعية على نطاق واسع، كما يستندون أيضاً إلى وثائق ومخرجات هيئات الأمم المتحدة المختلفة، والعديد من المنظمات الدولية غير الحكومية.

ينادي هؤلاء بضرورة إجراء مراجعة سياسية وتاريخية لما يسمى برسوخ أصول المصالح الجيوسياسية التي خلقت تضامناً غربياً دائماً مع إسرائيل.. ولكنهم يصرون الآن على ضرورة كبح العدوانية والغطرسة الإسرائيلية ومحاسبتها على خرقها لكل الاتفاقيات الدولية، فقد أدى عدم تنفيذ القرارات الدولية إلى تشجيع الغطرسة والعدوان الإسرائيلي في السابق، وتطلق يدها الآن على ممارسة الإبادة الجماعية بحق الفلسطينيين.

دور وموقف الإعلام الغربي في إسناده لموقف الطبقة السياسية الغربية:

قبل السابع من أكتوبر 2023، درج الإعلام الغربي على تغطية الصراع الإسرائيلي بشكل مجزوء ومنحاز، وغيّر الطوفان الوضع بشكل كامل ومنطقي، بالنظر إلى حجم الحدث واتساع الهجمات. فشغل الموضوع كامل مساحة الإعلام في الجانب الغربي والإسرائيلي، ولكن في الأيام التي أعقبت السابع من أكتوبر2023، تسبب الرد الإسرائيلي الوحشي غير المتناسب في سقوط العديد من الضحايا الفلسطينيين، ففترت همة الإعلام.

لأن الهجوم جاء من حماس، والضحايا كانوا إسرائيليين. كان الاهتمام والتغطية كبيرين، وبعد ذلك، ومع تتابع موجات القتل والتدمير للسكان المحاصرين، والتسبب في سقوط أعداد هائلة من الضحايا، أغلبهم من المدنيين. أصبح وصول الإعلام إلى غزة محظوراً من قبل الجيش الإسرائيلي، وبرر الإعلام والحكومات الغربية لإسرائيل بأنها تمارس ببساطة «حقها في الدفاع عن النفس». رغم أن هجمات السابع من أكتوبر قد حدثت في يوم واحد فقط، في حين تستمر عمليات القصف لعدة أشهر. فعاد الاهتمام الرئيسي إلى الحرب في أوكرانيا، وطُلب من الإعلام الإقلال من التحدث عن غزة.

تحيز الإعلام الغربي لإسرائيل قديم وله علاقة كاملة بالتوجه الغربي الذي يتبناه معظم الصحفيين، وغالبيتهم، تلقوا تعليمهم في نفس المدارس، وجاؤوا تقريباً من نفس الأوساط الاجتماعية..

بالنسبة لهؤلاء، فإن العالم الغربي وقيمه الأخلاقية يتفوق على الآخرين، حيث يعتبر تأييدهم لإسرائيل، شكلاً من التلاحم الحضاري!!

ورغم فظاعات المشهد، ووحشية مشاهد القتل والمعاناة الرهيبة، يعمل القيمون في إعلام الغرب على عدم عرضها للرأي العام، رغم ظهورها على شبكات التواصل الاجتماعي.

وتتلاشى نداءات الاستغاثة الصادرة من غزة، وتترك مساحات واسعة لخطاب نتنياهو وسردية الحكومة والإعلام الإسرائيلي. وهكذا فإن وسائل الإعلام التي تدافع عن إسرائيل تحصل على عدد أكبر من المشاهدين، ويتم حجب المعارضين.

يتم أحياناً انتقاد نتنياهو، ولكن ليس الجيش الإسرائيلي، ويُشاع بأن الحرب تقع بين «إسرائيل» وحماس، في محاولة لإلغاء حضور الشعب الفلسطيني، وتصوير أن ما تقوم به إسرائيل ليس انتقامًا، بل هو رد فعل على العدوان!!

يصاحب هذا حالة من حجب المعلومات، وإخفاء الحرب، وتفكيك الحقائق، والتلاعب بالمعلومات المنشورة، وما يلحقه هذا من دور تخريبي تضليلي على المجتمعات وقواها المحركة في خضم صراع جيوإستراتيجي مفصلي.

القنوات والإذاعات الحرة وحدها تجاوزت قانون الصمت رغم تعرضها للمحاصرة والعقوبات.

هناك صحف ومنابر إعلامية مهمة ولكنها قليلة، استطاعت أن تحقق قدراً كبيراً من المهنية في معالجة الصراع بطريقة متوازنة. وهذه بالتحديد تتعرض لعدة هجمات بسبب موضوعيتها.

موقف النخب والطبقة السياسية وخلفياته.. أسباب وعوامل التحولات بالموقف:

من الصعب الإحاطة بإجمالي موقف الطبقة السياسية الغربية من الصراع الإسرائيلي الفلسطيني في هذه العجالة، وكذلك أهدافها الإستراتيجية البعيدة، ولكن من السهولة ملاحظة النقلة التي حصلت منذ عقدين وحركتها لصالح «إسرائيل»، والمفارقة أن هذا يتم في نفس الفترة التي أصبحت فيها أفعال الأخيرة تسفر عن عدائية قاهرة تجاه الفلسطينيين.

عصر الجنرال ديغول وقطيعته مع إسرائيل ولى، إعلان البندقية الأوروبي للعام 1980 المنادي بحق الفلسطينيين بوطن قومي، أصبح طي النسيان (تحت سطوة بعض زعماء مؤسسات المجتمع اليهودي)، قوى كثيرة تنحاز لإسرائيل.. في حين تتبخر دعوات الحوار مع منظمة التحرير الفلسطينية، والاعتراف بالحقوق الفلسطينية.

اتفاقات أوسلو خلقت دينامية وهمية ومضللة في الغرب، ونرى الآن بأن القضية لم تعد تحتل مكانة مستحقة في أوروبا والولايات المتحدة، مع انزياحات بمواقف قيادات مجموعة من الأحزاب التي كانت تظهر نوعاً من التضامن مع الفلسطينيين، إضافة إلى التحولات التي حصلت داخل الأحزاب ذات الصبغة الاشتراكية (الأممية) وذلك لأسباب مختلفة؛ منها صعود دور اليمين واليمين المتطرف والعنصري في أوروبا والولايات المتحدة، وهناك تمركز لليبراليين الجدد وأولوياتهم بالتناغم مع الولايات المتحدة، طلباً للدعم، وخشية من العقوبات، حتى الخضر بدؤوا بالتلون حيال المسألة الفلسطينية..

قيادات أقصى اليمين- والذين كانوا يدانون في السابق بسبب عدائهم المعلن للسامية- يعملون الآن على تعزيز الدعم السياسي لإسرائيل.. ويدينون ما أسموه بتصاعد العداء للسامية «التي يغذيها اليسار» حسب رأيهم..!!

كل هذا بمواجهة اليسار الراديكالي وبعض النقابات، وبقايا اليمين السيادي الذي عارض غزو العراق 2003، والذي أصبح معزولاً حتى ضمن عائلته السياسية.

هناك حضور متزايد للبعد السياسي والأخلاقي للمحرقة، يرافقه تأجيج للإسلاموفوبيا وسط النخب والمجتمعات.

من جانب آخر فقد تسبب تشرذم وتدهور الوضع العربي وانكفائه نحو حروبه الداخلية، وعسكرة الانتفاضة الثانية، وتناقضات وتخبطات عرفات وخطه السياسي، إلى تراجع مكانة القضايا العربية في العالم،

في الغرب، أدت الانقسامات والسجالات الحادة حول عناوين الصراع في الشرق الأوسط، مثل العلمانية التحريفية التي تلوثت بالإسلاموفوبيا، ودعم إسرائيل، و»النضال» ضد معاداة السامية، بفصل العلاقات الغربية-العربية عن مساق العلاقات الثنائية بين أوروبا وإسرائيل. مما يعني ضمناً نهاية السياسة القريبة من العرب لمصلحة إسرائيل، وسادت مقولة؛ «بأن الفشل في حل الصراع يعود للإرهاب». وهناك بين أوساط الرسميين من لايزال يلقي بالمسؤولية على حماس، في حالة من إنكار جرائم الحرب، وما يحصل من إبادة في غزة.

وتستمر الولايات المتحدة بدعم «إسرائيل» مادياً وتسليحياً وسياسياً، وتسندها بمواصلة الحرب، والإفلات من الردع والعقاب.

«التيار المركزي» في الإعلام والطبقة السياسية الغربية، أصبحا في الجانب «الإسرائيلي»، وأضحى مجرد انتقاد السياسات الإسرائيلية أمراً مكلفاً ومعقداً للغاية، ويتم إقصاء من ينتقد إسرائيل على الفور، وتعبد الطرق أمام مؤيديها، ومن يقوم بالتضامن مع معاناة غزة يُتهم بالانتهازية، ويوصم بالأقلية التي تتبع لحماس وتحاول توتير الجبهة الداخلية، وجر الصراع الإسرائيلي الفلسطيني إلى الداخل الوطني.

ردود فعل الزعماء السياسيين الغربيين على إصدار محكمة الجنايات الدولية مذكرة باعتقال نتنياهو ووزير دفاعه، جاءت متفاوتة ومنقسمة، واعتبرت ك»وصمة عار صادر عن منظمات منحرفة.»!!

«موقف معسكر غزة» إن صح التعبير، جاء مغايراً؛ وهو مصر على تطبيق العدالة الدولية، ويتم التأكيد بأن قرار المحكمة الجنائية الدولية ضد مجرمي الحرب نتنياهو وغالانت هو النتيجة الحتمية لإستراتيجيتهما للإبادة التي لا تزال قائمة».. ويطالب بضرورة وقف جميع شحنات الأسلحة المستخدمة في غزة، وإغاثة الشعب الفلسطيني فوراً».

ما بعد أكتوبر: الإعلام الغربي يعيد اكتشاف الإنسان الفلسطيني

رامي حاج سعيد ـ كاتب وإعلامي فلسطيني ـ سورية

في منعطف تاريخيّ نادر أخذ الخطاب الإعلاميّ الغربيّ بشأن القضية الفلسطينية يشي بتغيّرات بنيويّة أعمق من مجرد تبدّل في اللغة والمصطلحات.

فبعد عقود من الاصطفاف شبه التام إلى جانب الرواية الإسرائيلية بدأ هذا الخطاب يُظهر شروخًا واضحة في جداره الحديدي وخاصة عقب أحداث أكتوبر 2023 التي بدت وكأنها أعادت تعريف «الصورة» بلغة فلسطينية

فما الذي تغيّر حقًا؟ ولماذا الآن؟

أوّلاً: تطور الخطاب الإعلامي الغربي تجاه القضية الفلسطينية من الخطاب المؤدلج إلى الإحساس الإنساني العام

طالما اتسم الخطاب الإعلامي الغربي ببرودة التحليل عندما يتعلق الأمر بفلسطين وكأنّ المأساة هناك محصّنة ضد المشاعر فحتى مع التقاط الكاميرا للدم الفلسطيني كان الصوت المصاحب لها دائمًا صوت المُحتل لا الضحية.

مما يبرر سيطرة الرواية الإسرائيلية على التدفق الخبري والبناء المصطلحي للخطاب الإعلامي الغربي وخاصة فيما يتعلق بالمنظور التفسيري للصراع وتجاهل السياق التاريخي وتقديم إسرائيل كدولة ديمقراطية تدافع عن نفسها.

وقد أشار الباحث محمد أوريا في دراسته أيديولوجيا الخطاب الإعلامي الغربي وأزمته في تغطية الحرب على غزة إلى أنّ «الإعلام الغربي الرسمي تماهى مع الرواية الإسرائيلية إما عمداً أو كسلاً أو خوفاً من مخالفة التيار السائد ما ساهم في تكوين صورة نمطية مشوهة عن الفلسطينيين في الوعي الغربي»(1)

لكن وعلى الرغم مما تجلّى من اتساق فكري وتماهي عميق مع المحددات الإيدلوجية والترويجية للرواية الإسرائيلية إلا أنّ هذا لم يمنع من ظهور بعض بوادر التحول في الخطاب الإعلامي الغربي وتحديداً « مع تصاعد الرد الإسرائيلي الدموي بدأت الرواية تفقد زخمها وتتشكل قناعة بأن إسرائيل تجاوزت حدود الدفاع المشروع» (2)

ثانياً: اللغة كنافذة للوعي الجديد.

لا شكّ أن محاولات تتبّع تطوّر استخدام المفردة في وسائل الإعلام الغربية أو حتى على مستوى الخطاب العام بشقّيه السياسي والإعلامي يحتاج إلى دراسات عميقة ومقارنات بنيويّة.

ففي عالم الصحافة المفردة ليست تفصيلاً عابرًا بل أداة لتشكيل الوعي ولذلك حين تتحول بعض كبريات وسائل الإعلام من توصيف القصف بـ»العمليات الدفاعية» إلى «جرائم حرب» فنحن لا نشهد مجرد تبدل لغوي بل تحوّلًا في البوصلة الأخلاقية للخطاب.

أيضاً فإنّ استخدام مصطلح «الاحتلال» بدلاً من «إسرائيل» في بعض التقارير الصحفيّة يترك العديد من التساؤلات عن حجم التبدلات الحاصلة في بنية الخطاب الإعلامي الغربي حيث نشرت

نيويورك تايمز في 22 مايو 2021 مقالاً بعنوان الحياة في ظل الاحتلال وهو ما مثّل اعترافاً ضمنياً بالواقع القائم في الأراضي الفلسطينية» (3) وكأن الإعلام الغربي - الذي طالما امتلك سطوة التسمية - بدأ يشعر بثقل المسؤولية الأخلاقية.

وهنا لا بد من الاشارة إلى أن مثل هذه التحولات على مستوى اللغة ليست جذرية فما زالت بعض المفردات والمصطلحات تتراقص على حبال التوازن السياسي في جزء كبير وأصيل من الخطاب الإعلامي الغربي لكنّ هذه الازدواجية اللغوية بدأت تتعرى أمام جمهور أصبح أكثر وعيًا ومتابعة.

وقد أشار مايك بيري لهذه الازدواجية في «استخدام بعض الكلمات مثل القتل والمجزرة عند الحديث عن الإسرائيليين بينما تُحجب هذه المصطلحات عند الحديث عن الضحايا الفلسطينيين»(4).

وبهذا فإنّ الحديث عن بعض التحولات لا يشي مطلقاً بـ «فضيلة مفاجئة» لدى وسائل الإعلام الكبرى بل كنتيجة منطقية من اختراق أدوات الرقابة لصنّاع الرأي العام الغربي ومن أسفل البنية الفكرية للمجتمعات الغربية وتحديداً من الشوارع ومن الهواتف الذكية فالشعوب باتت تُشاهد بلا وسيط وتُحسّ بلا مرجعية سياسية.

ثالثاً: أمثلة واقعية من وسائل الإعلام الغربية توضح التحول في الخطاب.

فقد نشرت نيويورك بوست في 24 مايو 2021 تقريراً عن توقيع أكثر من 500 موظف ديمقراطي وأعضاء سابقين في فريق الحملة الانتخابية للرئيس جو بايدن على رسالة مفتوحة دعوا فيها إلى إدانة الاحتلال الصهيوني إدانة قاطعة في ظل التصعيد العسكري ضد الفلسطينيين (3)

أما هيئة الإذاعة البريطانية بي بي سي فرغم أنها لا تزال تصف المستوطنات بأنها مناطق متنازع عليها متجاهلة عدم قانونيتها وفق القانون الدولي فإنها بدأت تقدّم تغطية أكثر توازناً من خلال إتاحة المجال للرواية الفلسطينية (4)

في المقابل نشرت الغارديان البريطانية تقارير تصف الهجمات الإسرائيلية على غزة بأنها عمليات عسكرية لكنها في الوقت نفسه بدأت تفتح المجال لنشر مقالات تنتقد السياسات الإسرائيلية وتبرز معاناة الفلسطينيين (4).

رابعاً: تحليل الأسباب التي أدت إلى التحول في الخطاب الإعلامي الغربي:

ربما هناك الكثير من الأسباب التي مهدت لإعادة تشكيل مفردات الخطاب الإعلامي الغربي والتأسيس للبنية التحتية في تبدل المزاج العام الداعم للقضية الفلسطينية ولكنني أعتقد بأنّ لحظة التقاء وسائل التواصل الاجتماعي كأداة إعلام شعبية بالضمير الجمعي للإنسانية وكسر احتكار الإعلام التقليدي هو العامل الحاسم في بناء هذه الظاهرة وهو الأداة التي استطاعت أن توفّر المساحة الكافية لعرض الفيديوهات والصور من غزة بلا فلترة مما فرض العديد من الأسئلة العميقة حول مفهوم الحضارة والانسان وألزم المتابع الغربي بتتبع فطرته.

أيضاً فإن كل ما يتعلق بالتحرّكات الاجتماعية للنخب الفكرية في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية وحملات التضامن العالمية أدى إلى اتساع زاوية الرؤية لطبيعة الحدث الفلسطيني وأحدث فجوة معرفيّة بين ما يذاع عبر وسائل الإعلام الغربية وبين الشهادات والتحقيقات والتقارير المقدّمة من قبل هذه التحركات وأضاف المزيد من النقاط لصالح الحراك الشعبي الداعم للقضية الفلسطينية فوفقاً لمركز أبحاث إسرائيلي رصد الاحتجاجات بين 7 و13 أكتوبر 2023 أكدّ أنّ 69% من المظاهرات في أوربا مؤيدة لفلسطين مقابل 31% لإسرائيل وبأنّ بعد 13 أكتوبر وصلت نسبة الدعم لفلسطين 95%.(2).

خامسًا: كيف نبني على التحولات ولا نكتفي برصدها؟

إذا كان ما نشهده اليوم هو بداية تحول حقيقي فإن التحدي الأكبر هو جعله تحولًا مستدامًا لا لحظة تعاطف عابرة وبالتالي فإن تحقيق ذلك يحتاج إلى:

- إعادة تشكيل الخطاب الفلسطيني ليصبح أكثر إنسانية واحترافية وأكثر انخراطًا في لغة العالم دون أن يفقد جوهر قضيته.
- تفعيل شبكات الإعلام المستقل التي تقف خارج دوائر الضغط السياسي والاقتصادي فالإعلام بهذا المعنى ليس فقط أداة للعرض بل ساحة اشتباك.
- توحيد الجهد الإعلامي العربي والدولي لخلق سردية واضحة متماسكة تتجاوز التكرار والتجزئة وتخاطب المشترك الإنساني لا فقط التعاطف السياسي.
- تطوير آليات الرصد والتوثيق لكشف التناقضات في الخطاب الصهيوني لا برد الفعل فقط بل بالاستباق والمبادرة والتحليل العميق.

خاتمة

في لحظة تاريخية مثل هذه لا يجوز الاكتفاء بالمراقبة أو انتظار مزيد من الإنصاف من الآخر بل لا بد من استثمار اللحظة وتحويل التعاطف إلى تضامن والرواية الإنسانية إلى فعل سياسي وإعلامي منظم.

فالتحولات الجارية في الخطاب الإعلامي الغربي تجاه فلسطين ليست نهاية الطريق بل بدايته ومعركة الرواية استطاعت أن تخرج من ساحات السياسة المغلقة إلى فضاء الوعي العام ومؤشرات نفوذ الرواية الإسرائيلية ووصفها بالأبدية بدأت تتفكك وفي ساحة الوعي فقط تُكتب الهزائم والانتصارات الأهم.

.المراجع

1- أوريا، محمد. (2024). أيديولوجيا الخطاب الإعلامي الغربي وأزمته في تغطية الحرب على غزة.

2- عنان، آية محمود. (2023). تحولات الرأي العام الغربي تجاه القضية الفلسطينية بعد طوفان الأقصى.

3- مرصد الأزهر. (2021). هل تغير الخطاب الإعلامي الغربي بشأن الأزمة الفلسطينية الأخيرة؟

4- وكالة الأناضول. (2024). أمثلة فاضحة.. هكذا يشرعن الإعلام الأوروبي إبادة إسرائيل لغزة

77 عاماً على النكبة: جدلية العلاقة بين بلفور والتقسيم ودور الوسائل الظلامية في تغيير الموازين

نواف الزرو ـ كاتب وباحث سياسي ـ الأردن

يستحضر الفلسطينيون ومعهم العروبيون كلما حلت الذكرى السنوية للنكبة الفلسطينية واغتصاب فلسطين وإقامة تلك الدولة الصهيونية على خرابها، في مقدمة ما يستحضرونه ما سمي بـ «وعد بلفور» وبعده بثلاثين عاماً «قرار التقسيم»، وكلاهما نتاج بريطاني كامل الدسم لصالح المشروع الصهيوني، فالعلاقة الجدلية ما بين الوعد والقرار قوية عميقة إستراتيجية، فلولا الوعد لما جاء التقسيم، ولولاهما معاً لما أنجبت دولة «إسرائيل»، ولولا الاحتضان البريطاني الاستعماري الكامل الشامل للمشروع الصهيوني لما ضاعت فلسطين.

*جدلية العلاقة بين وعد بلفور وقرار التقسيم:

وتبدأ حكاية الغرام والعشق البريطاني بالمشروع الصهيوني و»الوطن القومي لليهود» وبـ «إسرائيل» على نحو حميمي وعلى وجه الحصر في 1840 حينما عقد المؤتمر الأوروبي الذي تبنى شعار «أرض بلا شعب لشعب بلا أرض» في لندن، وجاءت تجليات هذا المؤتمر والشعار في 1917، حينما أصدر وزير الخارجية البريطاني جيمس آرثر بلفور يوم 2 نوفمبر/ تشرين الثاني 1917 تصريحاً مكتوباً وجهه باسم الحكومة البريطانية إلى اللورد ليونيل والتر روتشيلد (1868-1937)، يتعهد فيه بإنشاء «وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين»، ثم جاء صك الانتداب وقرار التقسيم البريطانيين. لذلك يمكن أن نوثق بداية «أن دولة اليهود أسست في لندن»، فبيان وزير الخارجية البريطاني بلفور الصادر في الثاني من تشرين الثاني 1917 في ذروة الحرب العالمية الاولى، منح اليهود- رغم أنهم شكلوا أقلية صغيرة في فلسطين في ذلك الحين-»وطناً قومياً ودولة مصطنعة مخترعة على حساب فلسطين»، وفي نظرة إلى الوراء كان هذا البيان البلفوري هو الإنجاز التاريخي الأهم الذي أحرزته الحركة الصهيونية في عملها من أجل إقامة الدولة، والوعد حرف وزور التاريخ والجغرافيا في الشرق الأوسط وطرح الفكرة الصهيونية الهامشية كخيار واقعي في السياسة العالمية، واستمرارية ذلك تجسدت في الإنجاز الصهيوني الثاني حيث قامت الجمعية العمومية للأمم المتحدة بعد ذلك بثلاثين عاماً في تشرين الأول 1947 بتأييد قرار التقسيم وإقامة دولة يهودية»، و»كان الوعد حاضراً بعد ذلك في مختلف المؤتمرات والتحالفات الاستعمارية من مؤتمر سان ريمو /1920 الذي منح فيه الحلفاء بريطانيا حق الانتداب على فلسطين، إلى عصبة الأمم التي صادقت في يوليو/ تموز 1922 على صك إقرار الانتداب البريطاني، فالصك كان يتضمن في مقدمته نص تصريح وعد بلفور مع تخويل لبريطانيا بتنفيذ الوعد، كما كان الوعد حاضراً في دستور فلسطين الذي أصدرته بريطانيا بعد أسبوعين من إقرار انتدابها أممياً، حيث ضمنت مقدمته نص تصريح وعد بلفور أيضاً. ليصل إلى ذروته التطبيقية بتمرير قرار التقسيم في التاسع والعشرين من تشرين الثاني/1947.

* تواطؤ الأمم المتحدة والوسائل الظلامية في إنتاج قرار التقسيم:

وتفيد الوثائق المتسربة من أرشيف الأمم المتحدة، أن تلك المنظمة الأممية وقفت سراً إلى جانب قرار التقسيم البريطاني وإلى جانب تلك الدولة الصهيونية المصطنعة بالقوة، بل إن المؤرخ الإسرائيلي الدكتور إلعاد بن درور كان كشف النقاب في ذكرى صدور «قرار التقسيم» في 29 تشرين الثاني العام 1947، عن «أن الأمم المتحدة أعدت مخططاً لتشكيل ميليشيا يهودية مسلحة ومزودة بطائرات حربية بهدف تنفيذ القرار بتقسيم فلسطين وإقامة دولة يهودية فقط»، وكشف المؤرخ الإسرائيلي عن ذلك بعد اطّلاعه على وثائق سرية في الأمم المتحدة، على مدى العام 2007، وكانت مصنفة على أنها سرية لكن الأمم المتحدة أزالت مؤخراً صفة السرية عنها وفتحتها أمام الجمهور. وأكد بن درور على أن «الأمم المتحدة أهملت نصف قرار التقسيم أي أنها أهملت فكرة إقامة الدولة العربية، وقد كانت الفكرة تنفيذ إقامة الدولة اليهودية فقط وأن تعمل الأمم المتحدة في وقت لاحق على إقامة الدولة العربية»، وقال بن درور «إنه بموجب مخطط اللجنة التنفيذية فإن المهمة الأساس للميليشيا اليهودية كان فرض سيطرة الدولة اليهودية على العرب الذين بقوا فيها والذين كان عددهم في الدولة اليهودية، وفقاً لخارطة التقسيم، مطابقاً تقريباً لعدد اليهود».

وفي مقابلة مع المؤرخ الإسرائيلي بيني موريس، أجرتها معه «يديعوت أحرونوت»، يكشف من خلال بحث، وصف بأنه واسع النطاق، عن وثائق نشرت في كتاب جديد «1948 – تاريخ الحرب العربية الإسرائيلية الأولى»، تؤكد أن مندوبين في الأمم المتحدة حصلوا على رشاوى من أجل التصويت إلى جانب قرار التقسيم في نهاية تشرين الثاني/

نوفمبر 1947، وبالعودة إلى الأجواء التي سبقت التصويت على قرار تقسيم فلسطين التاريخية، فإن توتراً انتاب قادة الحركة الصهيونية، من جهة أن التصويت إلى جانب القرار يعني قيام «دولة إسرائيل»، وأن عدم التصويت سيشكل ضربة قاصمة للصهيونية، الأمر الذي دفع قادة الحركة الصهيونية إلى «عدّ الرؤوس»، وتبين أن نتائج التصويت لن تكون جيدة، «في هذه النقطة قرر أحدهم أن الدبلوماسية النظيفة لا تكفي، ولأن الغاية تبرر الوسيلة، يجب الانتقال إلى وسائل ظلامية، بما في ذلك الرشوة وممارسة الضغوط». ويكتب موريس في هذا السياق أن «الاعتبارات المالية كان لها تأثير على تصويت مندوبي دول أمريكا الجنوبية.. بعثة من جنوب أمريكا حصلت على 75 ألف دولار مقابل التصويت على قرار التصويت.. كوستاريكا صوتت إلى جانب القرار رغم أنها لم تأخذ مبلغ 45 ألف دولار عرض عليها.. مندوب غواتيمالا أبدى حماساً زائداً في تأييده للصهيونية ووثائق بريطانية تؤكد أنه تلقى أموالاً من منظمات يهودية أمريكية كما تشير تقارير لدبلوماسيين أمريكيين أنه كان على علاقة بفتاة يهودية.. ومن الممكن أن تكون هناك حالات أخرى ولكن لا يوجد وثائق تؤكد ذلك». ورغم أن موريس لا يعتبر الوثيقة جيدة، إلا أن رسائل ومذكرات موظفين ومسؤولين بريطانيين تشير إلى وجود هذه القضايا بشأن عدد من الدول في أمريكا الجنوبية، والتي تم إقناع مندوبيها بواسطة الأموال بالتصويت إلى جانب قرار التقسيم، كما يشير إلى حالات ابتزاز، حيث قامت جهات صهيونية بممارسة الضغوط وتهديد مندوب ليبيريا بعدم شراء المطاط، وتمت أيضاً ممارسة ضغوط اقتصادية شديدة على عدد من الدول، وخاصة تلك التي رفضت أن تأخذ رشاوى مثل كوستاريكا، وصوتت في نهاية المطاف مع التقسيم.

ويشير في هذا السياق إلى عدد من رجال الأعمال الصهاينة، مثل صامويل زموراي رئيس «شركة الفواكه الموحدة» وهي نقابة أمريكية كبيرة ذات نفوذ واسع وخاصة في دول الكاريبي، وتلفت الصحيفة إلى أن هذه الحقائق لم تكن مفاجئة نظراً لوجود ما يشير إلى ذلك، كما سبق وأن أتى المؤرخ ميخائيل كوهين على ذكر ذلك، وأيضاً كتب توم سيغيف عن ذلك من خلال ما كتبه عن تخصيص ميزانية مليون دولار لـ «عمليات خاصة».

تصوروا.... هذه الحقيقة الكبيرة الضائعة...!.

يضاف إلى ذلك ما كان أكده بحثان تاريخيان إسرائيليان كانا صدرا بمناسبة الذكرى الستين لقرار التقسيم من «أنه لولا النشاط البريطاني في فلسطين والمنطقة وضغوط يهود الولايات المتحدة لما قامت إسرائيل، ولتغيّر وجه التاريخ في المنطقة»، إذ أكد المؤرخ موطي جولاني من جامعة حيفا «أن البريطانيين حين امتنعوا عن التصويت على قرار التقسيم في 11/29/ 1947 بدعوى أن المشروع غير مقبول من الطرفين، تبنوا خطة تقسيم بديلة»، وفي بحث آخر قال المؤرخ زوهر سيغف من جامعة حيفا «إنه لولا تدخل اليهود في الولايات المتحدة قبيل التصويت على قرار التقسيم لكان من المرجح أن إسرائيل ما كانت ستقوم»، وعن إستراتيجية القرار الأممي قال شلومو نكديمون في يديعوت أحرونوت:» اعتقد وزير الخارجية الإسرائيلي الأول موشيه شريت: «أنه لولا قرار الأمم المتحدة في العام 1947 لما قامت الدولة في العام 1948». وفي أعقاب القرار كما هو معروف، انقضت التنظيمات الإرهابية الصهيونية تحت مظلة القرار الأممي وبحماية ودعم البريطانيين على كامل فلسطين، فسطت سطواً مسلحاً إجرامياً مجازرياً في وضح النهار على الوطن العربي الفلسطيني...!

فقامت التنظيمات والدولة الصهيونية على خراب وتدمير فلسطين وتهجير أهلها، وما تزال تواصل تدمير وشطب عروبة فلسطين تاريخاً وحضارة وتراثاً، كما قامت وما تزال تواصل تهجير الشعب الفلسطيني وتهويد أرضه ووطنه وتحويله إلى «وطن يهودي» وإلى «دولة يهودية نقية» يسعون في هذه الأيام باستماتة من أجل ابتزاز الشرعيات الفلسطينية والعربية لها..!. بل إنهم يشنون هجوماً إستراتيجياً شاملاً بهدف شطب فلسطين بكل ملفاتها وعناوينها إلى الأبد...!

* تغير خريطة فلسطين...؟!

الحقيقة الكبيرة الساطعة التي نوثقها ونحن اليوم أمام ذكرى النكبة، أن ذلك القرار الصادر عن الأمم المتحدة الذي استند بالأصل إلى «إعلان- وعد بلفور» أعطى ما لا يملك لمن لا يستحق»، وأنه كان قراراً ظالماً مجحفاً وقف وراءه الانتداب الاستعماري البريطاني بكل ثقله، وأسفر عن قضية/ نكبة القرن المتواصلة والمفتوحة والمركبة أضعافاً مع الزمن، وما بين الوعد والتقسيم تراكمت عوامل تغيير وجه فلسطين وقلب الموازين الجغرافية والسكانية عبر سياسات الاقتلاع والترحيل والإحلال المستندة إلى سياسات التطهير العرقي. فبعد أن كانت فلسطين بكاملها من بحرها إلى نهرها عربية الجذور والتاريخ والحضارة والتراث والثقافة والمعالم على كل المستويات، أخذت تتحول منذ الوعد تدريجياً لتنتقل خريطتها الجغرافية والسكانية من عربية إلى صهيونية، لتغدو اليوم ونحن في فضاء الذكرى السابعة والسبعين للنكبة، تحت السيطرة الصهيونية الإستراتيجية الكاملة من البحر إلى النهر. ففي فلسطين المحتلة 1948 على سبيل المثال وهي عنوان النكبة والتهجير وتهويد المكان الفلسطيني تؤكد كل التقارير والدراسات العربية والعبرية على «أن الحركة الصهيونية مجسدة بدولة إسرائيل تواصل «عبرنة» و»تهويد» أكثر من 8400 اسم عربي لمواقع جغرافية وتاريخية». وحسب كتاب «المواقع الجغرافية في فلسطين - الأسماء العربية والتسميات العبرية» وهو من تأليف الدكتور شكري عراف وصدر عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية في بيروت، فلم يكن في فلسطين حتى غزو الصهيونية لها سوى 50 اسماً عبرياً فقط، وأن التوراة اليهودية لا تشمل بالأصل سوى 550 اسماً لأمكنة مختلفة في فلسطين وهي في الأصل أسماء كنعانية وبادر الصهاينة إلى تحوير الأسماء الأصلية أو وضع أسماء عبرية على المواقع الفلسطينية، وهكذا

تحولت «بئر السبع « مثلاً إلى «بئير شيبع» وطبريا إلى «طبيريا» والخضيرة إلى «حديرة» والمطلة إلى «مطولة» وصفورية إلى «تسيبوري» وعكا إلى «عكو» وهكذا، ويتحدث الكتاب عن أن «الصهيونية غيرت وهودت 90% من أسماء المواقع في فلسطين». وليس ذلك فحسب، فدولة الاحتلال تواصل من جهة أولى مخططات تهويد ما تبقى من المواقع والأراضي الفلسطينية في فلسطين 1948 سواء في النقب أو الجليل المحتلين ، بينما تشن من جهة ثانية هجوماً تهويدياً إستراتيجياً أيضاً على المواقع والأراضي العربية في الضفة الغربية ويتركز هذا الهجوم إلى حد كبير على مدينتي القدس والخليل وقد امتد في الآونة الأخيرة إلى منطقة الأغوار الإستراتيجية، ولكن- دولة الاحتلال لا تكتفي بتهويد الجغرافيا والتاريخ وإنما تخطط وتبيت وتسعى لاقتلاع وترحيل من تبقى من أهل فلسطين بوسائل مختلفة، أو تسعى لإلغاء وجودهم تاريخياً ووطنياً وسياسياً وحقوقياً وحشرهم في إطار كانتونات ومعازل عنصرية هي في الصميم معسكرات اعتقال ضخمة قد يطلق عليها اسم «دولة أو دويلة فلسطين» أو «كيان فلسطيني» أو ربما تبقى بسقف «الحكم الذاتي الموسع».

لا شك أن كبرى الكبائر العربية هنا في ظل هذا المشهد المترامي الأبعاد أن الدول والسياسات العربية الرسمية تأقلمت مع الأمر الواقع البريطاني أولاً، ثم الأمريكي الصهيوني ثانياً، لتنتقل في السنوات الأخيرة ثالثاً من موقع اللاءات إلى موقع النعمات في التعاطي مع المشروع الصهيوني ونتاجه على الأرض «اسرائيل»، ولم يكن «الوعد البلفوري» ليرى النور.. ولم تكن فلسطين لتقسم وتضيع وتغتصب وتهوّد، لو تصدى العرب للوعد ولمشروع التقسيم البريطاني - الصهيوني كما يجب...ولو تحملوا مسؤولياتهم التاريخية والعروبية كما يجب...؟

عقدة الطوفان لدى (إسرائيل) حرب الإبادة

د. سامي الشّيخ محمّد ـ أكاديمي وباحث سياسي ـ سورية

لعل ما أحدثه طوفان الأقصى في السابع من أكتوبر قبل عامين في السكيولوجية الصهيونية، أشبه ما يكون بزلزال وجودي طاول الذهنية الاحتلاليّة، والبنية النفسية للكيان الصهيوني، إلى درجة تحول فيها إلى عقدة نفسية تاريخية، أفقدت قيادة الكيان الصهيوني صوابها بشكل تام.

من أبرز مظاهر هذه العقدة الوجودية في صفوف المحتلين الصهاينة، ممارسة أعمال الإبادة والقتل والإجرام بحق مليوني فلسطيني من أبناء شعبنا في غزة، واتساع دائرة الإجرام الصهيونية إلى مخيمات وبلدات ومدن الضفة الغربية المحتلة، على مرأى ومسمع العالم أجمع.

هذه العقدة النفسية لدى المحتل الصهيوني، جعلته يوسع من إجرامه ضد أبناء شعبنا في قطاع غزة بحيث تطاول الأطفال والنساء والشباب والكهول، وتدمر منازل السكان فوق رؤوس أهلها، وجميع المرافق الخدمية والتعليمية، والبنية التحتية في جميع مدن ومخيمات وأحياء قطاع غزة.

إنها عقدة الخوف والقلق الوجودي والمصير، فها هو رئيس حكومة الاحتلال المجرم نتنياهو، يجهر بالأسباب الحقيقية وراء التدمير الشامل لمنازل ملايين السكان في قطاع غزة، بالقول: إنه يدمر المنازل للضغط على مليوني فلسطيني للهجرة خارج القطاع إلى خارج فلسطين.

فعقدة الطوفان جعلت الكيان المحتل يعيش حالة من الوسواس القهري والقلق على مستقبله، من حدوث طوفان آخر (طوفان الدخول والتحرير).

لقد أماط طوفان الأقصى اللثام عن حقيقة الصراع الوجودي لشعبنا الفلسطيني وأحرار أمتنا العربية مع الاحتلال الصهيوني بأجلى صوره.

فضلاً عن ذلك لقد أحدث طوفان الأقصى صدمة كبيرة في الوعي الإنساني العالمي للمجتمعات والشعوب والدول التي أضحت تتحدث عن الهوية التاريخية للصراع في فلسطين المحتلة مع اليهود الغرباء عن فلسطين التاريخية، ففلسطين والفلسطينيون هم أصحاب فلسطين الحقيقيون الذين حافظوا على وجودهم تاريخياً منذ ما قبل هجرة النبي إبراهيم أبي أسحق جد يعقوب إسرائيل عليهم السّلام إلى فلسطين حتى يومنا هذا.

هذه هي الحقيقة التاريخية التي حسم طوفان الأقصى الجدال فيها على صعيد العالم بأسره.

فلا إجرام الكيان الصهيوني الغاشم بحق الغزيين وأبناء شعبنا في مخيمات وأحياء مدن الضفة الغربية، ولا أحلامهم الزائفة بطرد ملايين الفلسطينيين من وطنهم، قابلة للتنفيذ والحياة.

لقد تضخمت العقدة النفسية التي أحدثها طوفان الأقصى في الذهنية الصهيونية، إلى حد يفوق التصور في الإمعان بارتكاب المزيد من جرائم الإبادة البشرية بحق المدنيين الغزيين، فقتل أسر بأكملها، كأسرة الطبيبة آلاء النجار التي قتل أولادها العشرة بصاروخ صهيوني استهدف منزلها في غزة، شاهد حي على فداحة الإجرام الصهيوني بحق شعبنا في غزة ومخيمات الضفة الغربية المحتلة،

الأمر الذي يشكل انتهاكاً صارخاً للكرامة الإنسانية على وجه الخليقة.

إسرائيل المندهشة من اتهامها بالقتل والعنصرية

أكرم عطا الله ـ كاتب وباحث فلسطيني ـ بريطانيا

مع كل حادث يتأكد أن العقل الإسرائيلي لا يمكن أن يكون سوياً ليس على مستوى ما أفرزه من توحش كبير في حرب الإبادة التي شنها على قطاع غزة على امتداد الأشهر الطويلة الماضية بل وأيضاً على مستوى فهمه ورؤيته وحجم انفصاله عن الواقع بدرجة كبيرة .

تصريح رئيس حزب « الديمقراطيون » وهو التحالف المشترك لحزبي العمل وميرتس يائير غولان جعل الدولة تهتز هكذا بدت دولة إسرائيل وهي ترد بكاملها سلطة وحكومة ومعارضة على اتهام من رئيس حزب معارض ففي الردود ما كان يؤكد أزمة العقل المختل المنفصلة عن الواقع ، كان غولان يتحدث عن قتل جيش إسرائيل للأطفال لكن الصدمة التي عبرت عنها ردود الفعل كانت أكبر كثيراً عن الدفاع عن الجيش بقدر ما كانت تشي باستغراب حول الاتهام نفسه كأنهم ينكرون جميعاً بأن الجيش قتل أطفال .

لا أحد يملك رقماً محدداً بعدد الأطفال الذين قتلتهم إسرائيل فالأرقام المعلنة هي بعدد من وصل منهم للمستشفيات وتم تسجيلهم كشهداء ولكن من يعرف كم طفلاً بقي تحت الأنقاض؟ طبعاً لا أحد يفكر بكوابيس ما قبل الموت لهؤلاء الذين قتلوا جائعين خائفين بعضهم ظل ينزف حياً لم يسعفه أحد وآلاف من القصص التي تكسر القلب ومع كل هذا تندهش إسرائيل عندما يتم تأكيد أنها تقتل أطفالاً والذين بلغت نسبتهم بحوالي ثلث الشهداء والرقم المعلن من الأطفال بحوالي سبعة عشر ألف طفل لكن الحقيقة أن العدد أكبر من ذلك.

وإذا كان هذا النقاش المختل قد امتد على مساحة الصحف الإسرائيلية نقاشاً بين النخبة السياسية لكن الأخطر هو المزاج الشعبي اليهودي في إسرائيل الذي ظهر في لحظة ما وهي ليست لحظة عابرة بأنه أكثر وحشية من تلك النخبة المتصارعة، فالاستطلاع الأشد خطورة الذي قامت به جامعة بن ستيت في بنسلفانيا ونشرته صحيفة هآرتس يعكس فاشية لا تقل عما تم ارتكابه في غزة من إبادة.

فقد أظهر الاستطلاع الذي نشرته الصحيفة في الرابع والعشرين من مايو أن 82% من الإسرائيليين يؤيدون التهجير القسري للفلسطينيين من قطاع غزة وأن 56 % منهم يدعمون طرد الفلسطينيين من داخل الخط الأخضر أي الذين يحملون جنسيات إسرائيلية وإذا ما استثنينا العرب في إسرائيل والذين هم جزء من الجمهور ولا بد أن يكونوا جزءاً من الاستطلاع هكذا يمكن اعتبار النسبة سترتفع بين اليهود لتبلغ أكثر من النسبة الواردة.

وإذا كانت النخبة السياسية في ظل المناخات السائدة والمنافسة على أي منهم أشد يمينية وأكثر تطرفاً وقد يتم فهم الأمر كنوع من المزاودة بحدة الاستقطاب للحصول على أصوات انتخابية فكيف يمكن تفسير نتائج الاستطلاع الذي يعكس المزاج الجماهيري العام سوى أن فاشية تغلغلت في المجتمع الإسرائيلي.

ولأن يائير غولان مركز الحدث ربما أن هناك ضرورة لأن نستدعي تصريحه الشهير عام 2014 عندما كان نائباً لرئيس الأركان حين قال إنه يرى المجتمع الإسرائيلي يشبه المجتمع الألماني مطلع ثلاثينات القرن الماضي محذراً من تسلل فاشية إلى داخل المجتمع الإسرائيلي وتلك كانت قد حرمته من الترشح لرئاسة الأركان فهل كان غولان يتنبأ أم كان يدرك تماماً طبيعة العقل الإسرائيلي الذي يستفحل فيه المرض ويتدهور إلى هذا الحد من العنصرية والوحشية.

طبعاً كل ذلك كان مفهوماً حتى قبل أن تبدأ هذه الحرب لكن الحرب الأخيرة كشفت ما لا يدع مجالاً للشك حتى لدى أقرب أصدقاء إسرائيل بأن هذه الدولة ومن خلال حكومتها الأكثر تطرفاً

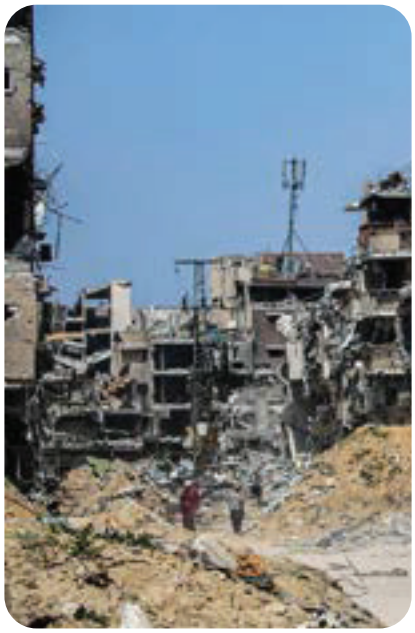

وبرنامجها المعلن هي حكومة تطهير عرقي لكن الجديد هنا أن هذه الحكومة يقف خلفها شعب التطهير العرقي وتلك لم تكن مصادفات أو وليدة حدث أكتوبر بقدر ما أن الأمر مرتبط بثقافة عززتها الكتب الدينية وتحولت إلى ممارسة وسلوك يومي يتم التعبير عنه بشكل فردي وجمعي.

عاد غولان بعد الحملة الشرسة محاولاً التراجع عن وصفه للجيش بهواية قتل الأطفال رغم أن هناك جنوداً اعترفوا بأنهم كانوا يتراهنون مع زملائهم على قنص الفلسطيني «وتلك هواية « لكن الأهم أن إسرائيل لم تعد قادرة على إخفاء ثقافتها العميقة كما العقود الماضية فقد تصرفت بطبيعتها العنيفة تحت وقع السابع من أكتوبر ولم تنتبه لأن عليها أن تستمر بقناع ارتدته منذ قيامها بديمقراطية وحقوق إنسان ودولة قانون وقوانين دولية وهي ابنة العالم الحضاري وفجأة تنكشف كدولة ما قبل العصور الوسطى لكن المدهش جداً أنها تندهش عندما يتم اتهامها بذلك .

عربات جدعون وصحوة أوروبية خجولة

أحمد عويدات - كاتب سياسي فلسطيني ـ السويد

بعد انقضاء اكثر من 600 يوم على حرب نتنياهو الفاشية على قطاع غزة، لازال أهلنا يعيشون جحيماً حقيقياً كما وعد الرئيس ترامب شريك نتنياهو في الإبادة. لقد استمر هذا الجحيم ولم يُفرّق الصهاينة بين طفلٍ وامرأه وشيخٍ وشاب، الكل كان هدفاً لصواريخ وقذائف العدوان الأمريكية الصنع، والكل كان هدفاً لسلاح التجويع والحرمان من الغذاء والماء والدواء والأمان أيضاً وسط صمت المجتمع الدولي، وما المجزرة التي ارتكبها الاحتلال بحق عائلة الطبيبة المنكوبة آلاء النجار، والتي كانت على رأس عملها في معالجة الأطفال المصابين بالمشفى، عندما فوجئت باشلاء جثامين أطفالها الثمانية المتفحمة ؛ إلا دليلاً دامغاً على النزعة الانتقامية والحقد تجاه الطفل الفلسطيني الذي يمثل المستقبل والوجود الفلسطيني، الذي تهابه دولة الكيان، وتؤكد - جريمة الحرب هذه أيضاً - العقيدة التوراتية التي يعمل بموجبها جيش الاحتلال وقادته الصهاينة والتي تهدف إلى اجتثاث الوجود الفلسطيني من أرضه، وجعله في غياهب النسيان في ظل صمتٍ مريبٍ للعالم برمته.

أمام هذا الاجرام الاستثنائي والذي لم تشهد البشرية مثيلاً بقسوته ووحشيته عبر التاريخ، اخترقت اوروبا جدار الصمت أخيراً بعد ان وصل عدد ضحايا العدوان اكثر من 53 الف شهيد و122ألف مصاب، عدا عن عشرات الآلاف من المفقودين والمعتقلين، وقتلٍ لكل جوانب الحياه في غزة التي باتت مقبرة لكل الشرائع والأعراف والقوانين الدولية، استيقظت أوروبا، التي تتبجح بحقوق الإنسان وتتشدق بقيم الحرية والعدالة والسلام، من سباتها العميق لتعلن مواقف خجولة لا ترقى الى حجم دم الأطفال والنساء الفلسطينيين النازف منذ عامٍ ونيِّف، لتعلن بريطانيا وتحت الضغط الشعبي إيقاف العمل باتفاقية التجارة الحرة مع «اسرائيل»، وتعلن حكومتها الغضب من توسيع العملية العسكرية الإسرائيلية، وتستدعي سفيرة الكيان، وتفرض عقوبات على أفراد وشركات إسرائيلية بسبب اعتداءات المستوطنين المتكررة على الفلسطينيين في الضفة، أما حكومة فرنسا وقد أيقظتها المظاهرات الغاضبة للشارع الفرنسي، تعلن تصميمها على الاعتراف بالدولة الفلسطينية، واستيائها من السلوك الاسرائيلي لما تقترفه دولة الكيان من قتل وتدمير، وتسبقها اسبانيا التي لم تتوقف عن مواقفها الداعمة للقضية الفلسطينية، فاتخذت قراراً بحظر تصدير السلاح الى دولة الكيان وتستدعي السفيرة، وتعرب عن سخطها من الممارسات اللاإنسانية لدولة الكيان والتي تتخذ من المساعدات الإنسانية سلاحاً لإبادة المدنيين ودفعهم نحو التهجير القسري، ويعلن وزير خارجيتها « أن الوضع الانساني في غزة لا يطاق، ونطالب بفتح المعابر لإدخال المساعدات»، وقال وزير خارجية أيرلندا «أن هناك تجويع للأطفال واستخدام الغذاء كسلاح، والعالم لم يقم بما يكفي». من ناحية أخرى، يعلن الإتحاد الاوروبي عن مراجعة اتفاقية الشراكة الاقتصادية مع «إسرائيل « تمهيداً لإيقافها، في خطوة من شأنها أن تُجبر دولة العدوان لوقف حربها المجرمة. ويطل وزير خارجية ألمانيا معلناً موقفاً غير مسبوق

أن « دول أوروبية عدة تطالب بوقف الشراكات مع إسرائيل بسبب ما تقوم به في غزة، وأن المستوى الحالي للهجمات الإسرائيلية لم يعد تبريراً ممكناً لقتال حماس» . أما السويد تقوم باستدعاء السفير الإسرائيلي بسبب عدم إدخال المساعدات، بينما تصدر كندا وبريطانيا وفرنسا بياناً مشتركاً تقول فيه « لن نقف مكتوفي الأيدي بينما تواصل حكومة نتنياهو أفعالها الفاضحة»، كما كثّفت دعواتها لإيقاف الحرب واحتجت على توسيع العملية العسكرية «عربات جدعون» التي استقلها نتنياهو دون كوابح، غير آبه بتعنته ورفضه المستمر لكل المطالبات الدولية بوقف حربه المجنونة العبثية، والتي باتت بلا أهداف ولا إنجازات بحسب ما خطط له قاده الكيان، وبحسب ما صرح به الكثيرون من المسؤولين الإسرائيليين السابقين سواءً الأمنيين أو العسكريين او السياسيين، وآخرهم ما جاء على لسان إيهود أولمرت رئيس وزراء إسرائيل السابق لوكالة بي بي سي : «هذه حرب بلا هدف وبلا فرصة لتحقيق أي شيء يمكن ان يُنقذ الرهائن، مشهد الحرب واضح هو مقتل آلاف المدنيين الفلسطينيين الأبرياء والعديد من الجنود».

كل هذه المواقف والادانات والاستنكارات والنداءات لم تفلح بأن توقف الحرب الفاشية للحظةٍ واحدة، بل على العكس انكفأت قرارات القمم الإسلامية والعربية وآخرها قمة بغداد الى نقطة الصفر، وازادت مع عقدها المجازر الإسرائيلية، وتوقفت كل محاولات تحريك مياه المفاوضات الراكدة في الدوحة إلا من بعض المناورات، أو ما يجري تحت الطاولة، وكأن المقاومة قد خُدعت بالوعود التي قُطعت أمريكياً، عقب الافراج عن الأسير الإسرائيلي الأمريكي عيدان الكسندر، وبدأت حرب نتنياهو تأخذ مساراً اكثر شراسه وإجراماً بتوسيع العملية العسكرية تحت مُسمى تُلمودي «عربات جدعون»، ليفصح قادة الكيان عن مخططهم التوسعي باحتلال كامل القطاع بعد تهجير أهله قسراً، والاتفاق مع شريك الاستثمار والصفقات ترامب لتحويل غزة الى ما أسماه هذا الأخير «ريفييرا الشرق الأوسط» والتوسع بمشروعه «الشرق أوسطي الجديد» الذي عرض خارطته نتنياهو من على منصة الأمم المتحدة، وعلّقها الجنود الإسرائيليون على ذراعهم، لتشمل ليس فقط الضفة الغربية وأراضي 48، بل أراضٍ من الدول العربية المحيطة حتى وصلت الى أجزاء من السعودية، ولعل ما يجري من اعتداءات واجتياحات لمخيمات وقرى الضفة، وتغيير هندستها وتجريف شوارعها ونسف أبنيتها إلا جزء من هذا المخطط، وكذلك ما جرى مؤخراً من اعتداءات واستفزازات من قبل الوزير بن غفير وأعوانه اليمينيين المتطرفين واقتحامهم للمسجد الاقصى تحت مُسمى «مسيرة الأعلام «تمهيدا لتهويده.

في ظل استمرار هذه الحرب فان الشغل الشاغل للإدارة الأمريكية والدوائر الغربية هو المطالبة بإطلاق سراح الرهائن، وقد نسوا ان هناك أكثر من مليوني سجين فلسطيني يعتصرهم الجوع والعطش، ويهددهم تفشي الأوبئة والأمراض والموت من جراء سوء التغذية، وانعدام أدنى سبل الحياه الصحية خاصة للأطفال والتي تسببت بولادة أطفال بلا دماغ وتشوهات خلقية عديدة، فقد مات نحو 58 طفلاً، وسُجلت ٣٠٠ حالة إجهاض بسبب سوء التغذية، ونحو 242 بسبب نقص الغذاء والدواء. إن الحياة في غزة - كما أفاد الكثير من المراقبين الأمميين - تحتضر على يد جلادي العصر لأنهم يستخدمون سلاح المساعدات للإبادة الجماعية من خلال الاستمرار في إغلاق المعابر، وتعطيل العمل بالبروتوكول الانساني الذي نصت عليه المرحلة الأولى من اتفاق الهدنة، وادخال النذر اليسير من شاحنات المساعدات التي لم يصل عددها إلى 100 شاحنة، إضافةً إلى إصرار دولة الاحتلال على توزيع المساعدات وفق آلية إسرائيلية تخدم مخطط التهجير، وتعمل على إذلال وإخضاع الغزاويين.

إن إيقاف حرب الإبادة الجماعية والتطهير العرقي بات مسؤولية أخلاقية وإنسانية دولية، وهذا يتطلب تفعيل أوراق الضغط لكافة الأطراف التي أعربت عن مواقفٍ لا يمكن وصفها إلا بالخجولة؛ لأنها تفتقد إلى التأثير والفاعلية، وهذا يعني أنه لابد من فرض عقوبات اقتصادية وسياسية ودبلوماسية على دولة الكيان، وتفعيل قرارات الشرعية الدولية، ووضع هذا الكيان تحت البند السابع في حال عدم إذعانه لهذه القرارات، والطلب من المحكمة الجنائية الدولية القيام بمسؤولياتها وفق القرارات التي اتخذتها.

إن الشجب والاستنكار والإدانة الأوروبية لن توقف «عربات جدعون»، ولن توقف الحرب، ولن تنهِ الاحتلال، ولن تفشل مخططات نتنياهو ضد الشعب الفلسطيني ولن تأتِ بالسلام والاستقرار الى المنطقة. وحدها هي لغة القوة والعقوبات التي تفهمها الدولة المارقة وقادتها أسياد الإجرام والإبادة.

بنك الأجساد: الاستعمار الحيوي واستمرار النكبة في الأجساد الفلسطينية بعد الموت

بيسان عدوان ـ كاتبة وباحثة فلسطينية ـ مجدل عسقلان

في الذكرى السابعة والسبعين للنكبة، وفي ظل الإبادة الجماعية الجارية في قطاع غزة، يتبدى شكل جديد من أشكال السيطرة الاستعمارية: السيطرة على الجسد الفلسطيني بعد موته. لا يكفي أن يُقتل الفلسطيني في غزة، أو يُعتقل ويُعذب في الضفة الغربية والقدس، أو يُحاصر في أحياء صغيرة وكأن حياته باتت محصورة في مساحات قاتمة ومقفرة، أو حتى أن يختفي قسريًا من دون أثر.

هذا الواقع المؤلم والموثق ليس مجرد قصص أو أشباح من الخيال، بل شهادات حية من أطباء الاحتلال وشهادات فلسطينية قدموها للمؤسسات الحقوقية، يؤكدون فيها هول هذه الممارسات التي تحمل بصمة قاسية من القهر والإهانة، تراكمت على مدى سنوات، ولا تزال جزءًا من حياة الفلسطيني اليومية.

هذه الممارسات ليست استثناءً أو ظاهرة غريبة على التاريخ. فالاستعمار على مر العصور لم يكتفِ بشغل الأرض والسيطرة على الاقتصاد والسياسة، بل امتد ليشمل أجساد السكان الأصليين، أحياءً وأمواتًا، تحت ذرائع غامضة تتحدث عن الطب أو الحضارة أو الإنسانية. هذه السيطرة على الجسد كانت وما تزال جزءًا من استراتيجيات الاستعمار في فرض الهيمنة وقمع الآخر، وتحويله من إنسان له كرامة وألم إلى مجرد مادة تستخدم وتُستهلك.

فكلما فشل الاحتلال في تحطيم الفلسطيني كإنسان حي، يذهب أبعد من ذلك ليُنتقم من جسده بعد الموت. فالجسد الفلسطيني ليس مجرد بقايا بشرية تموت وتدفن، بل مادة حيوية في لعبة استعمارية معقدة تستخدمها منظومة ما بعد الاستعمار، حيث لا يكتفي الجلاد بالقتل فقط، بل يمارس سلطة «ما بعد الحياة» (necro power) على ضحيته، ليحوّل جسده إلى ساحة جديدة للقهر والإخضاع، وعليه تكشف تلك الورقة عن ممارسات دولة الاحتلال الإسرائيلي في السيطرة على الفلسطيني حتى وهو ميت.

مشرحة «أبو كبير» كأداة استعمار حيوي

منذ نهاية التسعينيات، بدأت تتسرب شهادات عن قيام معهد الطب العدلي الإسرائيلي «أبو كبير» باستخدام جثامين الفلسطينيين كمصدر للأعضاء والأنسجة دون علم أو موافقة ذويهم. كانت أشهر حالة تم الكشف عنها عام 1997 حيث وجد الدكتور حاييم بوزغلو جثمان ابنه العسكري الذي قضى نحبه في حادث تدريب في الجيش غير سليمة : «رأيت أنهم عبثوا بالجثمان وتدربوا عليه ولا

يوجد قرنيات في عينيه... حتى زوجتي غير الطبيبة عرفت أنه لا يوجد في عينيه قرنيتان»

وكانت صحيفة «يديعوت» العبرية قد كشفت، في تحقيق في كانون الثاني 2000، قيام المعهد بسرقة أعضاء من الجثث وبيعها بهدف إجراء أبحاث علمية عليها دون علم الأهل وموافقتهم. ونسب التحقيق إلى موظفين في المعهد قولهم أن أعضاءً داخلية سُرقت من الجثث أثناء التشريح من قبل الأطباء أو المساعدين ونقلت للحفظ في أوعية مع مادة الفورملين، ومن هناك كان يتم نقلها إلى معاهد الأبحاث التي كانت تطلب هذه الأعضاء بدون موافقة الأهل.

وفي عام 2009، اعترف الدكتور يهودا هيس، الذي ترأس المعهد لعقود، بأن مؤسسته انتزعت أعضاءً من جثث فلسطينيين وإسرائيليين دون إذن رسمي. وفجرت مائيرا فايس في كتابها «على جثثهم الميتة»، قنبلة مدوية في إسرائيل بقولها «أعضاء الشهداء الفلسطينيين تتعرّض للسرقة» بينما لم يتم التعرض بالسرقة لجثمان جندي إسرائيلي واحد.

بيّنت فايس أنّ فترة الانتفاضة الأولى في العام 1987 شهدت أكبر عمليات سرقة الأعضاء، خاصة مع زيادة عدد جثث الفلسطينيين، لافتةً إلى أنّه قام بتنفيذها العاملون في المعهد بعد أنْ تلّقوا أمراً عسكريّاً، وبدون علم ذوي الشهداء.

فسّر إدوارد سعيد تحويل جسد الآخر إلى مادة معرفية تحت مشرط السلطة فإن هذه الممارسة تمثل نمطًا من «الاستشراق الطبي» فالضحية لا تُعامل كإنسان بل كموضوع تشريحي يُعاد إنتاجه ضمن تراتبية استعمارية معرفية. فالجثة هنا تُنزع عنها كرامتها وخصوصيتها، لتُختزل إلى مجرد وظيفة بيولوجية تخدم البنية الاستعمارية.

استعمار الجلد في مستشفى «شيبا»

لفت اعترافات الأطباء في المعهد الإسرائيلي للطب الشرعي أنظار الصحفي السويدي دونالد بوستروم، وقام في عام 2009 , 2014 بتحقيقات استقصائية، وثق بها شهادات لعائلات فلسطينية تسلمت جثث أبنائها بعد احتجازها لفترات طويلة، وكانت الجثامين تحمل آثار خياطة من العنق حتى البطن، دون تفسير طبي واضح.

كشفت التحقيقات أن القوات الإسرائيلية، أو جهات مرتبطة بها، كانت تزيل أعضاء حيوية من جثث الفلسطينيين الذين قُتلوا خلال المواجهات، دون موافقة عائلات الشهداء، وحسب المقال، كانت هذه العملية منظّمة وذات طابع منهجي، حيث تم استخدام الأعضاء المنتزعة في أبحاث أو أغراض أخرى، منها على ما يبدو تقديمها للجنود الإسرائيليين كمواد للترميم أو التشريح في معهد «أبو كبير» الطبي.

ورغم فتح التحقيقات في دولة الاحتلال حول ذلك مدير معهد أبو كبير في عام 2002 ومرة أخرى في عام 2005 بتهمة استئصال أعضاء من الجثث دون موافقة الأسرة، وهي سرقات اعترف بها في النهاية. تم توبيخه بعد التحقيق الأول ولكن سُمح له بالاحتفاظ بوظيفته. وبعد التحقيق الثاني، تم عزله من منصبه كمدير ومنحه لقبًا جديدًا – كبير أخصائيي علم الأمراض – براتب أعلى.

وفي حين ادّعت حكومته أن هذه الادعاءات كانت معادية للسامية، فقد تفاخر هيس بما فعله؛ حيث قال لشيبر-هيوز في مقابلتها معه: "والآن، فيما يتعلق بمسألة استئصال الأعضاء، فالأمر غريب. ليس فقط هنا، في إسرائيل، ولكن في أي مكان آخر، يعتمد الأمر كله على النهج الشخصي للمسؤولين عن علم الأمراض أو استئصال الأعضاء. في حالتي، عندما كنت طبيبًا مقيمًا في [مستشفى] تل هشومير كنا نتعاون مع الجيش، وكنا نزود الجيش بالجلد المُطعّم (المقطوع) لضحايا الحروق، ومن وقت لآخر، كانوا يطلبون منا قرنية. لذا، كنت أشارك في ذلك لأنني كنت مسؤولاً مع اثنين آخرين، وكنا نوفر ذلك".

يفسر الباحثون في الطب الإمبريالي هذه الظاهرة بوصفها نمطًا من البيو-كولونيالية، حيث تُحوَّل الشعوب المستعمَرة إلى «مستودعات بيولوجية» لاستخدامات الغرب. فيتحول الجندي الإسرائيلي « المُستعمِر» الذي شارك في حرق غزة وتفجير أجساد أهلنا متلقي لجلد الفلسطيني المقتول في مشهد عبثي يختصر منطق الاستعمار الاستهلاكي القائم» هذا الحدث لا يمكن قراءته كفعل طبي عادي، بل هو جزء من شبكة عنف ممنهجة تحول أجساد الفلسطينيين إلى استثمار ومادة قابلة لإعادة التدوير داخل نظام استعماري يتجدد بالموت كما يحيا على إخضاع الأحياء المُستعمَرين (الفلسطينيين).

وهذا ما أشار له فرنز فانون في كتابه «أن المُستعمِر لا يكتفي بإخضاع جسد المُستعمَر بل يسعى إلى تشكيله حتى يصبح قابلاً للاستعمال.. فالمُستعمِر يريد استثمار هذا الجسد، لا لإنقاذه، بل لتطويعه وربما استنزافه» فلاستعمار الذي لا يكتفي بقتل المستعمَر، بل يستمر في استهلاكه بعد موته».

المقابر كأداة للهيمنة على الذاكرة

في 5 آب/ أغسطس 2024، أي بعد ثلاثمائة وثلاثة أيام من حملة الإبادة الجماعية التي شنّها الاحتلال الإسرائيلي على أهالي غزة، أعاد الاحتلال الإسرائيلي جثث 89 فلسطينيًا في حاوية شحن إلى خان يونس ليقابل الأحياء بتجسيد للموت الجماعي بدلًا من التعرف على أحبائهم الذين يتوقون لمعرفة مصيرهم.

كانت الجثث متحللة لدرجة يصعب التعرف عليها، ولم تحتفظ الجثث بأي شيء من تاريخها: هل كانت هذه الجثث لمعتقلين تعرّضوا للتعذيب؟ هل كانت جثثًا مسروقة من قبور جرفتها الجرافات في غزة؟ رفض الاحتلال الإفصاح عن ذلك. وفي غياب القدرة على إجراء اختبار الحمض النووي، لم يتمكن المسؤولون الفلسطينيون من التعرف على الجثث، ولم يكن أمامهم خيار سوى دفنها كيسًا تلو الآخر في قبر واحد كبير بالقرب من مستشفى ناصر.

في أواخر عام 2023، ذكرت وسائل إعلام فلسطينية ونشطاء حقوقيون وقوع حادثة خلال تفتيش القوات الإسرائيلية لبعض المقابر الجماعية في مناطق وسط وجنوب قطاع غزة، حيث كشفت عائلات

شهداء عن عثورها على جثث ناقصة أعضاء حيوية. تم توثيق الحادثة من خلال شهادات ومقاطع فيديو تداولها الناشطون على وسائل التواصل الاجتماعي، وحملت شهادات بعض الأطباء الفلسطينيين تأكيدات بأن الأعضاء المنتزعة قد استُخدمت في دراسات أو بيع في السوق السوداء، مما يشير إلى شبكات منظمة وراء ذلك.

ذكر المرصد الأورومتوسطي إن لدى إسرائيل تاريخاً حافلاً باحتجاز جثث الشهداء الفلسطينيين، إذ تحتجز في برادات خاصة جثث 145 فلسطينياً على الأقل، إضافة إلى حوالي 255 في مقابر الأرقام و75 مفقوداً ترفض الاعتراف باحتجاز جثثهم. ولفت إلى اعتماد إسرائيل على احتجاز جثث القتلى الفلسطينيين عبر دفنهم فيما تسميه (مقابر مقاتلي العدو)، وهي مقابر سرية جماعية تقع في مناطق محددة مثل مناطق عسكرية مغلقة، ويتم فيها الدفن بشكل مجهول بأرقام محفورة على لوحات معدنية ملحقة بالجثث أو الرفات.

أشار مركز القدس للمساعدة القانونية وحقوق الأنسان في تقريره حول الأوامر العسكرية التي وردت بشأن الجثامين الفلسطينية التي أعيدت للفلسطينيين أنها معيبة وتفتقر إلى الكثير من الإجراءات التي يقتضيها القانون الدولي الإنساني في حال اضطرت دولة الاحتلال لدفن ضحايا الحرب، كما أن هذه الأوامر تعد مخالفة للقانون الدولي الإنساني واتفاقيات جنيف الأربعة والبروتوكولات المرفقة والتي تمنع دولة الاحتلال من دفن الضحايا إلا في حالات الضرورة وعندما يكون من الصعب تسليم الجثمان، أو في حالة التحقيق، وفي هذه الحالات يكون الدفن مؤقتاً ويجري وفقاً لشروط تحفظ كرامة الميت وتضمن التعرف عليه في المستقبل

لجأت دولة الاحتلال الإسرائيلي في السنوات الأخيرة إلى إضفاء صبغة قانونية تتيح بلورة مسوغات لاحتجاز جثث القتلى الفلسطينيين وسرقة أعضائهم، منها قرار المحكمة العليا في إسرائيل الصادر عام 2019 الذي يتيح للحاكم العسكري احتجاز الجثث ودفنها مؤقتاً فيما يعرف بمقابر الأرقام. وقد سن الكنيست (البرلمان) الإسرائيلي نهاية عام 2021 تشريعاً قانونياً يخوّل للشرطة والجيش الاحتفاظ برفات قتلى فلسطينيين.

في سياق الطب البِرو-استعماري، لا تُعامل جثامين الفلسطينيين كأجساد ميتة، بل كأدوات سياسية قابلة للتشريح والسيطرة. فاحتجازها في «مقابر الأرقام» بلا هوية، وتحويلها إلى بنك للأعضاء والجلود، يعكس منطقًا استعمارياً يمدد العنف من الحياة إلى ما بعد الموت.

هذه المقابر ليست أماكن دفن، بل مختبرات صامتة لمحو الذاكرة وتجريد الضحية من إنسانيتها. إنها جزء من نظام طبي عسكري يرى في الجسد الفلسطيني مخزونًا تشريحيًا، لا يُكرّم بالموت، بل يُفكّك ويُخزّن ويُسلب من اسمه وجلده، في ممارسة تدمج الطب بالهيمنة الرمزية وتعيد إنتاج الاستعمار في صورته الحيوية المعاصرة.

الخاتمة:

كتبت شيبر-هيوز في عام 2010 مقالًا في مجلة "كاونتر بانش" اليسارية أوضحت فيه المبرر العرقي القومي للمخطط: « إن الكثير من الإسرائيليين وصحيفة نيويورك تايمز ينظرون إلى البروفيسور هيس باعتباره بطلًا بسبب خدمته للأمة في التعامل مع جثث القتلى من الإرهابيين والانتحاريين، ويعتبرون سلوكه وطنيًا. لم يكن، في رأيه "فوق القانون" بقدر ما كان يمثل القانون، قانونًا أسمى بكثير، قانونه هو، وكان هادئًا وعقلانيًا ومحقًا على الصعيد العلمي والتقني. كانت البلاد في حالة حرب، والدماء تسيل كل يوم، والجنود يُحرقون، ومع ذلك كان الإسرائيليون يرفضون توفير الأنسجة والأعضاء اللازمة. لذا، كان يتولى زمام الأمور بنفسه»

كما أيّدت بعض الطوائف الدينية المحافظة في إسرائيل هذه الأفعال علنًا، وتلاعبت بالشريعة اليهودية لتعزيز أيديولوجية التفوق اليهودي. في عام 1996، طرح الحاخام يتسحاق غينسبرغ، الزعيم المؤثر لطائفة تشاباد-لوبافيتش، سؤالًا بلاغيًا في ظاهره: « إذا احتاج يهودي إلى كبد، هل يمكنكم أخذ كبد شخص بريء غير يهودي يمر من هنا لإنقاذ حياته؟ ربما تسمح التوراة بذلك. الحياة اليهودية لها قيمة لا متناهية. هناك شيء أكثر قداسة وتفردًا في الحياة اليهودية من الحياة غير اليهودية».

ما تكشفه هذه الورقة هو أن الجسد الفلسطيني، في ظل المنظومة الاستعمارية الإسرائيلية، لا ينال كرامته حتى بعد الموت. الجثة تتحول إلى مادة حيوية تُستخدم في سياقات تشريحية وطبية دون إذن، وتُدفن دون اسم، وتُدار كأداة تفاوض سياسي. إن هذه الممارسات تمثل جريمة ضد الإنسانية، وتستلزم تحركًا قانونيًا وشعبيًا لمواجهة هذا النمط الوحشي من الاستعمار الحيوي.

المراجع:

1. هذا المقال هو جزء من بحث اكاديمية حول الطب الاستعماري: بنك الأجساد: النكبة المستمرة في أقبية الاستعمار الحيوي
2. أعلن عن تأسيسه في عام 1955 بدعم من الاتحاد اليهودي في جنوب أفريقيا تخليداً للقاضي لئيوفولد غرينبرغ
3. صحيفة حدشوت 2، يفعات غليك 2009/12/19
4. تقرير موسع عن التحقيق في «بديعوت أحرنوت» عدد 2002/06/30 بقلم رونان بريغمان الذي أجرى التحقيق
5. The Guardian, "Israeli pathologist admits harvesting organs," 2009.
6. بروفيسور مائيره فايس «على جثثهم الميتة»، تل أبيب، ريسلنغ، 2014
7. المصدر نفسه
8. سعيد، إدوارد و. (2003). الاستشراق. ترجمة محمد عفيفي عبد الوهاب. دار الآداب، بيروت.
9. Donald Boström, Aftonbladet, 2009
10. The medical gaze': Foucault, anthropology and contemporary psychiatry in Ireland, Aoife K O›Callaghan
11. فرانو فانون، معذبوا الارض، ترجمة سامي الدروبي، دار الفارابي، بيروت، الفصل الثالث
12. أمينة محمد, عقود من تجارة الموت.. كيف سرقت إسرائيل أعضاء الفلسطينيين؟ منصة نون بوست، نشر في 24 فبراير ,2025
13. الجزيرة، مرصد حقوقي شبهات بشأن سرقة إسرائيل أعضاء جثث الشهداء في غزة 26 نوفمبر 2023
14. مركز القدس للمساعدة القانونية وحقوق الإنسان للمؤتمر الدولي لنصرة قضية الأسرى الفلسطينيين والعرب في سجون الاحتلال الإسرائيلي المنعقد في المملكة المغربية أيلول 2010 http://www.jlac.ps
15. الدكتور محمد فهاد الشلالدة، القانون الدولي الإنساني، ص 114-116
16. الجزيرة، المصدر نفسه
17. نون بوست، 5 أغسطس 2024

تحقيق الهدف

«جلبوع».. مسلخ التعذيب وساحة الانتقام

وفاء أبو غلمى لـ «الهدف»:

الاحتلال يسعى لتصفية زوجي وقيادات الحركة الأسيرة جسديًا ونفسيًا.

أحمد زقوت ـ صحفي فلسطيني ـ غزة

يواجه الأسرى الفلسطينيون تصعيدًا دمويًا متواصلاً منذ بدء العدوان الصهيوني على قطاع غزة في السابع من أكتوبر 2023، تجسّد في ممارسات قمعية ممنهجة شملت أشد أنواع التعذيب الجسدي والنفسي، والعزل الانفرادي، والحرمان من أبسط الحقوق الإنسانية، ما يعكس الوجه الانتقامي السافر الذي تنتهجه سلطات الاحتلال بحقهم.

ويشنّ سجّانو الاحتلال هجومًا وحشيًا وغير مسبوق على الأسرى الفلسطينيين داخل الزنازين والمعتقلات، في إطار سياسة تهدف إلى كسر صمودهم وتحطيم إرادة قيادات الحركة الأسيرة، وفي مقدمتهم قيادات الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وعلى رأسهم الأمين العام أحمد سعدات، ومسؤول فرعها في السجون القائد عاهد أبو غلمى.

وبحسب مركز «حنظلة للأسرى والمحررين»، فقد جرى نقل القائد عاهد أبو غلمى، عضو المكتب السياسي للجبهة ومسؤول فرعها في السجون، من سجن «عوفر» إلى سجن «جلبوع» قبل أسبوعين، عقب تعرضه لاعتداء جسدي عنيف أثناء عملية النقل.

ويُعد القائد أبو غلمى من أبرز قيادات الحركة الوطنية الأسيرة، وهو قائد الجناح العسكري للجبهة الشعبية في الضفة المحتلة، والمسؤول الأول عن الخلية التي نفّذت عملية اغتيال وزير السياحة الصهيوني «رحبعام زئيفي» في القدس المحتلة، بتاريخ 17 تشرين الأول/أكتوبر 2001، ردًا على اغتيال الاحتلال للأمين العام للجبهة، الرفيق أبو علي مصطفى. وقد صدر بحقه عام 2008 حكم بالسجن المؤبد، إضافة إلى خمس سنوات، وتعرض للعزل الانفرادي مرارًا، كما مُنعت عائلته من زيارته لأعوام طويلة.

نقل تعسفي واعتداء وحشي

وفي حديث خاص لـ «بوابة الهدف»، عبّرت وفاء أبو غلمى عن قلقها العميق إزاء مصير زوجها عاهد، الذي نُقل قبل أسبوعين من سجن «عوفر» إلى سجن «جلبوع»، أحد أكثر السجون «الإسرائيلية» سوءًا من حيث ظروف الاحتجاز والمعاملة، بحسب شهادات الأسرى والمؤسسات الحقوقية.

ووصفت أبو غلمى سجن «جلبوع» بـ «المسلخ البشري»، مشيرةً إلى أنّ «عملية نقله جرت بطريقة وحشية، حيث تعرض للضرب والإهانة، وحتى الآن لا يتمكن محاموه من زيارته أو الاطمئنان عليه».

أدوية مجهولة وأجساد منهكة

وأوضحت زوجة الأسير، أنّ «آخر زيارة لعاهد كانت في 27 سبتمبر 2023، وكان بصحة جيدة ويزن نحو 95 كيلوغرامًا، قبل أن يهبط وزنه مؤخرًا إلى 65 كيلوغرامًا، ويتناول أدوية مجهولة، ما يثير مخاوف خطيرة بشأن حالته الصحية».

وأكدت وفاء أن ما يجري بحق زوجها، وقيادات أخرى مثل أحمد سعدات وحسن سلامة، يُعد «محاولة تصفية جسدية ممنهجة، تهدف للضغط على المقاومة والوسطاء الدوليين لفرض تنازلات سياسية».

70 شهيدًا في السجون وإهمال طبي

ولفتت إلى أنّه «منذ بدء العدوان، استشهد أكثر من 70 أسيرًا داخل السجون، ووفقًا للتقارير الواردة من داخل المعتقلات فإن الوضع كارثي، فبعض الأسرى بات وزنهم لا يتجاوز 45 كيلوغرامًا، وآخرون فقدوا حياتهم نتيجة الإهمال الطبي والتجويع المتعمّد».

وشددت أبو غلمى، على أنّ الاحتلال يمنع الزيارات، ويستخدم الكلاب البوليسية في الاقتحامات، ويصادر أدوات التنظيف والدواء والطعام، بينما في المقابل تُعامل المقاومة الأسرى الصهاينة معاملة إنسانية، وتوفر لهم الغذاء والعلاج وحتى الخروج إلى البحر، في مشهد يعكس «ازدواجية فاضحة» في المعايير الدولية.

«بن غفير» يفرض قيودًا وتضييقًا على المحامين والأسرى

وبيّنت وفاء أنّ وزير الأمن القومي الصهيوني «إيتمار بن غفير» يقود حملة ممنهجة لكسر إرادة الأسرى، وعلى رأسهم قيادات الحركة الأسيرة، في ظل صمت وتقصير دولي فاضح، حيث لا تتمكن أي منظمة حقوقية من زيارة الأسرى أو الاطلاع على أوضاعهم.

وفي هذا الإطار، أكدت زوجة الأسير أبو غلمى أنّ المحامين، سواء من هيئة شؤون الأسرى أو مؤسسة الضمير أو نادي الأسير، يعملون في ظل ظروف صعبة وقيود قاسية تفرضها سلطات الاحتلال، في وقت يصعب فيه التواصل مع قيادة الجبهة الشعبية في غزة نتيجة العدوان واستهداف القيادات.

وتابعت وفاء: «نحن كعائلات ونشطاء في قضايا الأسرى نحاول توثيق معاناتهم ونقلها إلى العالم عبر مركز حنظلة، والصحفيين، ووسائل الإعلام المختلفة»، مشيدةً بجهود الإعلام الفلسطيني في فضح الانتهاكات المرتكبة بحق الأسرى، لكنها انتقدت في المقابل «تقاعس الإعلام الدولي والمؤسسات الحقوقية العالمية عن القيام بدورها، وغيابها الصادم في مواجهة هذه الجرائم».

الإعلام الدولي يتجاهل معاناة الأسرى

واستنكرت أبو غلمى التركيز الإعلامي العالمي على الأسرى «الإسرائيليين»، مقابل تجاهل معاناة الأسرى الفلسطينيين، قائلة: «لماذا لا يُستضاف أسرى قضوا أكثر من 40 عامًا في سجون الاحتلال، مثل نائل البرغوثي، في لقاءات دولية للحديث عن الانتهاكات؟ لماذا لا يُسلط الضوء على جثامين الشهداء المحتجزة، مثل جثمان وليد دقة، الذي انتهت محكومية لكنه استشهد بعد عامين من الإهمال، ولا يزال جثمانه محتجزًا؟».

وختمت وفاء حديثها بالقول: «نأمل أن تتوقف الحرب على غزة، وأن يتوقف التهجير القسري، وأن تدخل المساعدات الإنسانية إلى أهلنا، وأن يُنقذ الأسرى من

هذه الإبادة الممنهجة».

وأشادت في ختام تصريحها بجهود المقاومة، مؤكدة أنها «الضامن الحقيقي لإتمام صفقة شريفة تضمن حرية أسرانا، فهم أملنا».

الشعبية تحمل الاحتلال مسؤولية حياة سعدات وجميع الأسرى

بدورها، حمّلت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين سلطات الاحتلال، ورئيس حكومتها «بنيامين نتنياهو»، ووزير أمنها «بن غفير»، المسؤولية الكاملة عن حياة أمينها العام أحمد سعدات، الذي يواجه ظروفًا صحية وإنسانية خطيرة في عزل سجن «مجدو»، عقب تعرضه للاعتداء والتنكيل خلال نقله الأخير.

وأشارت الجبهة إلى أنّ الهجمة تطال أيضًا القائد عاهد أبو غلمى، وعددًا من قيادات الأسرى من فصائل المقاومة، بينهم حسن سلامة، وعبد الله البرغوثي، وإبراهيم حامد، الذين يواجهون أوضاعًا قاسية في سجون الاحتلال.

وأكدت الجبهة أنّ ما يتعرض له سعدات ورفاقه يُعد جريمة صهيونية متعمدة ضمن سياسة تصفية جسدية ونفسية ممنهجة تستهدف قادة الحركة الأسيرة، عبر الإهمال الطبي والتعذيب والعزل والتجويع.

وجددت الجبهة التزامها بتحرير الأسرى، داعية جماهير الشعب الفلسطيني وأحرار العالم إلى التحرك العاجل من أجل وقف هذه الانتهاكات وفضح جرائم الاحتلال بحق الأسرى في المحافل الدولية.

تقرير:

الشعبية: تشارك في الذكرى الـ 80 للانتصار على الفاشية والنازية

بدعوة من الحزب الشيوعي للاتحاد الروسي شارك وفد من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ضم الدكتور ماهر الطاهر مسؤول العلاقات الدولية في الجبهة الشعبية والرفيق هيثم عبده في الملتقى العالمي المنعقد في موسكو بمناسبة الذكرى الـ 80 للانتصار على الفاشية والنازية في الحرب العالمية الثانية.

شارك في المنتدى مندوبون حضروا من 91 دولة و 167 حزباً من مختلف أنحاء العالم.

انعقد المنتدى يومي 22 - 2025/4/23 في مقر البرلمان الروسي وقد ألقى الدكتور ماهر الطاهر كلمة باسم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وأجرى لقاءات مع عدد كبير من الوفود المشاركة.

افتتح د. ماهر الكلمة بتوجيه أعمق التحيات للحزب الشيوعي للاتحاد الروسي بمناسبة الذكرى الـ 80 للانتصار على الفاشية والنازية في الحرب العالمية الثانية. وأضاف أن «عقد هذا المنتدى الدولي لمناهضة الفاشية يأتي في لحظة حاسمة، حيث تعود الفاشية برؤوس جديدة، وتواجه روسيا محاولات تطويقها من قبل القوى الإمبريالية الغربية».

وأوضح أن «الشعب الفلسطيني يعاني منذ 77 عامًا من استعمار استيطاني بدأ بنكبة عام 1948، حيث تم تدمير أكثر من 450 قرية فلسطينية. وبلغت الاعتداءات ذروتها في معركة طوفان الأقصى في أكتوبر 2023، وهي عملية دفاع عن النفس في وجه الاستيطان المتواصل والتهويد، خصوصًا في القدس والضفة الغربية».

وقال الرفيق ماهر الطاهر: «إن إسرائيل، بغطاء أمريكي كامل، أعلنت نيتها تصفية الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني. ومعركة طوفان الأقصى جاءت في ظل صراع دولي محتدم، بعد اندلاع الحرب بين روسيا وحلف الناتو في أوكرانيا، ما جعل فلسطين جزءًا من صراع كوني أوسع».

وأكد بأن «إسرائيل لا تخوض حربًا بل ترتكب جرائم إبادة ضد المدنيين. فقد استشهد أكثر من 51 ألف مواطن فلسطيني وجُرح 115 ألفًا، معظمهم من الأطفال والنساء. وتم تدمير المنازل والمستشفيات والمدارس والجامعات والبنية التحتية بشكل ممنهج. وقد كشفت هذه الممارسات أن القانون السائد عالميًا هو «قانون شريعة الغاب»، وسط صمت دولي وعجز المؤسسات الأممية.

ونوه بأن «هذه الحرب أظهرت أن العدو الحقيقي للشعب الفلسطيني هو الإمبريالية العالمية، وعلى رأسها الولايات المتحدة، التي أرسلت حاملات طائراتها وشاركت في دعم العدوان».

ولفت إلى أن «معركة غزة أحدثت تحولًا نوعيًا في الرأي العام، خصوصًا بين الشباب في أمريكا وأوروبا. وشهدت عواصم الغرب مظاهرات كبرى دعماً لفلسطين، ما دفع الإدارة الأمريكية إلى ممارسات قمعية، كطرد طلاب من الجامعات وإلغاء تأشيرات دخول بسبب تأييدهم للحقوق الفلسطينية».

وأشار الطاهر إلى أن استطلاعات الرأي أظهرت أن 51% من الشباب الأمريكي يؤيدون مواجهة العنصرية والإبادة الجماعية ضد الفلسطينيين.

وأكد بأن «الهدف الإسرائيلي هو تهجير سكان غزة وتدميرها بالكامل لتصبح غير صالحة للحياة. وقد دعم هذا التوجه تصريحات أمريكية تتحدث عن تحويل غزة إلى «معلم سياحي»، في محاولة لتبرير تهجير سكانها»، والعدوان أدى إلى تدمير أكثر من 160 ألف وحدة سكنية، ومقتل آلاف من الأطباء والصحفيين والمعلمين، وتدمير مؤسسات تعليمية وصحية ومواقع أثرية، ما يجعل نسبة الدمار في غزة تصل إلى 88%.

وقال بأن «حرب الإبادة في فلسطين كشفت المأزق الإستراتيجي لإسرائيل، وعمّقت تناقضاتها الداخلية بفعل تصاعد الفاشية الدينية وإنكار وجود الشعب الفلسطيني. وأعادت القضية الفلسطينية إلى الواجهة العالمية، حيث يواجه قادة إسرائيل تهمًا في محكمة العدل الدولية».

ودعا ماهر الطاهر كل أحرار العالم لمساندة نضال الشعب الفلسطيني ضد الإمبريالية العالمية التي تسعى للهيمنة على منطقتنا، ونعوّل على أصوات الأحرار في العالم لإسقاط الزيف الذي تمارسه قوى الاستعمار تحت شعارات كاذبة عن الديمقراطية وحقوق الإنسان.

ترجمة

جولة ترامب في الخليج
تعيد تشكيل الخريطة الدبلوماسية للشرق الأوسط

جيمس ماكنزي وسامية نخول ـ رويترز 19 مايو 2025

ترجمة: نور نوارة

لم تُبرز عزلة رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو هذا الأسبوع شيئًا أكثر وضوحًا من صورة الرئيس الأميركي دونالد ترامب وهو يصافح زعيم سوريا الإسلامي أحمد الشرع – الرجل الذي وصمته إسرائيل بأنه «إرهابي من القاعدة يرتدي بدلة».

وقال ترامب للصحفيين بعد محادثاته مع الشرع يوم الأربعاء في الرياض – وهي قمة رتبها مضيفوه السعوديون الذين أبرم معهم صفقات ضخمة في مجالات الأسلحة والأعمال والتكنولوجيا:

«إنه يمتلك المقومات. إنه قائد حقيقي».

جولة ترامب السريعة التي استمرت أربعة أيام وشملت السعودية وقطر والإمارات كانت أكثر من مجرد استعراض دبلوماسي مصحوب باستثمارات مربحة؛ فقد أرست معالم نظام شرق أوسطي جديد تقوده دول سنية، يتجاوز محور المقاومة الذي قادته إيران والذي بات ممزقًا، ويترك إسرائيل على الهامش، بحسب مصادر إقليمية وغربية.

في ظل تنامي الاستياء في واشنطن من فشل إسرائيل في التوصل إلى وقف لإطلاق النار في غزة، اعتُبرت الجولة إهانة لنتنياهو، الحليف الأميركي الوثيق وأول زعيم أجنبي يزور واشنطن بعد عودة ترامب للبيت الأبيض في يناير، وفقًا للمصادر.

الرسالة كانت واضحة: في رؤية ترامب الأقل أيديولوجية والأكثر واقعية للسياسة الخارجية، لم يعد بإمكان نتنياهو الاعتماد على دعم أميركي غير مشروط لجدول أعماله اليميني.

قال ديفيد شينكر، مساعد وزير الخارجية الأميركي السابق لشؤون الشرق الأدنى:

«هذه الإدارة محبطة جدًا من نتنياهو، وهذا الإحباط بدأ يظهر»، مضيفًا: «إنهم عمليّون للغاية، ونتنياهو لا يقدم لهم شيئًا حاليًا».

وأكدت المصادر أن الولايات المتحدة لا تنوي التخلي عن إسرائيل، التي تبقى حليفًا إستراتيجيًا مهمًا، وتحظى بدعم واسع في واشنطن، من الحزبين. لكن إدارة ترامب أرادت إيصال رسالة لنتنياهو مفادها أن لأميركا مصالحها الخاصة في المنطقة، ولا ترغب بأن يعيقها أحد – حتى هو.

نفد صبر الولايات المتحدة ليس فقط بسبب رفض نتنياهو وقف إطلاق النار في غزة، بل أيضًا بسبب اعتراضه على محادثات أميركية مع إيران بشأن برنامجها النووي، وفقًا للمصادر.

ورفض مكتب نتنياهو التعليق ولم يصدر أي بيان رسمي بشأن زيارة ترامب.

وأكد المتحدث باسم مجلس الأمن القومي في البيت الأبيض، جيمس هيويت، أن ترامب «صديق لإسرائيل»، وقال:

«نواصل العمل عن كثب مع حليفنا إسرائيل لضمان إطلاق سراح الرهائن، ومنع إيران من الحصول على سلاح نووي، وتعزيز أمن المنطقة».

رغم التصريحات العلنية عن متانة العلاقات، أعرب مسؤولو إدارة ترامب

عن استيائهم خلف الكواليس من رفض نتنياهو الالتزام بالمواقف الأميركية بشأن غزة وإيران.

وذكرت ستة مصادر إقليمية وغربية أن التوتر بين البلدين كان يتصاعد حتى قبل الزيارة وبلغ التوتر ذروته عندما زار نتنياهو واشنطن في أبريل طالبًا دعمًا لشن ضربات على منشآت نووية إيرانية، ليفاجأ بأن ترامب اختار مسار التفاوض.

وعقب ذلك، أظهر إعلان ترامب وقف إطلاق النار في اليمن، وانفتاحه على النظام الإسلامي الجديد في سوريا، وتجاوزه لإسرائيل خلال زيارته الخليجية، حجم التباعد بين الحليفين التقليديين.

وقال ديفيد ماكوفسكي من معهد واشنطن:

«واشنطن وتل أبيب لم تعودا متناغمتين في القضايا الكبرى كما كانتا خلال المئة يوم الأولى من رئاسة ترامب».

غزة نقطة انقسام

خلال حملته الانتخابية، أكد ترامب أنه يريد وقفًا لإطلاق النار في غزة وإطلاق سراح الرهائن قبل عودته للبيت الأبيض.

لكن بعد أشهر من ولايته، واصل نتنياهو تجاهل الدعوات الدولية، ووسع الهجوم دون خطة لما بعد الحرب، بعد 19 شهرًا من النزاع الذي أودى بحياة أكثر من 52,900 شخص في غزة، بحسب السلطات الصحية المحلية.

أمل ترامب في استغلال زيارته لصنع السلام تبدد، إذ واصل نتنياهو – المتهم بارتكاب جرائم حرب – تعهده بسحق حماس، بينما يواجه تهم فساد في إسرائيل ينكرها.

مع اختتام زيارة ترامب، شنت إسرائيل هجومًا جديدًا على غزة، خلف مئات القتلى الفلسطينيين. كما اصطدمت خطة ترامب لتوسيع «اتفاقات أبراهام» لتشمل السعودية برفض سعودي للتطبيع قبل إنهاء الحرب والتوصل لمسار نحو دولة فلسطينية – وهي شروط يرفضها نتنياهو.

وقال شينكر: «ليس لديه أي إستراتيجية أو خطة لليوم التالي في غزة، بل يقف عائقًا».

ورغم نفي ترامب وجود خلاف، ومراوغته في مقابلة مع قناة فوكس نيوز، فإنه يمضي قدمًا بعيدًا عن نتنياهو، موجهًا دفة الدبلوماسية الأميركية نحو الدول السنية الثرية بقيادة الرياض.

وقال مصدر إقليمي رفيع إن الزيارة كرّست السعودية زعيمة للعالم العربي السني، في وقت أضعفت فيه إيران بفعل تجاوزاتها وضربات إسرائيل لحلفائها.

صعود الدول السنية

رغم أن نتنياهو قاد المعركة ضد إيران، إلا أن الترتيب الإقليمي الجديد يتم تشكيله في الرياض والدوحة وأبوظبي.

هذه العواصم تسعى لشراء الأسلحة المتطورة والحصول على شرائح إلكترونية أميركية متقدمة وتكنولوجيا الذكاء الاصطناعي – ووجدت شريكًا في ترامب، الذي تتداخل سياساته الخارجية أحيانًا مع مصالح أسرته المالية.

في قطر، استُقبل ترامب بحفاوة ملكية، وصرح بأن الدوحة «تحاول فعلًا المساعدة» في ملف الرهائن، رغم أنها أحد أبرز ممولي حماس – ما أثار غضبًا في إسرائيل.

وقال يوئيل غوزانسكي من معهد دراسات الأمن القومي في تل أبيب:

«الكثير من الإسرائيليين لا يدركون مدى مركزية قطر لدى الولايات المتحدة»، مشيرًا إلى أنها تستضيف أكبر قاعدة أميركية في الشرق الأوسط.

وبحسب البيت الأبيض، فإن الجولة أمنت استثمارات بأكثر من تريليوني دولار للاقتصاد الأميركي، بينما قدّرت رويترز القيمة الحقيقية بنحو 700 مليار دولار.

وفي السعودية، أبرم ترامب صفقة سلاح تاريخية بـ142 مليار دولار، ما أثار مخاوف إسرائيلية من فقدان التفوق الجوي حال حصول الرياض على مقاتلات F-35.

كما تفاوض ترامب على صفقة استثمار نووي مدني مع السعودية، في خطوة أثارت قلقًا إضافيًا في إسرائيل.

فاجأ ترامب الجميع أيضًا بإعلانه رفع العقوبات عن سوريا، في استجابة لرغبة سعودية رغم اعتراضات إسرائيل.

وبعد أيام فقط من استهداف الحوثيين مطار بن غوريون بصاروخ، أعلن ترامب وقف العمليات العسكرية الأميركية في البحر الأحمر، مبرمًا هدنة مع الحوثيين، حلفاء إيران.

وقال غوزانسكي:

«إسرائيل باتت تبدو كالعائق، تقف في وجه الولايات المتحدة والمجتمع الدولي، بينما يحاولان إعادة تشكيل المنطقة بعد سقوط الأسد وربما إنهاء حرب غزة».

ومع صمت حكومة نتنياهو، أبدت وسائل الإعلام الإسرائيلية قلقها من تراجع مكانة البلاد لدى أهم حليف لها.

وانتقد سياسيون معارضون نتنياهو لتركه إسرائيل على الهامش وسط إعادة تشكيل التحالفات.

وقال رئيس الوزراء السابق نفتالي بينيت على منصة X:

«الشرق الأوسط يشهد تحولات زلزالية، أعداؤنا يزدادون قوة، ونتنياهو وعصابته مشلولون، لا يفعلون شيئًا، وكأنهم غير موجودين».

حوار الهدف الثقافي

الفنان الفلسطيني غنام غنام

حوار: أمينة عباس صحفية سورية

ليس بغريب أن يُلقّب المخرج والكاتب المسرحي غنام غنام بسندباد المسرح الفلسطيني وأحد سفراء المسرح الفلسطيني، حيث كان المسرح وما زال بالنسبة له وسيلته الأنضى، يدافع من خلالها عن وطنه الذي غادره جسداً وبقي في قلبه يحمله في حلّه وترحاله، وقد جعل من القضية الفلسطينية نقطة مركزية في معظم أعماله التي تزيد عن خمسين عملاً، ليُعلن في نهاية عرض مسرحيته «بأم عيني 1948» في أيام قرطاج المسرحية أنه منذ هذا العرض حتى نهاية عمره سيقدّم كل أعماله تحت عنوان «مسرح فلسطين الحرة»: «نكاية بهذا العالم الذي يستكلب على شعب فلسطين وغزة سأسمي كل أعمالي باسم فلسطين الحرة حتى لو قدّمت كاليغولا وعطيل».

غنّام غنّام: هو مؤلف ومخرج، وممثل مسرحي فلسطيني. وُلد في عام 1955 بأريحا في فلسطين. انتقل في سن الثانية عشرة مع عائلته إلى الأردن. كتب وأخرج العديد من المسرحيات، وألف القصص القصيرة. وهو حاصل على جوائز في الإخراج والتأليف المسرحي. استهلّ غنّام العمل المسرحي في السبعينات برفقة مجموعات مسرحية محلية في مسارح مدينة يافا في غزة، ثم بعد انتقاله إلى الأردن أسس عدة فرق مسرحية. تدور مجمل أعماله حول معاناة الفرد الفلسطيني تحت الاحتلال الإسرائيلي. نال العديد من الجوائز في التأليف والإخراج محليًا وعربيًا. في عام 2007-2008 ساهم في تأسيس الهيئة العربيّة للمسرح، وأصبح مسؤول النشر والإعلام فيها، ثم مسؤولًا للتدريب والتأهيل للمسرح المدرسي. يستعد لتقديم عرض مسرحي جديد يحمل عنوان «فاطمة الهواري لا تصالح»، وهي إحدى ضحايا الاحتلال في عام 1948، حيث أُصيبت بالشلل نتيجة غارة إسرائيلية، وفقدت والديها وأقاربها.

■ من فلسطين إلى عمّان كان المسرح وسيلتك للبقاء، فماذا عن البدايات فيه؟

هُجّرت كفلسطيني من بيتي وأرضي عام 1967 وكنت في عمر الثانية عشرة قاصداً مدينة جرش الأثريّة في الأردن، ومُحمّلًا بشغفي في المسرح الذي كنتُ أمارسه في مدرستي، وكان المسرح وسيلتي الأجدى كلاجئ لأعبّر عن هويتي وأتفاعل مع المجتمع الجديد، فلم أتوقف عن تقديمه، مستعيداً كل ما اشتغلتُه في أريحا مع من هم أكبر مني وأصغر مني لأصبح نجماً مدرسياً خلال عام واحد بلا منازع، ومن هنا عرفتُ أن المسرح هويتي ومجتمعي وثقافتي والدرع الحصين، فدونه أكون بلا لون ولا رائحة.. وحين انتقلتُ إلى عمّان عام 1983 احترفتُ المسرح في العام 1984 وكان حظي وافراً أنني بدأتُ الخطوة الأولى مع مؤسس المسرح الأردني المعاصر الحديث هاني صنوبر الذي تخرّج من أميركا عام 1959 وبدلاً من أن يقصد عمّان قصد دمشق وساهم في تأسيس المسرح القومي في سورية، وحين عاد إلى الأردن أسّس أول تنظيم مسرحي محترف تحت عنوان «أسرة المسرح الأردني» ليقدّم عملاً فنياً فيه وجوه جديدة، وكنتُ من بين هذه الوجوه بعد أن آمن بي ومنحني ما يمنحه المعلّم لتلميذه.. ثم شكّلت فرقة مسرحية تحت مسمّى «موال» قدّمتُ من خلالها أول عمل مسرحي تحت عنوان «اللهم اجعله خيراً» من تأليفي وإخراج جبريل الشيخ ولعبتُ دوراً رئيسياً فيه، وبعده رفعتُ سقف التحدي فأنجزتُ كمخرج ومعدّ مسرحية «ما تبقّى لكم» لغسان كنفاني وقد مُنعت من العرض قبل الافتتاح بيوم، وحُلّت الفرقة على إثر ذلك.. ولأن المسرح أصلب وأصعب من أن يسقط من حياتي أعدتُ تشكيل الفرقة تحت مسمى «مختبر موال المسرحي» الذي كان علامة بارزة في خارطة المسرح الأردني في التسعينيات، ومن خلاله قدّمتُ عدة أعمال مسرحية: «عنتر زمانه والنمر» و«من هناك» و«الجاروشة» و«كأنك يا أبو زيد».. ثم تركتُ المختبر نتيجة عدة خلافات لأبدأ من جديد، فشكّلتُ فرقة «المسرح الحر» وقدّمتُ فيها أعمالًا مهمة، وفي العام 2006 تركتُها وبدأتُ أقدّم أعمالي باسم «فرقة غنّام غنّام».

■ **تتحدث في مسرحية «بأم عيني» عن رحلتك إلى فلسطين. حين يكون الممثل صاحب التجربة الشخصية في العرض هل تبدو المهمة أسهل أم أصعب؟ وكيف حصّنتَ نفسك من عدم الإغراق في الذاتية؟**

عرض «بأم عيني» لا يقتصر على كونه مجرد عرض مسرحي، بل يوثّق معاناة الشعب الفلسطيني وصموده في الأرض المحتلة، ويتناول رحلتي إلى الأراضي المحتلة التي قمتُ بها عام 2017 رغبةً مني في زيارة ابنتي التي تقيم في الناصرة بعد خمس سنوات من الانقطاع عن التواصل المباشر. تجوّلتُ في الناصرة، ومنها إلى حيفا، ثم عكا، وزرتُ بيت غسان كنفاني فيها دون علم سكانه من المحتلين الذين يعنّفون كل من يقترب من البيت ويحاول تصويره، كما أقمتُ ورشة للحكي في أحد المراكز الثقافية الفلسطينية، أتبعْتُها بتقديم عرض مسرحيتي «سأموت في المنفى» سرّاً وسط مجموعة مختارة من الضيوف.. قد تكون الحكاية شخصية في جوهرها، ولكن سيكتشف الجمهور أنها حكاية الجميع، والسؤال هو: كيف نُحوّل الذاتي إلى موضوعي؟ والمهارة تكمن في تقديم تجربتي لتُصبح تجربة الآخرين وكأنهم عاشوها.. في مسرحية «بأم عيني» تحدّثتُ عن رحلتي التي قمتُ بها إلى فلسطين ورافقني حينها 15 شخصاً لم يخطر ببالهم أن يكتبوا عن ذلك، بينما وجدتُ ككاتب مسرحي أن ما سأُسجّله عن هذه الرحلة سيكون نصاً مسرحياً غير عادي بالنسبة لي.. السهل فيه أنها كانت حكايتي، انتقيتُ منها ما أريده بقصد تكريس الفكرة وإيصالها بشكل حاسم، وعدم خلطها بأي معلومة أخرى يمكن أن تُشوّشها وتُضعفها.. أما الصعب فيها فيكمن في أن أشياء كثيرة كنتُ أرغب في الحديث عنها لكني وجدتُ أنها لا تصلح للقول ضمن البناء الدرامي، وبعضها لا يصحّ البوح به لأنه يؤذي آخرين.. لا بد من الاعتراف أن هذه العروض فيها معاناة وتعب نفسي، فكيف لي مثلاً أن أنقل تلك اللحظة التي كنتُ أبكي فيها إلى المسرح دون أن أبكي؟ من هنا فإن التحضير للعرض أخذ مني عدة أشهر من أجل التخلّص من مشاعري الشخصية لأدخل في سياق الممثل والمؤدّي واللاعب الذي يُبكي الجمهور دون أن يبكي.

■ **تستغني في عروضك عن العناصر الفنية لتقف أمام الجمهور كممثل أعزل، فعلى ماذا تراهن فيها؟**

أراهن على الأداء والمضمون في نجاح العرض، فهما سلاحي للوصول إلى الجمهور الذي يتجاوز وضعه كمتفرج ليصبح شريكاً فيه من لحظة دخوله للمسرح. اليوم وأنا في هذا العمر وعندما تضيق المساحة الباقية من العمر وتزداد الضغوطات التي علينا لم يعد عندي ترف الوقت للتفكير بأشياء أخرى ولا أنكر أنني أقول لنفسي أحياناً: يجب أن أغيب عن الواقعية والرمزية وأستميل التقنيات في مسرحي لأنني أحب أن أشاهد عرضاً فيه سينوغرافيا مدهشة، لكن عندما أعمل لا أحب أن أعمل سوى ببعدين: أنا والجمهور مباشرة، عقلي بعقلهم، وخيالي بخيالهم، ورأسي برأسهم، لنلعب سوياً، وهذا الميل لم يبدأ اليوم إنما منذ العام 1992 حيث قدمتُ من هذا النمط «عنتر زمانه والنمر» و«الزير سالم» و«معروك الإسكافي» و«عبد الله البري» و«آخر منامات الوهراني» وكل سنتين أقدم عملاً من هذا النوع الذي أفلت فيه من المسرح ومن التقنيات باتجاه اللعب المسرحي رغبةً مني في تقديم رسالة محددة تقنياً وفكرياً تؤكد على أن الفرجة نوع مسرحي نحتاجه كثيراً ويجب أن تكون له مكانة في المشهد المسرحي رغم صعوبته.

> **”**
> **كان المسرح وسيلتي الأجدى كلاجئ**

■ **«بأم عيني» من العروض التي قُدمت في عدد من البلدان العربية وأجمع الجميع عليه. من هنا أسألك: ما هو العرض المسرحي الذي يتفق الجميع على نجاحه برأيك؟**

**ما يجب أن يتوفر في العرض ليجمع عليه جمهور الوطن العربي هو قدرته على مخاطبة العامة والخاصة، وهذا ما تحقق في «بأم عيني» الذي عُرض في عدة دول عربية وتفاعل الجمهور معه كثيراً، وهذا يؤكد أن ثقافتنا واحدة وهي وإن اختلفت في بعض التفاصيل إلا أن شكل الحكاية والتلقي عندنا واحد.

■ **جعلتَ من القضية الفلسطينية نقطةً مركزية في معظم أعمالك فكيف تعامل الجيل الشاب مع القضية الفلسطينية من خلال المسرح؟**

**أنا من جيل الثمانينيات، وأتعامل مع الشباب في كل أعمالي، ومن خلال تجربتي الذاتية أرى أن مجموعات ليست بقليلة منهم يعرفون معنى الالتزام بالقضية، وكلهم يعملون وعلى صلة وثيقة بالأحداث الجارية، سواء في المسرح أو في أعمال أخرى. وبالعموم أنا كمتابع للأعمال التي تُقدَّم والتي أتابعها بشكل مباشر أو عبر الفيديو أو في المهرجانات أقول: إن من يدافع عن قيم الحق والخير والعدالة والحرية والجمال في أعماله فإنه يدافع عن فلسطين حتى لو كان اسم فلسطين غير موجود في المسرحية لأن أي محاولة للتغيير في الثقافة والذائقة تعني أن فلسطين حرة، ومن المؤسف أن مشكلتنا اليوم تكمن في تشوه الذائقة والثقافة، وإيماننا بقيم الخير والحق والجمال والحرية، وهذه القيم اليوم غير متحققة، ويعتدي عليها من يعتدي.

■ **كيف ترى واقع المسرح في فلسطين؟**

**المسرح في فلسطين مسرح ناضج وناشط وفاعل، والمسرحيون في فلسطين يعملون بدأب شديد تحت القصف والضرب، وما يحدث حالياً يتطلب الارتقاء مسرحياً إلى مستوى التحدي، وقد عادت فلسطين مجدداً إلى المشهد السياسي العالمي بعد

محاولات محوها وتغييبها عربياً ومحلياً.

■ خضتَ تجربة المونودراما التي برعتَ فيها في وقت متأخر نوعاً ما، فما هي الأسباب؟

**خضتُ غمارها عام 2007 وقبل ذلك كان الجميع يُحرّضني على القيام بعمل مونودراما، ولكنني كنت أخاف، ولم أستطع أن أخوض هذه التجربة إلا عندما أصبحتُ متسلّحاً بفنان كبير هو خالد الطريفي، والسبب أن المونودراما شكل مسرحي صعب، وصعوبتها تكمن في: ما هو الشيء الذي سيجعل الناس يجلسون ساعة لمشاهدة عرض لممثل واحد؟ خاصةً وأن الجيل الحالي، جيل الموبايل، ليس لديه قدرة على المتابعة الطويلة، وقد أثمرت تجربتي فيها: «أنا لحبيبي» و«عائد إلى حيفا» ثم «سأموت في المنفى» ف«بأم عيني 1948».

■ الممثل هو الأساس في المونودراما، فهل يصلح أي ممثل لها؟

**الممثل هو الأساس في أي عمل مسرحي، وهو كذلك بشكل خاص في المونودراما، والصعوبة الكبرى فيها تكمن في أن يمسك هذا الممثل بخيوط اللعبة، وخيوطها منها ما هو ثقافي ومنها ما هو اجتماعي ومنها ما هو تقني (تقنيات التمثيل) وهذه التقنيات يجب أن تكون مبنيّة بخبرة وثقافة واسعة، وبالتالي فعلى ممثل المونودراما أن يكون مثل الساحر، لديه القدرة في كل لحظة على إدهاش الجمهور، ولأن المونودراما من أصعب الأنواع المسرحية استغربتُ حين سمعتُ مرة عن نية أحدهم القيام بمسابقة مونودراما في المسرح المدرسي ولا أدري كيف يمكن لأحد أن يفكر بذلك، فهذا أمر كارثي، مسرح مدرسي ومونودراما؟! المونودراما فن صعب جداً، ومن يقول غير ذلك فهو شخص مستسهل.

■ في المونودراما غالباً ما تكون أنت الكاتب والمخرج والممثل، فعلى من تعتمد في تقييم ما تقوم به؟

مع أنني مع التخصص في كل شيء لا أرى مانعاً في أن يكون المسرحي هو الممثل والمخرج والكاتب، وهذا ما فعلتُه في الكثير من الأعمال، ولكن بشرط أن يقوم بكل هذه الأدوار دون أن يعتدي دور على دور آخر. وبالنسبة لتجربتي معها فأنا أول مراقب ومنتقد لعملي، وشديد القسوة على نفسي، ولا أستسهل، وعندما أصل لمرحلة من الاقتناع أن عملي تبلور أقوم بعروض فحصية حيث أدعو أشخاصاً عاديين على سبيل الصدفة لا الانتقاء لحضورها لأستفيد من أي ملاحظة لهم على العرض مهما كانت، وأكثر من يكون عرضة لهذه التجارب التي أقوم بها هم من ينظفون المكان ومن يجلبون الشاي والقهوة أولاً، ومن ثم آخذ آراء زملاء مسرحيين لي، وهذا ما أفعله عندما أنهي كتابة النص، حيث أحرص على قراءته من قبل عدة أشخاص ومن شرائح مختلفة.

> **سأسمي أعمالي باسم فلسطين الحرة**

■ انتقلتَ بعد المونودراما لما أسميتَه بالجلسات المسرحية أو المسرح الفرجوي، فما الذي يغريك فيه؟

انطلاقًا من دراستي للهندسة المساحية وجدتُ أن أكمل شكل هو الحلقة أو الدائرة، فهي لا نهاية لها ولا بداية، وليس فيها زوايا، لذلك يجلس الجميع فيها بشكل متساوٍ. من هنا خضتُ تجربة الجلسة المسرحية، وهي التي أسرد من خلالها كممثل وحيد ما أريده، مستغنياً فيها عن كل العناصر الفنية في العرض المسرحي، وأهم ما يميزها أنني أستطيع تقديمها في كل مكان، مستعيناً فيها بما حملتْه ذاكرتي وبما كان يقوم به أربعة مشخصاتية شعبيين في أريحا كانوا يحيون الأفراح دون أن يدركوا أن ما يقومون به هو شكل مسرحي.. بالعموم لا أعرف إن كانت «بأم عيني» مونودراما أو مسردية، ولا يوجد لديّ قلق من التصنيف لأن قلقي دائماً في العرض المسرحي، أما النقاد والباحثون فهم من يصنّفون العروض، وهذا ليس جهلاً ولكن تأكيد على أنني لا أطرح حكاية فقط إنما سؤال مسرحي حول تكنيك بناء العرض المسرحي، لذلك أبحث دوماً عن ناقد يفكك عرضي ويشرحه وليس عن مقالات تمدحني.

■ ما أهم ما يجب أن يتمتع به العامل في مثل هذه العروض؟

أن يكون متصالحاً مع ثقافته الشعبية ولا يستعلي عليها ولا يستعديها، وأهم من أثّر في حياتي هو د. مصطفى ناصف من خلال كتابه «نحن والتراث» الذي نظم ما يدور في رأسي ورتب معلوماتي حين قال: «يجب أن نقرأ التراث قراءة ودودة لا مستعلية عليه ولا مستعدية» لأنك إذا استعليتَ عليه منعت، وإذا استعديته أغلقت كل أبوابه أمامك، لذلك بدأتُ أتعامل مع القراءة الودودة، وبالتالي فإن من يعمل في هذه العروض عليه أن يقرأ المفردات قراءة ودودة وأن يقرأ الجمهور قراءة ودودة وأن يقرأ الشكل قراءة ودودة وأن يمتلك من الثقافة العامة والخاصة والشعبية ما يؤهله لكل شيء طارئ لأن هذه العروض مفتوحة بشكل هائل، ويجب أن تُرسم بشكل ممتاز في الإعداد، وأن تُحدّد القنوات التي سيجرّ إليها الجمهور، ويجب أن يصل إلى مرحلة يعرف فيها متى يضحك ومتى يبكي، وأن يعرف مزاج الناس وكيف يقودهم نحو اللحظة الفلانية.. أما الممثل فيجب أن يكون ممتلكاً لأدواته من صوت وجسد وإشارة وإحساس ونفَس، والإشارة الصحيحة دون أن يكون هناك ثرثرة زائدة في كل شيء، لا بالكلام ولا بالحركة، رغم أن العرض كله حكي لأن كل شيء عندما يزيد عن حده ينقلب ضده، في حين أن المخرج يجب أن يكون كل هؤلاء مجتمعين لتوجيه الممثل نحو الأداء الأفضل دون أن يتركه على هواه ليكونا معاً في أعلى درجات التماهي، بحيث لا يمكن الفصل بين المخرج والممثل، وهذا تجلى مع تجربتي في «عائد إلى حيفا» مع

المخرج د. يحيى البشتاوي الذي شاركتُه في الإعداد.. أما الكاتب فيجب أن يتعلم الكتابة من القرآن الكريم، فمنه تعلمتُ الإشارة الذكية والإشارة الحقيقية وكيف أطيل وكيف أختزل وكيف يكون خطابي للعامة والخاصة، فالأمي يقرأ القرآن ويحفظه ويخشع ويخاف ويؤمن، والمتبحر في العلم واللغة والدين كذلك، وهو كتاب فيه الكثير من القصص التي قدّمها وتُقرأ من قبل الجميع، ولا أحد يُخدش حياؤه، لذلك فأنا ضد الفجاجة والبذاءة في المسرح، ومن يُقحم الفجاجة والبذاءة في نصوصه بحجة أنها لغة الشارع غير قادر على التعبير عن الحالة المرادة وعاجز عن إيجاد لغة مناسبة للعرض، وبالتالي إذا لم يمتلك الكاتب هذه القدرات لن يكون قادراً على اللعب الفرجوي.

■ لنتوقف قليلاً عند مسرحية «سأموت في المنفى»، فماذا تحدثنا عنها؟

** لخّصت فيها حياتي، هي سجل شخصي عائلي، تحدثت فيه عن أبي الذي رحل نتيجة حريق، وعن أخي الذي كان يتعذب في المعتقل، وأجبت فيها على سؤال هويتي. فلسطين منحتني هوية أفخر بها، بلد تحوّلت إلى أيقونة وحالة إنسانية عامة. وأنا مؤمن أن كل مثقف في العالم فلسطيني حتى تتحرر فلسطين. فلسطين هي هوية ثقافية أحيت هذا الوطن، وما يُبقي هذا الوطن هو الإبداع الثقافي. وعندما يكتب مبدع عن فلسطين مشهدًا، يجب أن يتعاطف معه العالم كله، والمسرحي الحق هو استئناف إيجابي على أحداث واقعه، فهو دائمًا يبحث عن عالم أكثر حرية وشعب أكثر وعيًا.

■ لا تغيب أسماء مثل محمود درويش وغسان كنفاني عن أعمالك، لماذا؟

** غسان كنفاني تميمتي التي لا أضيعها، منه تعلمت الكتابة، لذلك هو دائم الحضور إلى جانب محمود درويش وسميح القاسم وتوفيق زيّاد. أَتَسلّح بهم، فهؤلاء شكلوا ثقافتي ولغتي ومعرفتي، وجعلوني أسير في هذا الاتجاه الذي أنا فيه.

■ ذهبت إلى المسرح بسبب الرغبة في إخراج كل ما بداخلك، فهل تحقق لك ما أردته؟

** حتمًا لا، لكنني تحدثت عما أريد في اللحظة التي أعيشها. أنا دائمًا كنت أضع لنفسي مخططًا لما أريد قوله والقيام به، فحينما وجدت أنني لم أقدّم عملًا كوميديًا على الإطلاق، خضت التجربة، وكان عملًا كوميديًا مبنيًا على أسس نفسية، بعيدًا عن الكوميديا المجانية. كما خضت تجربة مسرح الدمى بعد أن صممت بنفسي صندوق دمى مختلفًا فيه إضاءته وستائره، فقدمت عرضين دمى من أجمل ما يكون، وكان مناسبًا لكل الأعمار. أفعل ذلك انطلاقًا من إيماني بأنه يجب أن أُجرّب وأختبر أدواتي وأطوّرها، فلا يمكن أن أحكم مثلًا على عرض عرائسي دون أن

> **غسان كنفاني تميمتي التي لا أضيعها**

أفهم معضلته. لقد جرّبت كل شيء وكنت دائمًا أنفذ مخططاتي، ومع هذا أعترف أن هناك أشياء أخرى ما زلت أحلم بها ولم يتسنَّ لي تنفيذها. فهناك عمل مثلًا كتبته منذ 14 سنة «صفير في الرأس، صلاة للقدس»، كنت أحلم بتقديمه، إلا أن متطلباته التقنية تحتاج إلى إمكانيات مادية كبيرة، وهذا ما حال دون تنفيذه لعدم وجود شركة تتبناه. كما يوجد نص آخر كتبته عام 1987 عن رواية غسان كنفاني «ما تبقى لكم»، والذي سبق أن حاولت تقديمه بعد بروفات عديدة قمت بها، إلا أنه لم يرَ النور بسبب منعه، وما زلت أحلم بتنفيذه.

■ مسيرة مسرحية طويلة، فكيف تعاملت مع الصعوبات التي واجهتك؟

** الإنسان السوي يُحوّل العقبة إلى فرصة ولا يقف عندها، وإلا لن يكون موجودًا في المشهد المسرحي. وأولى هذه العقبات أنني لم أدرس المسرح، ولم أستطع تحقيق هذا الحلم، فدرستُ في معهد لتعليم اللاجئين (الأونروا) هندسة المساحة، ولما دخلتُ المعهد وجدتُ أن أستاذًا كبيرًا يدعى محمود أبو غريب قد شكّل ناديًا للمسرح، فدرستُ المسرح والمساحة في الوقت ذاته، وقرأتُ من المكتبة ما لم يقرأه طلاب الدكتوراه، لأتجاوز فكرة المعلومات التي كان يمكن أن أحصل عليها من الدراسة. وللآن لا أعتمد على ما أعرفه وأعتبر نفسي جاهلًا، ولا أتردد في قراءة أي مقالة عن المسرح، لا لنقدها بل لأتعلّم منها. لقد تجاوزتُ كل الصعوبات، والسبب إيماني بمشروعي وأهمية دعمه بالثقافة والمعرفة والموقف الفكري.

■ إلى أي درجة أنت راضٍ عمّا أنجزته في مسيرتك المسرحية؟

** أنا راضٍ عمّا أنجزته، وإلا لما كنتُ استمريت في العمل فيه، ولكنني لستُ مكتفيًا، وما زالت لديّ أحلام كثيرة لم تتحقق. لكنني راضٍ عن كل محاولاتي الدؤوبة في أن أتجاوز كل لحظة صعوبات لكي أصل إلى هدفي، وأنا راضٍ لأنني لم أعمل إلا بملء إرادتي، وأنا راضٍ بالقدر الذي واجهتني فيه صعوبات كثيرة تجاوزتها، لأن المسرح غايتي وحياتي، وتوقفي عن العمل فيه هو موتي.

■ كيف ترى واقع المسرح العربي اليوم؟

** وضع المسرح الصحي ليس بخير، لأنه ما زال قائمًا على التجارب الفردية، ليس هناك إستراتيجيات مؤسساتية تحمل المشروع المسرحي لعشر سنوات إلى الأمام، لا توجد وزارة لديها مخطط لخمس سنوات. من هنا، هو يقف على رمال متحركة. كما أننا كمسرحيين نتحمل مسؤولية ذلك، لأنه عندما يكون المسرح في خطر، فهذا يعني أننا لم نُحسن الدفاع عنه، ولم نحسن تقديمه لا للعامة ولا للخاصّة. المسرح عملية نضالية، ومن دون نضال طويل يتحول إلى ترف ذاتي بالنسبة للمسرحي، ولكن بالوقت ذاته، أقول إن المسرح العربي بخير من ناحية الأجيال الجديدة المبدعة، ومن ناحية استمرار كثير من الأسماء المخضرمة.

غزة بين الأدب وأخلاق الأديب

تماضر سعيد عودة ـ صحفية فلسطينية

في ساحة الإبداع، يختلط البريق بالجوهر، وتُرفع أقلامٌ بارعة قد لا تملك من الأخلاق ما يوازي جمالها اللغوي. وهنا تبرز الإشكالية الجوهرية: هل يُمكن للأدب أن يسمو إذا خلا من الأخلاق؟ وهل يُؤتمن أديب على الكلمة إن خلع عن نفسه ضميرها؟

يقول الفيلسوف الألماني إيمانويل كانط: «الأخلاق ليست فيما يفعله الإنسان، بل في الدافع وراء فعله.» وهذا القول يصلح لأن يكون معيارًا أدبيًا؛ فالأدب ليس في البنية اللفظية وحدها، بل في النيّة وراءها، في الغاية التي يُساق لها.

قد يملك الأديب أدوات البلاغة ودهاء التصوير، لكنّه إن استخدمها لتضليل القارئ، أو تجميل الباطل، أو تسويق الاستبداد، فقد خان رسالته، حتى وإن أبدع. يقول مصطفى صادق الرافعي في كتابه «وحي القلم»: الأدب الذي لا يربّي ولا يهذب، هو لهوٌ لغويّ لا يليق بالأرواح الكبيرة. وقد شهدنا في التاريخ أدباء عظّمهم الناس لجمال حرفهم، بينما تجاهلوا أنهم صمتوا عند المذابح، أو نافقوا الطغاة، أو سخروا من الفضيلة باسم الحداثة.

والأدب.. مسؤولية أخلاقية، فهو ليس محايدًا، ولا يحق له أن يكون كذلك في اللحظات المصيرية. يقول ألبير كامو في كتابه «الإنسان المتمرّد»: الأديب الذي لا يُسائل الواقع، يصبح جزءًا من تزويره. وهذا ما فعله الأدباء المقاومون في كلّ زمان، من أحمد شوقي إلى الشهيد غسان كنفاني الذي كتب أدبه بالدم الفلسطيني، لا بالحبر وحده.

فالأخلاق هنا لا تعني الوعظ، بل الموقف: أن يقول الأديب «لا» حيث يجب، أن يدافع عن المظلوم، أن يصون اللغة من أن تكون سيفًا في يد الجلاد. وكم من أديبٍ سقطت سمعته الأخلاقية، لكن بقيت بعض نصوصه حية! لكن حين تتجرّد الكلمة من روحها، فإنها تُهمل، مهما زيّنتها اللغة. وفي هذا الصدد يقول العقاد في كتابه «الديوان»: ما قيمة الشاعر إذا لم يكن ضميرًا؟ الشاعر الذي لا يحسّ بما حوله، لا يُشبه إلا آلةً تصدر صوتًا بلا روح. فالأخلاق عمود الأدب، ولا يُمكن لأديب أن يكون صادقًا في أدبه إذا كان منافقًا في حياته، ولا يحقّ لأدبٍ أن يدّعي الخلود إن كان خاليًا من القيم. إنّ الأخلاق ليست حِلية للأدب، بل روحه. وإننا اليوم - في زمن تزييف الوعي - أحوج ما نكون إلى أدباء يكتبون بماء الضمير، لا بحبر الجوائز.

حين تصرخ غزة... فهل يسمع الأدب؟

في لحظات الانهيار الأخلاقي العالمي، حين تصمت الأنظمة، وتخون المؤسسات، يبقى صوت الأديب هو الملاذ الأخير للحق. فالأدب، منذ أن وُجد، لم يكن ترفًا لغويًا أو عبثًا خياليًا، بل كان في جوهره تعبيرًا عن الضمير الإنساني، وعن تلك العلاقة الوثيقة بين الكلمة والحقيقة، بين الجمال والعدالة.

إن الأدب الحقيقي لا ينفصل عن الأخلاق، ليس بمعناها الوعظي الجامد، بل بمعناها الحيّ، المتفاعل، الذي يجعل من الكلمة أداة مقاومة، ومن الحكاية سلاحًا ضد الظلم. فدستويفسكي لم يكتب عن الجريمة والعقاب إلا ليحاكم الضمير، وألبير كامو لم يتحدث عن الطاعون إلا ليشير إلى مقاومة اللامعقول، ونجيب محفوظ لم يُدخلنا حواري القاهرة إلا ليكشف تناقضات النفس والمجتمع.

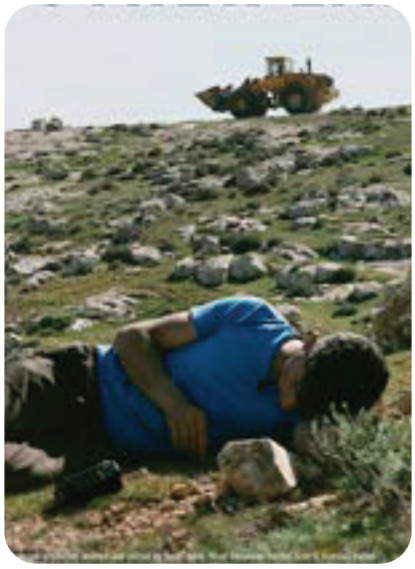

اليوم، ونحن نتابع فصول المأساة الإنسانية في غزة وحرب الإبادة، لا نحتاج إلى نشرات أخبار، بقدر ما نحتاج إلى أدباء يكتبون، يصرخون، يذكروننا بأن الطفل الفلسطيني ليس رقمًا، بل هو بطل تراجيدي في مسرحية من إنتاج العالم الصامت. أين صوت الأديب من مشاهد الركام، من أصوات الأمهات، من عيون الأطفال؟ هل بقي للأدب دور في عصر التغريدات الباردة والحياد القاتل؟

فالأديب الشهيد غسان كنفاني لم يحمل بندقية، لكنه خُلّد لأنه كتب الحقيقة. جعل من «رجال في الشمس» سؤالاً أخلاقيًا عن الخيانة والصمت. أما محمود درويش، فقد رفع راية المقاومة بالكلمات، حين قال: «نحن نحب الحياة إذا ما استطعنا إليها سبيلا»، فصار نشيده نشيدَ كل من لم يعد يجد للحياة سبيلاً.

إنّ ما يحدث في غزة اليوم لهو اختبار حقيقي للأدب، للأديب، للضمير العالمي. فالأديب الذي لا يُقلقه مشهد جثة طفل تحت الأنقاض لا يستحق قلمه. والكلمة التي لا تُقاوم الظلم هي تواطؤ ناعم. إننا بحاجة إلى أدب يوجع، يوقظ، يُحرّض على الحب والعدل.

سيُحاسب التاريخ الجميع، لكن الأدباء سيُحاسبون مرتين: مرة بصمتهم، وأخرى بكلماتهم. فإما أن يكون الأدب مرآة الأخلاق، أو مجرد زخرفة على جدران العار. وغزة، وهي تُقصف، ما زالت تنتظر من يكتبها كما تستحق... بندقية من حروف، وضميرًا لا يموت.

من النكبة إلى سيزيف الفلسطيني

لمى الشطلي - كاتبة صحفية فلسطينية ـ سورية

أن تولد بمحض المصادفة البحتة لتجد نفسك ملتصقاً بهوية ترتبط بالمجازر والوحشية والهمجية المفرطة، فذلك مصير فُرض على شعب بأكمله بتخطيط غربي ورؤية استعمارية صهيونية. فما معنى أن تكون فلسطينياً في زمن ينكر عليك صفة الإنسان، بينما تسقطك الأنظمة المتآمرة من كل اتفاقيات ومواثيق حقوق الإنسان والقانون الدولي؟

كأن الوجود الفلسطيني استقى مصيره من الإغريق ليصاب بلعنة الهوبريس، مترفعاً عن قدر السماء بعنادٍ يروي الأرض دماء عاشقة خالصة في حب فلسطين، كما الحياة، وكأن النكبة كانت خطأنا التراجيدي الأول.

سبعة وسبعون عاماً ونحن نبحث عن ذاتنا داخل هوية فلسطين، ونعود للنكبة في محاولة بائسة نستجدي التاريخ أي إجابة شافية، لكننا نكتشف سخرية جارحة: لا نكبة تُسعفنا بإجابة. فالثائرة على نفسها أقرت بكامل السادية أن تجدد نفسها بنفسها. لم نعد بحاجة للتاريخ والجغرافيا؛ نحن اليوم في زمن النكبات الفلسطينية المتتالية، زمن لا تشرحه الفلسفة، ولا تحتويه الخرائط.

من النكبة إلى الشتات، دول وتعداد وأرقام، حياة وموت تحمل عنواناً عريضاً: «الفلسطيني». لا تحتاج بعدها لشرحٍ مطوّل، بل إلى ذاكرة حيّة توثق خلالها كيف يصير الإنسان يحمل جانباً من النقص، تسافر عبره لفهم أي دولة أو قانون يمكنه أن يمنحك المزيد من العطايا. لكن كلّ العطايا، مهما بلغت، لا يمكنها أبداً أن تسد هذا النقص فيك. تتحول دون أن تشعر إلى «سيزيف الفلسطيني» الذي يتحدى الحياة بفكرة المقاومة. نحمل الأرض على ظهورنا وندفعها كل مرة إلى القمة، ليس بدافع العبث بل بدافع الحب. نصير مناضلين مهووسين بالأرض، ونعي بعدها أن عقدة الانتماء ليست خياراً، بل لازمة معاشة تتغلغل حتى إلى الهواء الذي نستنشقه. فنكون في عرف الوجود مقاومين، وفي عرف فلسطين شهداء. فهل كل شهيد من يعانق التراب فقط؟ أم أننا في قلب الحقيقة شهداء أحياء نوجع الميتين لأن كل الأحياء قد سبقونا إلى المعنى؟

«واليوم استطاعت هذه النكبة أن تتكاثر بأشكالٍ متعددة، فمقابل كل كلمة لا أو فعلٍ مقاوم يعيد ترتيب الخريطة، يخرج آلاف من الناس من الركن الأول إلى الشارع المنسي، لترى بأن المخيم صار أرضًا لا منفى. يبلغ بنا الوجع أن نعايش نفس المشهد وفي بقاع جغرافية متعددة، تلوح بنظرك وإذا بك تشهد جمعاً من الناس يسير مترنحاً من الخيبة، تلفظه أرض اللجوء ليعيش الحرمان مرتين. ولعنة المنفى أشد. والله إن قسوة المنفى أشد، فلربما الأرض لا تتخلى عن سكانها الأوائل أينما حلوا، بينما المنفى يقذف بك إلى وادٍ سحيق. هناك، تلتقي بأوديب الذي ظن بخطأ منه أنه ينقذ المملكة، كما ظننا بأننا نصون البقاء، لنتزاوج مع المنفى فتلاحقنا مأساتنا أبد الدهر.»

أما غزة، فكانت نكبتها ذات طابع دموي، تتأرجح بين الدمار والدماء، مفجوعة بنفسها.

كيف لقلاع الصمود أن تكسوها الأشلاء؟ وكيف لتاريخها أن يفتح مصراعيه ليُعيد إحياء ذاكرة لينينغراد، لكن هذه المرة في جسد الغزي؟

فأي نكبة أشد بشاعة من التجويع الممنهج، حين يستحيل على المحتل قتل الروح وهزيمة الإرادة؟

وليس غريباً حقاً أن يكون الصهيوني الوجه الأكثر وحشية من النازي نفسه، إذ إن عقدة القتل أثبتت جدارتها بتطوير نفسها عبر أجيال المستعمرين.

ما الذي يمكن أن نقوله في ذكرى النكبة المشؤومة؟

هل يكفينا التاريخ وحده ليشرح ما معنى أن تكون فلسطينياً؟

هل يمكننا أن نعبر من المجازر والإبادة على هيئة أي إنسان عادي؟

أم أننا وُجدنا بصفة واحدة: «مقاوم»، يطرق باب الصراع والحروب على إيقاع إرادة البقاء؟

لكن، ماذا لو لم نكن فلسطينيين؟

هل كنا سنلتصق بكل قضايا الإنسان، أينما كان، دون أن نبذل أي عناء؟

هل كانت الحرية والعدالة ستصبح شعارنا الوجودي، أم أننا خُلقنا نحمل تلك الكلمات وكأنها خلاصنا الأبدي؟

ربما...

لكن الأرض وحدها من تحمل الإجابة.

فلسطين وحدها من تقرر، وإلى ذلك الحين، نحن فلسطينيون مقاومون حتى النخاع.. لأن في كل خلية منا ذاكرة نكبة، وفي كل نفسٍ مقاومة.»

أدب النكبة: سردية الوجع والهوية

د. ثائر يوسف عودة - ناقد وأستاذ جامعي فلسطيني - سورية

شكّلت نكبة 1948 نقطة تحوّل جوهرية كبرى في التاريخ العربي الحديث، أسفرت عن تهجير أكثر من مليون فلسطيني من ديارهم إثر قيام الصهاينة بسرقة فلسطين واغتصاب أراضيها، وكانت واحدة من أخطر الأحداث التي غيّرت وجه التاريخ العربي، وأسّست لمأساة وطنية مستمرة حتى يومنا هذا، إذ أن تهجير مئات الآلاف من الفلسطينيين من ديارهم ترك أثراً عميقاً في الوجدان الجمعي الفلسطيني؛ وولّد حالة عميقة من الألم والمعاناة والحنين، انعكست بقوة على الأدب الفلسطيني والعربي بشكل عام الذي حمل رسالة الدفاع عن الهوية والثقافة والوجود.

أدب النكبة

أسهمت النكبة في انبثاق تيار أدبي خاص، عُرف بـ «أدب النكبة» وثّق الألم الفلسطيني، وخلّد الحنين للأرض، وأعلى من قيمة المقاومة الثقافية عبر مختلف الأجناس الأدبية. خاصة الشعر والرواية والقصة القصيرة، وسعى الأدباء إلى توثيق المعاناة، والحفاظ على الهوية، ومقاومة محاولات الطمس والنسيان. فأفرزت النكبة أدباً ذا طابع خاص، تميّز بمرجعياته الوطنية والإنسانية، وبمضامينه الغنية التي تدمج بين الحنين إلى الوطن، والشعور بالظلم، والدعوة للمقاومة، مما جعل «أدب النكبة» فرعاً أصيلاً في الأدب الفلسطيني المعاصر. وأصبح وسيلة للحفاظ على الذاكرة الجمعية للشعب الفلسطيني، ووسيلة مقاومة ثقافية موازية للمقاومة السياسية والكفاح المسلح. وأنتج هذا الأدب مجموعة كبيرة ومتميزة من الكتّاب الذين أسهم كلٌّ واحد منهم وبطريقته في بناء خطاب أدبي يحمل الخصوصية ويعبّر عن النكبة بكل أبعادها.

لذلك تُعدّ النكبة حدثاً مؤسساً في الأدب الفلسطيني، فقبل النكبة، كان الأدب الفلسطيني يتشابه مع الأدب العربي المجاور له في موضوعاته، لكنه بعد النكبة أصبح يحمل طابعاً خاصاً، وتحوّل إلى أداة مقاومة، وسعى إلى إعادة كتابة التاريخ من منظور الضحية، وتوثيق المعاناة اليومية الناجمة عن النكبة في الشتات والمخيمات.

موضوعات أدب النكبة

أول موضوعة تطالعنا وبشكل صارخ ومستمر هي موضوعة الحنين إلى الأرض؛ إذ شكّل الوطن المفقود (الضائع) الثيمة الأساسية في أدب النكبة، وصوّرت الأعمال الأدبية الأرض المغتصبة بوصفها فردوساً مفقوداً، وصاغت مشاعر الشوق والحنين إلى ذلك الفردوس بطرائق جمالية عميقة. فبرزت المفردات الرمزية التي تعبّر عن المكان/الوطن المفقود: القرية، البيت، الزيتون، البيارة، الأرض رمز الأم أو الحبيبة والوطن والهوية. وأفضى ذلك إلى الحديث عن الغربة والمنفى؛ حيث عاش الفلسطيني حالة اغتراب قاسية من النفي والشتات، انعكست بشكل مؤلم في نصوص الكتّاب التي جسدت معاناة اللاجئ في مخيمات اللجوء، والبحث عن الذات في عالم غريب، وتصوير شعور التيه والضياع بعيداً عن الديار. ولم يكتفِ بأن يكون ذاتياً يصوّر المعاناة الفردية بل صوّر المعاناة الجماعية، واعتنى بالمأساة الجماعية بدلاً من التركيز على الفرد، والحزن العميق، إذ امتلأت النصوص بمشاعر الفقد والقهر التي تعبّر عن مجموع المشردين.

يضاف إلى ذلك، الحرص على التسجيلية أو التوثيق الواقعي التاريخي للأحداث؛ إذ اعتمدت معظم النصوص على أحداث واقعية ومأساوية، ودمجت الأحداث التاريخية بكل تفاصيلها بالنص الأدبي لتوثيق النكبة، من خلال نقل معاناة الفلسطينيين إلى الأجيال القادمة، وسعى الأدباء لتوثيق النكبة بوصفها جريمة تاريخية وكارثة إنسانية ارتكبت ضد شعب أعزل.

ولم يتخلَّ ذلك الأدب عن تكريس الكفاح والمقاومة، فتحول إلى أداة نضالية، سواء بالدعوة إلى الكفاح المسلح أو عبر تعزيز الهوية الوطنية. والإيمان بأن العودة قادمة رغم الألم. وفي محاولة مقاومة النسيان، حافظ على على الهوية والثقافة الفلسطينية في وجه كل محاولات الطمس، بوصفه أداة مقاومة للحفاظ على الهوية والذاكرة.

وتمكن الإشارة هنا إلى النهج اللافت للنظر في هذا الأدب الذي تطوَّر لاحقاً، هو العالمية، الذي يعني بأبسط معانيه تبنِّي موقف تجاه قضية فلسطين، الذي لا يرى هذا الشأن من الناحية السياسية أو الدينية، بأنه صراع بين المسلمين واليهود، أو العرب وغير العرب، بل بأنه صراع بين الظالم والمظلوم، بين القاتل والضحية. وبالتالي لم تقتصر مهمة أدب النكبة على توثيق المأساة بل تجاوزت ذلك إلى مخاطبة الوجدان الإنساني العام، داعياً إلى إعلاء قيم الحرية والعدالة وحق الشعوب في تقرير مصيرها، والتأثير في الرأي العام من خلال نقل القضية الفلسطينية إلى العالم عن طريق الترجمة والنشر.

سمات فنية عامة لأدب النكبة

تميّز أدب النكبة بسمات فنية عدّة، أبرزها تلك اللغة المشحونة بالعاطفة التي مالت إلى التكثيف العاطفي العالي، وراوحت ما بين الحزن والغضب والأمل، واستخدام لغة غنية بالصور والتشابيه للتعبير عن الألم والحنين، فكانت قريبة من وجدان الناس وهمومهم. واتخذت من

الرمزية في الأسلوب متكئاً رحباً للتعبير عن المعاناة، بالإضافة إلى تقنية اللعب بالزمن واستخدام الاسترجاع والاستذكار، والتداخل الزمني لربط الماضي بالحاضر والمستقبل. وتعدُّد الأصوات لإبراز وجهات نظر متعددة تسلّط الضوء على تنوع التجربة الفلسطينية.

النكبة شعراً:

لم يكن الشعر الذي كُتب عن النكبة مقتصراً على جيل محدود، بل كان مشروعاً ثقافياً ضخماً شارك فيه مئات الشعراء الذين جسّدوا الحنين والمقاومة والوجع في قصائد خالدة. والشعر الذي كتب عن النكبة لم يكتفِ بالبكاء على الأطلال، بل حمل في طياته مشروعاً تحررياً كبيراً، ومع الوقت تطوّر هذا الشعر ليعبّر عن تجارب المنفى الطويل والهوية الممزقة. وجميع القصائد كانت تُكتب وتُلقى في ظل الاحتلال والشتات، وكان لها دور تعبوي هائل بين الجماهير الفلسطينية والعربية. كما أن الكثير من تلك القصائد لُحّن وغُنّي وأصبح جزءاً من التراث النضالي الفلسطيني.

وبرزت مجموعة من الشعراء الروّاد الذين شكّلوا النواة الأساسية لشعر النكبة، وكرّسوا أشعارهم في هذا الجانب، ونذكر على سبيل التمثيل لا الحصر أبرز المؤسسين لشعر النكبة وما تلاهم من أجيال متعاقبة: عبد الرحيم محمود، عبد الكريم الكرمي (أبو سلمى)، يوسف الخطيب، حسن البحيري، هارون هاشم رشيد، محمود درويش، سميح القاسم، معين بسيسو، فدوى طوقان، توفيق زياد، راشد حسين وغيرهم كثير.

النكبة سرداً حكائياً:

على الرغم من أنّ الشعر كان أسرع الأجناس التي استجابت لأحداث النكبة، إلا أنّ الرواية سرعان ما أثبتت حضورها القوي، فغدت وسيلة للسرد، للتوثيق، وللتعبير عن الهوية والمقاومة. والرواية كانت وما زالت أحد أهم الأجناس الأدبية التي تناولت النكبة، لأنها استطاعت أن ترسم تجربة التهجير، واللجوء، والضياع بأسلوب سردي عميق ومؤثر، وأوصلت صوت الضحية إلى العالم بطريقة إنسانية وأدبية. والرواية التي تناولت النكبة لم تكتفِ بالسرد التاريخي التوثيقي للأحداث على أهمية هذه المهمة، ولكنها أنتجت أيضاً عملاً فنياً أدخل القارئ في تجربة نفسية واجتماعية وثقافية، تعبّر عن: الفقد والحنين والشتات والهوية والنفي والصراع الوجودي والأمل والعودة. بالإضافة إلى مخاطبتها للضمير الإنساني العالمي بأسلوب فنيّ راقٍ.

وثمة خصائص ميّزت الرواية عن غيرها من الأجناس الأخرى، منها: التوثيق الذي يمزج بين السرد الحكائي والوثائق الحقيقية. وتسليط الضوء على الشخصيات المهزومة/المقاومة وكيفية تحوُّلها من اللاجئ الضحية إلى المقاوم. واستخدام الرموز المعبرة من مثل الخزان، المفتاح، البيوت، الأشجار... وكذلك اللجوء إلى البنية المتقطعة/ الزمن المكسور لتجسيد حالة الشتات. فأصبح للرواية دور مهم في بناء الوعي بالقضية، لأنها كانت وما زالت أداة فاعلة في إيصال الرواية الفلسطينية للعالم، وكسر السردية الصهيونية المهيمنة، وزرع الإحساس بالتاريخ والانتماء في أجيال ما بعد النكبة. فتحولت رواية النكبة إلى شهادة إنسانية حيّة تتوارثها الأجيال، وهي مرآة للمنفى، وتعبير عن الحق في الأرض، ووسيلة لإحياء الذاكرة في وجه النسيان. وفي ظني أنّ الرواية الفلسطينية ستبقى نبضاً حياً يروينا بالحقيقة، ويدفعنا نحو الأمل والعودة، مهما طال اللجوء. ومن أبرز المؤسسين لرواية النكبة وما تلاهم من أجيال متعاقبة، نذكر: غسان كنفاني، جبرا إبراهيم جبرا، إميل حبيبي، إبراهيم نصر الله، إلياس خوري وغيرهم كثير.

كما أنّ القصة القصيرة رافقت الرواية في تصوير النكبة والحديث عنها، فكانت وسيلة فعالة لتوثيق اللحظات اليومية والمعاناة الفردية على الرغم من عدم اعتنائها بتفاصيل النكبة الكثيرة كما فعلت الرواية. ومن أبرز الكُتّاب الذين تناولوا النكبة في قصصهم الكاتبة المتميزة سميرة عزام التي تناولت في قصصها وخاصة مجموعة «الساعة والإنسان» معاناة الفلسطينيين بعد النكبة، مركزة على الجانب الإنساني والاجتماعي. والصراع الداخلي للفلسطيني المهجّر، وتشتته بين الماضي والحاضر.

مع تطور الزمن، لم يعد أدب النكبة يركز فقط على الحنين والمعاناة، بل أصبح أكثر انفتاحاً على قضايا الهوية العالمية، والعدالة الاجتماعية، وحقوق الإنسان. وبرز جيل جديد من الأدباء الذين دمجوا بين الهم الفلسطيني والقضايا العالمية، في نصوص ما بعد حداثية تمزج بين المحلي والعالمي. فتطورت الموضوعات والأساليب مع الجيل الجديد من الأدباء الفلسطينيين، لكن موضوعة النكبة لم تغب عن كلّ السرديات الفلسطينية وإن تراجعت في الحضور فإن ظلّها لم يتراجع.

كما أنّ تأثير النكبة لم يقتصر على الأدب الفلسطيني فقط، بل أثّر في الأدب العربي بشكل عام، حيث ألهم الكثير من الكتاب العرب للتعبير عن قضايا التحرر الوطني، وأعاد تشكيل الأدب السياسي والاجتماعي في العالم العربي، وأسهم في تطوير الأدب السياسي المقاوم في الأدب العربي.

خلاصة القول، يظلّ أدب النكبة شهادة حية على واحدة من أكبر مآسي القرن العشرين، ومرآة تعكس معاناة الشعب الفلسطيني، وركيزة أساسية في الحفاظ على الذاكرة الوطنية والقومية، ومخزوناً ثقافياً لا ينضب. ولقد نجح هذا الأدب في أن يحوّل المأساة إلى فعل مقاومة ثقافية، حافظ على الهوية الوطنية، ولعب دوراً محورياً في الحفاظ على الذاكرة الجمعية، وأوصل صوت اللاجئ إلى أقاصي العالم. فأصبح كثير من نصوص أدب النكبة يُدرّس في جامعات دولية، ويُترجَم إلى لغات عديدة. ومع استمرار الاحتلال والشتات، يظل هذا الأدب شعلة متقدة، تذكّر العالم بوجود شعب لن ينسى قضيته، وستبقى مهمة هذا الأدب مستمرة ما دامت النكبة قائمة، وما دام هنالك فلسطينيون يصرخون: نحن هنا... ولن ننسى.

قمع ومحاولات الاستحواذ على الفلسطيني في رواية «السماق المر» لحسيبة عبد الرحمن

بسام سفر- كاتب وإعلامي سوري

ما قبل الاحتلال الصهيوني للأرض الفلسطينية, وتهجير الشعب الفلسطيني من أرضه سيطر النظام الرسمي العربي على القضية الفلسطينية, ومع هزيمة العام1948, وإعلان الكيان الصهيوني دولته رغم تدخل الجيوش العربية في هذه الحرب, وهزيمتها مثل كل المعارك الخاسرة التي خاضتها الأنظمة العربية, بقى التمثيل السياسي الفلسطيني في عهد هذه الأنظمة العربية حتى تشكيل منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني, ومع هذا التشكيل استطاعت منظمة التحرير الفلسطينية انتزاع التمثيل من الأنظمة العربية, وأصبحت هي ممثل الشعب الفلسطيني, وخاضت حروباً طويلة حتى استطاعت الحصول على الاعتراف الدولي والأممي, ولو بعضويات غير كاملة في كل المحافل والهيئات الأممية الدولية.

ورغم ذلك استمرت الأنظمة العربية في محاولات الهيمنة على القرار الوطني الفلسطيني في (منظمة التحرير الفلسطينية), خصيصاً في مرحلة السبعينات, وثمانينات القرن الفائت, ومن هذه الأنظمة النظام السوري الذي خاض معارك عسكرية عديدة مع فصائل منظمة التحرير بعد خروجها من ملحمة بيروت البطولية في صيف العام1982, أحياناً من خلال الجيش السوري, وأحياناً أخرى عبر أدوات وأذرع فلسطينية قام برعايتها وتخريب دورها الوطني الفلسطيني, عن هذا الصراع بين الأنظمة في سوريا, وبعض الفصائل, وزعيم منظمة التحرير الفلسطينية الراحل أبو عمار عالجت الروائية السورية اليسارية حسيبة عبد الرحمن هذه القضية في روايتها «السماق المر» الصادرة عن دار نينوى في العام2025.

عملية خاصة:

يذكر الراحل الحكيم جورج حبش في حديثه لـ (شريف الحسيني, وسائدة الأسمر), الذي نشرته العربي الجديد بتاريخ2024/10/9، أنه وقبل» وصوله إلى بوابة السجن بمئة متر أو مئتين, رأيت الرفاق يرتدون لباس الشرطة العسكرية السورية ومعهم سيارات مجهزة, وهناك فوجئت بأن أفراد الشرطة العسكرية هؤلاء هم: شحادة العجرمي (أبو طلعت)، وجبريل نوفل (أبو رأفت) ورفاقهما الذين طلبوا من السيارة التي كانت تنقلني الوقوف جانباً, وهي في طريقها إلى سجن الشيخ حسن. واضطرت السيارة إلى الوقوف, وهنا شهروا المسدسات على السائق أولاً, ثم على الحارس الجالس في الأمام, وعلى الحارس الجالس جانبي, وقالوا لي: «يلا نط», أي اقفز, طبعاً قفزت, وكان ثمة سيارة جاهزة انطلقت بي بسرعة, حتى أننا صرنا خارج الحدود السورية في أقل من ساعة, وذهبت فوراً إلى بيت وديع حداد».

بينما تناولت الروائية عبد الرحمن هروب الحكيم كما يلي في حديث (أمين الشخصية الأساسية، حافظ الأسد) في الرواية: «التاريخ يعيد نفسه معي ومع غيري, بهرب السجناء, فقد هرب زعيم المتشددين الفلسطينيين من السجن الجبلي, السجن الذي يشبه القلعة والمطل على عاصمتي, لأني ورفاقي اختلفنا معه, والآن, هو يعيش في ضيافتي وتحت حمايتي, ومع أن السجن محصن, لكن بعض الساسة تمكنوا من إحداث اختراقات فيه, فقد سبق تهريب ذلك الراديكالي الفلسطيني, وقبله هروب ابن المدينة المتمردة الوسطى صاحب السطوة الأمنية فترة الوحدة, الذي تلطخت يداه بدماء كثيرة ومن بينها دماء زعيم شيوعي كبير, كان أحد مؤسسي التنظيم والأب الروحي له, أمسك بالزعيم الشيوعي صدفة في بلدنا, وهو يقوم بالاتصال بالشيوعيين الذين بقوا داخل الجمهورية الموحدة, بعد ملاحقة السلطات لهم, فاعتقل ومات تحت التعذيب, كشفت هويته بعد موته, وأنه مواطن من خارج الجمهورية المتحدة, ومن أجل التخلص من جثته, وإزالة أثره ذوب بالأسيد, كي لا تعرف شخصيته الحقيقية ومولده في الدولة المحاذية لحدودنا غرباً.»

أن حالة القمع المعمم في سوريا منذ الوحدة مع مصر جعلت منها ذروة الديكتاتورية على مدار عشرات السنين حيث استشهد القائد الشيوعي فرج الله الحلو في أقبية المخابرات السورية, وجاءت عملية تهريب الحكيم من السجن صفعة لحكم اللجنة العسكرية, ولآلية التفكير الفوقي في كل القضايا المهمة ومنها القضية الفلسطينية على الرغم من محاولة تثبيت آليات خاصة بهم كنظام حكم بعيد عن الديمقراطية حيث أنهم أقروا أن الارتقاء بالعمل التنظيمي الحزبي لا يقر دون المشاركة في العمل الفدائي في الجولان المحتل.

صراع الاستحواذ:

يتبدى الصراع مع رمز القضية الفلسطينية (الختيار, أبو الكوفية) ومن خلال حديث بين الملك حسين والرئيس حافظ الأسد في شخصية (الأمين) بطل رواية السماق المر, إذ يقول الملك: «انظر إلى الفصائل الفلسطينية في المخيمات كيف تغيرت؟ غيرها المال والجاه, وآثار الرشوة ظهرت بالتخلي عن الثورة والتحرير وهذه بداية مرحلة أفولهم، ترى لن يستطيعوا بعد الآن تهديد أي نظام بإسقاطه سواء وقف ضدهم أو معهم كالأسمر!»

نحن لسنا مثله في القوة والعدة, ولن أنسى اتصالك في يوم اشتباكي مع الزعيم الفلسطيني (أبو الكوفية) سألتني يومها هل أحتاج إلى مساعدة؟, أجبتك: لا.

- إذا احتجت إلى دعم ..أنا أخوك.

علاقتي بأبي الكوفية وعلاقتي بأبي كانت دائماً متقلبة، كالإخوة أحياناً وأعداء في كثير من الأحيان, وعلاقتي بك حذرة, أنا وأنت لم نثق ببعضنا البعض يوماً».

إن الحوار بينهما يوضح حقيقة موقف كل منهما من فصائل العمل الوطني الفلسطيني, ومن الزعيم أبو عمار, وهذا في المرحلة الأولى من المقاومة في السنوات الأولى في عقد السبعينيات, عندما هاجمت قوات الملك مواقع المقاومة والمخيمات, لكن بعد الخروج من الأردن يتغير الشكل.

ويصف أمين الصراع بينه وبين الختيار بأنه لوعني ولوعته, لاعبني ولاعبته طويلاً, لطالما رفضني, وعاد إلي راجياً قبوله من خاصتي, ثم ما لبث أن نكث عهده, هو من كان يبدأ بالعداوة, فتجر عليه الوبال.

ويذكر أنه لن ينسى اليوم الذي اتصل أبو الكوفية به, وشتمه, وهدده، لكن الرد كان إن قصصت أظافره حتى اللحم!.

ويناقش أمين صديقه أبا نضال, حول أبو الكوفية وسياسته فيقول:» هم كتبوا نهايتهم بغصن الزيتون, غصن الوهم والسراب والاندفاع والتراجع والتأتأة. جلبت لهم, أنت وأبو كوفية, التشرد ثانية, وكأن تشردهم الأول لم يكفِ, فتشدق بالخطابات كحالكم, حتى أودعهم البحر وموانئ العالم, نصحته, فلم ينتصح. عاد أدراجه إلى مسقط رأسه, وهو ما كان قد رفضه قبل عقود, مترنماً:

- سأعود إلى البحر والجبل, إلى الزيتون والبرتقال, إلى وطن كبير, ولن أعود إلى مدينتي فقط!».

يرد عليه أبو نضال: «كأنك بريء! لم تسد الأبواب أمامه وأمام رفاق دربه من الثوار، وتساهم بقتلهم مرات ومرات؟ لو كانت الأرض تتكلم لصاحت, وانشطرت, وصرخت: لا تقترب من ترابي فتدنسه!, طارت كوفية أبي الكوفية, ودخلت نعش أمين غطت خمه، حاول رفعها. لكن قواه خارت. استنجد بالختيار: عفوت عنك, تعال وخذ كوفيتك!

ابتسم أبو الكوفية, وكأنه يسمع ما يقول, ولعل خطاً سرياً بينهما: نغصت عليك كوفيتي سردك الملتوي, أغلقت فاهك, كي لا تسترسل بأضاليلك, تقارن نفسك بي وبالجنوبيين! نحن حملنا السلاح, وخضنا حرب عصابات وحرب تحرير شعبية, في حين كنت تتآمر علينا, وفي أوقات الصباح تقف لتأمر وتنهي في قطعات جيشك, نحن حملنا أرواحنا على أكفنا, وأنت حملت رأسك على كفك من أجل هدف واحد هو السلطة التي لا يعرف من كان وراء وصولك إليها!، هل هم من بلاد الضباب أو اليانكي؟!

قهقه أبو الكوفية, جزارنا يقيم ثورتنا ويقيمني! وأنت من أغلق الحدود في وجهنا, وحاول منع الهواء عنا! وتتحدث عن النضال والرشاوي وتصفية المناضلين! كأنك تصف نفسك, سياستك, تقلباتك, إدعاءاتك.

ويلعب الختيار مع أمين الشطرنج, الذي ينتزع الكوفية عن صلعته العامرة بالمؤامرات, والتي أخفى فيها حقيقته, وجمع الناس حول رأسه المغطى تارة بالتقدمية وأخرى بالدين, مع الشرق والغرب ضد الرجعية ومعظم أمواله منها, ألقى خطباً ثورية عن التحالف مع السوفييت, وحرب التحرير الشعبية, التحرير من النهر إلى البحر, وها هو يقبل بمحافظة.

ويرد الختيار:

- قبلتها بسبب سياستك وسياسة غيرك يا صاحبي!

يرفع أبو الكوفية قميصاً ممزقاً، لربما أحضره من أحرف التاريخ وصفحاته الصفراء, القميص العتيق الذي أخرج من القبر للتو مضرجاً بالأحمر!,

نظر أبو الكوفية قائلاً: هي دماؤنا التي سفكتها, وبجانبها نساء مزقن خمرهن, متفجعات ومتجهات نحو القبلة, يندبن, ويدعين عليك.

وتركز عبد الرحمن على التحالف بين القوميين الاجتماعيين السوريين, وأبو الكوفية من خلال خرائط التحرير، وحول تحرير الجنوب وجنوب الجنوب في لقاء سعادة حفيد إسماعيل بيك مع أمين.

وقائع:

إذ كانت بعض دول العالم والأنظمة اليمينية قد اكتفت بدعم الكيان الصهيوني في هذا الصراع المرير والطويل, فإن الدول العربية وحكامها لم يقفوا على الحياد فقط, وإنما شاركوا في دعم الصهاينة بطريقة مباشرة وغير مباشرة.

النظام السوري في محاولاته الاستحواذ على ورقة القضية الفلسطينية سواء بشكل مباشر أو عبر وجود جيشه في لبنان, وتقييد حركة المقاومة, وأحياناً منعها.

إن الروائية حسيبة عبد الرحمن من خلال الصراع الفلسطيني السوري ممثلاً في أبو الكوفية وأمين, رصدت محاولات النظام السوري السيطرة على كل ما هو فلسطيني, والتحدث باسمه, لكن أبو الكوفية كان له بالمرصاد, حيث لم يمنحه هذه الفرصة, ولم يمنح غيره من الأنظمة العربية هذه الفرصة أيضاً، إذ نجد في اتصال الملك بأمين وحديثهما الرغبة المشتركة لدى النظامين بتطويع أبو الكوفية, وبالتالي القضية الفلسطينية, فالقضية الفلسطينية أعمق وأشمل من هيمنة وسيطرة أي نظام عربي, بل وحتى أعمق وأشمل من أي سلطة فلسطينية أو فصيل (سياسي وعسكري) فلسطيني, فكيف إذ كان نظام عربي متخاذل أمام الكيان الصهيوني وداعميه الأمريكان والغربيين.

أن القضية الفلسطينية في الرواية كما هي في الحياة الواقع صعب الاستحواذ عليها, فاللقطة الأخيرة لأبي الكوفية في الرواية موجود مع الحزب القومي الاجتماعي, وهو تاريخياً من أكثر الداعمين للقضية الفلسطينية.

ذكرى النكبة في أعين المهجرين وحق العودة

وفاء حميد ـ صحفية فلسطينية ـ سورية

من منا ينسى هذا العام /1948/ طعنة مغروزة في قلب أبنائه كما في قلب وطنه الغالي، إنه يوم النكبة، يستعيد فيه الشعب الفلسطيني ما تعرض له من تشريد عن أرضه، كما يتمسك أكثر بقضيته وهويته، يأتي هذا اليوم تزامناً مع معركة الأقصى التي تخوضها المقاومة مع حاضنتها الصامدة في غزة الدامية، لانتزاع حقوقهم المشروعة في ظل الانتهاكات المتكررة بحق الشعب الفلسطيني ومقدساته، حيث قام الاستعمار البريطاني، بتسهيل خطى إنشاء الكيان المحتل، فكانت رحلة العذاب للمهجرين الفلسطينيين طلباً للمأوى الآمن...

الشاعر محمود السعيد، رئيس فرع حلب للاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين- رائد القصة القصيرة جداً، ويكتب الشعر والنقد التشكيلي، نشر نتاجه في معظم صحف ومجلات الوطن العربي المختصة، صدر له ثمانية وعشرون كتاباً (شعر- قصص قصيرة جداً- دراسات) مواليد فلسطين الجليل- ترشيحا.. يرجع في ذاكرته عن الأرض التي ولد فيها هو وأجداده من قبله بعد أربعة وسبعين عاماً، من التهجير القسري، كانت لنا معه هذه الوقفة من الأسئلة:

- ماذا يمكن أن تخبرنا عن سنواتك في فلسطين، وماذا كنت تعمل؟ وكيف كانت؟

- ما هي الأحداث التي جرت أثناء احتلال فلسطين؟ وكيف واجهتم التهجير؟

- كيف كانت الهجرة؟ وكيف كان طريق الهجرة؟ وما هي الصعوبات التي واجهتموها؟ وأين كانت وما أثرها عليك؟ وهل هناك أمل للعودة إلى أحضان فلسطين؟

يستذكر الشاعر محمود السعيد سنوات طفولته التي أمضاها في فلسطين وطفرت الدمعة من عينيه، كانت طفولة جميلة، يغفو على ترانيم العتابا والميجانا، ويصحو على أغرودة العصفور الدوري، وتصفيق أجنحة شجرة المشمش المعانقة وشقيقاتها شتلات الحبق، فاغم الرائحة لشباك نومه، يتخللها صيحات ديك الجيران الشارد على بحبوحة من هواه، ونداءات أضاميم الفلاحين مصاحبين ضوء أول خيوط الفجر، لقطف لقمة العيش من شفاه الحدائق والبساتين العامرة بكل ما لذ وطاب من صنوف وفاكهة وموائد الخضار....

أما عن عمله فيخبرنا قائلاً: ماذا بمقدور الطفولة الحنون أن تعمل سوى أن ترشق قبلات الندى الصباحي، على خدود أراجيح اللهو المجاني، والدوران والجولان العابث في منسربات الأزقة المتخمة بخطوات المشي ومحطات الدهشة المدروزة كمشط الرصاص في أنحاء القرية وضلوعها الصدرية، لاصطياد الضحكات السارة من فضاءات الجهات....

وعن الحياة في فلسطين:

- كانوا يتنسمون النشوة ممزوجة ببراءة الرضا وطهر القبول وبساطة الأخذ والعطاء والتعامل، شريط من قوس قزح الألفة والتعاضد بين فصول سنة العوائل بأقانيمها الأربعة، واستطالاتها الغورية في المنبت والجذور والتصنيف، ببساطة رائعة كعين الديك، تشابكات حميمية العلائق كجزر مرجان القاع المحيطي، لا ضجيج في الصوت، حياة تقطر مزايا إيجابية ومناقب جوهرية، وصفات قمرية المحيا- رخمة الملمس، جليلة المرمى والمؤدى والمؤتى- حميمة التعانق والضم فيها من الرعوش الوجدانية والخلجات الدافئة الجمرية، وحرارة المصافحة – ونظافة البدن والسريرة، ما يصمي الحجارة غبطة ويثلج الصدر رضا وقناعة وحبوراً، وينعش النفس التي جرت أثناء الاحتلال...

عن أحداث الاحتلال يقول:

- ما حدث في تلك الحقبة من النعوت والهيجانات والاضطرابات والضوضاء والمد والجزر ما يفتت كبد الجبال الصماء، ويدلي صميمة القلب، ومحط بؤرته، ويفل حديد المواقف الصادة ركام من جثث، وجداول من دماء، ومهرجانات آدمية من الصراخ والعويل والخوف من جحيم لا يفرق بين الأشكال والحجوم، الإضاءات والظلال، الصقيع والتوهج الحراري، قتل مجاني، لمجرد هوس للقتل والتشفي، مسلسل من الأحداث الدموية يعجز المنطق وقواميس المعمورة أن تضبط إيقاع مفرداته السوقية، وتفك رموز صلياته السرطانية، وتعفن غلالة توجهاته الضنكة...

أما بخصوص مواجهة التهجير:

- هل بمقدور المقلوع من الجذور قسراً وعنفاً وليس في حوزته السواعد بعد، وفقد الأداة والوسيلة، سوى حرارة الدم، وصدق المسار، وقداسة المآل، والمقصود غير أن يرفع اليد احتجاجاً في الصدفة من تعفن ضمائر يعربية، وأن تقيم الدنيا ولا تقعدها دفاعاً عن أطهر أرض ومصر وأعراق قوم وأرومة، وأنبل وأبرز شكيمة، كانت مواجهة التهجير الوحشية بعامه وموجه لتهجير قريته ترشيحا بخاصة، بعد أن أبلت بلاء منقطع النظير في الذود عن حياض الوطن وشرف الأمة عدة أشهر تضامن جهاراً ونهاراً على قائمة دموع التمردات الفلسطينية، وانتفاضتها الباسلة، فتسلحه بالصبر والتحمل ووضع الملح على الجراح والتأسي والإذعان المر للواقع المستجد ريثما يذوب الثلج وتنجلي السحائب وينبلج فجر الحقيقة المداهمة....

يتابع الشاعر محمود السعيد حديثه مضيفاً:

- كانت مشياً على الأقدام الحافية على موسيقى الرصاص وزمجرة الأسلحة، وبطش السادية الغربية، بدميتها اللعوب وسرطانها المستشري وطفلتها الهجين «إسرائيل»، بالتجمع القسري من أقطاب الجغرافية الكونية، لم تكن لقاءات الجار بسط أذرع استقباله بمرتجى المطلب، وجوهر المأمول، ووجدنة القلب. يتابع:

وأما الصعوبات الماثلة للعيان، والفاضحة للرؤية، والفاطرة للفؤاد، تتطلب العديد من حلقات مسلسل الفقد ومنصات شاهقة لقامات الرواة والسرد، تعجز الذائقة الوقاية عن تذوقها ورجاحة العقل عن استيعابها، وسيرة الكينونة البشرية عن احتوائها فيهاً وتقبيلاً، فما بالك بشفافية مرآة شاعر ترصد همسات الضوء وتعكس جوازية الإحسان، وتقرأ بفنجان قهوتها ملامح الآني وقسمات تضاريس محياه.

وأما بخصوص الشطر الأقصى من منظومة الحوار هل هناك أمل بالعودة إلى فلسطين؟

يقول:

- ليس أمل من منطلق التمني وحدي من منظار المتبصر وقول من قبيل التخرص والرجم والتنطع، ورمية من غير قوي وسهم وساعد، بل قهر في اكتمال رونقة وصليات للشمس في عنفوان ضماها بطوعها الخالي واستشراها الضوئي وحقيقة تحددها قامة معطيات الأيام وفلسفة التاريخ ومسيرة الدقائق ـ يبلورها محصول موسم أمسكت بجلبات حصاده يد الخصب والوفرة والدفق...

وبدورنا سنبقى نذكر حق العودة ما هبت ريح الصبا.. حال الروح يردد: «حنانيك يا بلادي ما لي سواكِ مقرُ». فمازالت ذكرى النكبة جرحاً عميقاً، يقبع في قلب الشعب الفلسطيني، لكن الإرادة والصمود مازالا يكبران جيلاً بعد جيل، رفضاً للواقع الذي فرضته الإمبريالية الاستعمارية بيد ربيبتها الكيان المحتل، صورة فلسطين مازالت في قلوبنا لم تمحَ ولن يستطيع أي غاز مقامر على قضيتنا أن ينزعها من روحنا وعيوننا، لأننا رضعنا التحدي والصمود من صدور أجدادنا الذين، سكبوا في آذاننا وحفروا في عقولنا، (فلسطين أمانة في أعناقكم)، ورثنا حبها حتى أضحت مآلنا، فلسطين الحبيبة لنا عودة كيف لا؟ ونحن من جبل جسدنا ودمنا من ترابك، فكنا الزرع الذي نضج وعرف أنه لا يضيع حق وراءه مطالب، وما أخذ بالقوة لا يأتي إلا بالقوة.

سرديات تبحث عن الوطن

محمد حسين ـ وصحفي فلسطيني. سورية

اليوم التالي مجموعة قصصية جديدة تطل علينا من رحم المعاناة، ساردها يرسم ملامح لوطن ذبح من الوريد إلى الوريد أمام صمت الأشقاء، يتنقل بقصصها من مكان إلى آخر، كل الأمكنة تتشابه لكن الأسماء تختلف، المخيم، غزة، القدس...

اليوم التالي للكاتب عمر سعيد حاول أن يصرخ في وجه الظلم من خلالها ليقول كفى قهراً كفى تشريداً، نريد حفنة من الأحلام.

في اليوم التالي، قصص تتوارد بشكل جميل، وكأنها في شموليتها تؤدي وظيفة تعبيرية تقربنا من الحالة النفسية التي يعيشها ساردها- أفرادها معاً, إن هذا الرصد الدلالي لحمولات القصص، تجعل المتلقي يلحظ تلك القوة والرغبة في تجاوز كل الموانع والمصادفات التي تعجل بحلول كل مقومات الأسى والدمار. ولعل المراد من إيراد هذه الدلالات هو رغبة في إثبات فكرة مهمة يسعى كل كاتب إلى ترسيخها، مفادها أن المعاناة سبل تقودنا نحو بداية جديدة تُبعث فيها أرواحنا المدفونة تحت أنقاض النهايات .

لقد حملت القصص بين ثناياها مجموعة من الأفكار المشيدة تحظى بأهمية الإبداع بشكل عام في بعث الحياة في زمن لا يسوده إلا الموت...

وهي بالتالي تكاد تلخص لنا ما يعتمل داخل هذه القصص من زخم وافر للشجن وللفقد المستمر, دونها كاتبها في مزيج من رؤى وأفكار ومشاعر ذاتية وعامة ترتبط بمعاناة شعبه.

أقول إن ما تحمله تلك القصص من دلالات إنسانية وجمالية يصوغ طقوسها كاتبها وما يدخل عليها من عناصر عاطفية تمثله وتظهر بشكل مباشر كمشاعر حزن أو ألم أو أمل. وتتجلى كذلك حين يخترق بها وبانتظام أحلام اليقظة، هكذا تُشكل اللغةُ الشعرية هاجسًا للكاتب وتحديًا حقيقياً أثناء عملية الإبداع، فتصبح جزءًا أصيلاً من هذا الإبداع، والكاتب يستلهم رموزاً متداولة من الألم والقهر ..

قارئ هذه القصص سوف يلاحظ أنها تحمل حمولات ذاتية. ارتبطت بمستجدات الحياة والتعبير عن الهموم الذاتية، إضافة إلى ثنائية: الموت والحياة، الفرح والحزن، سمة تكاد تطغى على القصص عموماً.

فضاءات المخيمات حاضرة دائما في القصص هي الشخصية الرئيسية، هي «الذات». وسواء كانت واقعية أو «مخترعة» تسرد في زمن متعيّن هي مسرح للحدث أو خلفية للإنسان، بل بطل حقيقي وخالق للحدث بل وللذات الإنسانية نفسها. ربما من هنا جاءت تصديراً للأمكنة .

ولعل من أهم ما يجعل القصص مؤثرة فينا؛ كونها تعالج الجرح العميق فينا الهجرة تفاصيل المخيم كما في القصص (الرحيل جنوباً . الخروج. زهر وعرائس السكر) أوجاع الوطن.

تفاصيل من لحظات مؤثرة تعبر عن الحصار والحرب والأسر وما تحمله هذه العناصر من معاني المرارة والألم والخوف والجزع.

تجمعها قصص تصرح بالجرح النازف واصفة الموت الذي يصر على التهام الأجساد المحاصرة. كل هذا يحصل في زمن سيطرت أدوات الظلم عليه، ويظل موقف الكاتب هو ذاته في تجربته الغنية من حيث ارتباطها بالعديد من القضايا وخاصة منها الوطنية التي سيطرت على المجموعة، دون إغفال للجانب الفني, حاول استعادة المواجهة بين ما هو سياسي وفكري من جهة وجمالي من جهة أخرى.

قصص تنبض بالحياة وكل ما يخطر على البال مع بقايا إنسان محاصر، سجين، مغترب، لاجئ ومهمش.

بقي أن أشير إلى ملاحظات سريعة

غياب اسم المكان في غالبية القصص

بعض القصص تحمل عنصر الإدهاش في نهايتها مثل قصة (حياة أقل) والبعض الآخر جاء كلاسيكياً.

الزعتر لن يصبح عبرياً

مصعب عيسى - كاتب فلسطيني - بلجيكا

منفى يجدد منفى... والوطن رواية تدور في دهاليز المأساة

سؤال للمدى... المفتوح للصحراء ..

بين طيات الذاكرة وتفاصيلها يحمل الكنعاني فردوسه الأول أينما وطأت به الأيام، يرقع ثوب الوطن بإبرة من صبر وخيط رفيع من الحياة، يحاول جاهداً أن تستقيم الحبكة بكل ما أوتي من أمل

يدخل الفلسطيني عامه السابع والسبعين وهو على قيد اللجوء، بعيداً عن ترابه الذي تشكل في طيات جسمه، بعيداً عن خارطة الطين الموزع بين تضاريس النكبة والمنفى

هناك: ثمة برزخ من الخيام طويل... يكاد لا ينتهي

كلما ضاقت به السبل... يخرج قليلاً من ذاكرته ويتناولها مع كأس حنظل ويفكر في صمت الحكمة الغائبة؟

هل من بديل عن الوطن؟

سؤال الماضي المتجدد الذي طالما شكل هاجساً موحشاً للذاكرة الجمعية الفلسطينية سؤال الاحتمالات المطروحة على طاولة العصر والمرحلة...أيقاس الوطن بحدود الجغرافية!!

ربما كان أصدقنا عاطفة في وصف الوطن هو الراحل غسان كنفاني الذي كتب ذات مرة:

الوطن هو أن لا يحدث كل هذا.

بعد هذا السفر الطويل من المنفى يحق للاجئ أن يسأل ماذا تبقى لنا... وماذا يمكن أن يحدث أكثر مما حدث... وما شكل المذبحة القادمة...ما لون السماء في القصف المقبل.. ما زمرة دم القابضين على حق العودة.... ما صيغة الطعنة ومحلها من الإعراب... أسئلة وجودية لحاضر يحاصر ظلنا...أينما حللنا

ولكن لم نفشل... بعد

جواب يطرق باب خيمتنا الواقفة كمثلث هرمي رأسه للأعلى ومحرابها شطر الوطن المصاب بحمى في خاصرته...

جواب يفتح للمنطق فطرته السليمة.. نفشل حين ننسى أننا لاجئون، نقاوم حين نصر أننا لازلنا لاجئين بكل ما تغوينا الحياة بأوطان عصرية لا تتناسب فكراً مع ذاكرتنا الجمعية

نفشل حين نعالج ذاكرتنا بالنسيان.. والتماهي مع الخيال والعدم

حين نصمت عن الحديث عن تلك المساحة الترابية المقدرة بـ٢٧ ألف كيلو متر مربع.. ونيف حين ننسى شكل الخارطة.. حين تسقط قلادة بتطريز كنعاني من عنق سمراء في مقتبل العمر.. حين نستبدل اسم فلسطين بوشم لماركة عالمية تذعن بالإبادة الجماعية المرتكبة منذ عقود والتي بلغت أوجها على شواطئ غزة...

لا لم نفشل بعد... لأننا لا زلنا مقاومين بالفطرة...تلك الفطرة التي يبعث عليها الفلسطيني حين تنجبه الخيمة أو حين ينجبه السجن.. أو تنجبه الفكرة.. فالفلسطيني يخلق ثورياً بالفطرة...والثورة ليست رصاصاً فحسب..

لازلنا نرى فلسطين في أعين اللاجئين الأوائل من القرى والبلدات الفلسطينية إبان النكبة...بعضهم قضى نحبه قهراً على عتبات الانتظار... والمعركة

وبعضهم عاش عمراً من الكهولة المبكرة... ولكنه لازال ينتظر...وما بدلوا فلسطين مرة

نرى فلسطيننا في زقاق المخيم المطل على سفح جبل.. أو شاطئ بحر...أو في مرمى السهل ..مخيماً يرتب ذاكرته الطينية وفقاً للتقويم الكنعاني الأول.. تدخل أزقته فترى فلسطين حاضرة قبل النكبة بسهولها وجبالها وقراها ومدنها حتى في أدق أكلاتها....

لسنا مهزومين ما دمنا نقاوم عبارة سجلها التاريخ للراحل مهدي عامل والتي جسدها الفلسطيني بحرفيتها

قاومنا بالحبر المتواصل منذ بعثت فينا الروح وانتمينا لفردوسنا... كتبنا فلسطين في القصيدة فكانت هي الوحي وهي القافية...وكانت صدر البيت وشطرها المتجذر فينا

وفي العام السابع والسبعين للنكبة
من سفر الخروج
يبرز عظمنا.. من لحمنا
من حشوة القلب الجريح
من ظلنا.... والنخاع

تعب القاع... من الخيمة.. تعب الطين من المصفحة.. تعبت سماؤنا من الرماد.. تعب الصبر من الانتظار... تعب الإنسان الطفل بداخلنا.. ألا يحق لنا الحياة... ألسنا بشراً.. ألسنا من دم ولحم وأنين... ألسنا عرباً كالآخرين... تعبت جدران الخيمة من فرط الشهداء على قائمة التضحية..

تعبت زنازين غزاتنا.. تعب الحديد نيابة عن الأسرى والمعتقلين...

تعبت لغتنا من الطرح المباشر.. ومن الاستعارات... ومن لغة الرمز والسوريالية... تعب النشيد من إيقاع الموسيقى الجنائزية... تعب التاريخ برمته من فرط المذبحة الجماعية... تعبت جغرافيا الكون من أنهار الدم المسفوك على شواطئ المدينة حيث لا قطرة ماء واحدة... تعب الاقتصاد من تضخم الأرواح الصاعدة نحو سماء الله.. أو الملقاة على جانب الطريق... تعبت رياضيات العقل من تعداد المفقودين قسراً أو العائلات الممسوحة بفعل صاروخ واحد... حيث لا أثر

وحدها الذاكرة...كانت تشحن أنفاقها بكل ما سبق.. لتبقى على قيد الوطن...

ذاكرتنا طريقنا...الوحيد الباقي في الأيام المقبلة.. سبيلنا الأوحد لكي لا نكون هنوداً حمراً في عصر الحداثة...

كتبنا...ذاكرتنا على كل شيء...دوناها للقادمين بعدنا بعصور.. رسمنا فلسطين كما لم يفعل رسام من قبل... رسمناها بعين المتخيل الذي لم يراها قط... فكانت الأروع بين البلاد.. ولا نزال نرسم بالرصاص خارطة الوطن.. وبالحبر.. وبألوان الحياة

انشدنا فلسطين في موالنا الشجي.. وعتاباتنا المفضلة.. ونشيدنا الذي يلهم قلوبنا لذة العشق.. وشبق العاشقين.. متيقنين من الحقيقة.. وإن كثر الوهم... واثقين بالعودة وإن طال الزمن... مؤمنين بنصرنا وإن بقينا وحدنا... فالزعتر لن يصبح عبرياً... والدبكة ما كانت يوماً إشكنازية...سيرحلون جميعاً

ويبقى الوطن

طاحونة أبو العوايص

ركان حسين ـ كاتب فلسطيني ـ ألمانيا

لم تكن الطاحونة مجرد حجرات تحف بها الرياح على أطراف المزيريب. كانت قُبّةً زمنية، تنكفئ على نفسها كل مساء لتبتلع ما لا يستطيع الناس تحمله من الذاكرة.

في طفولتي، كنت أراها كائنًا أسطوريًا نصفه مبنى ونصفه الآخر حكاية. وحين كبرت، لم يتغير شيء. فقط تضخّم الصمت من حولها، وصار اسمها يُقال بإعجاب، كما يُقال اسم الجدّ الأول الذي اختفى في الرمال.

أما أبو العوايص، فكان لغز الطاحونة الحيّ. يظهر كأنما خرج من طيّات حكاية لم تكتمل. جسده لا يتقادم، ووجه يشبه وجوه الملوك المسكوكة على قطع النقد المتناثرة على منحدرات تل الأشعري بعد انحسار قشرة التراب إثر مراشيق المطر. حين رأيته أول مرة، قال إنه بلغ السبعين. مرّت خمسون سنة بعدها، وما زال يقولها، وما زال شكله يؤكّدها، سبعون عاماً لا تزيد ولا تنقص. لا أحد رآه طفلًا، ولا سمع عن شبابه. كأن الأرض لفظته هكذا، بشعره الأبيض وترقوته البارزة، يخرج من جوف الطاحونة كما يخرج البخار من جدران الغرف الرطبة.

الناس قالوا عنه الكثير، وأقلّ ما قالوه كان أغرب من الخيال. إنه متزوج من جنية تسكن الطاحونة. يحبها، يغني لها على الربابة، يحلق ذقنه من أجلها. امرأة من طبريا أقسمت أنها رأت عينيه تتوهّجان حين سُئل عنها، كأنهما مصباحان قديمان وقودهما الحنين. جاره أبو العبد سمعه ذات مساء يغني بصوتٍ ثانٍ لا يشبه صوته، ولما دخل عليه وجده وحيدًا، يُقلب حطب المنقل الحديدي الصدئ بلا اكتراث.

لم يكن أحد يدري ما يفعل هناك طوال النهار. لكن الجميع، بشكل ما، آمن بأنه يحرس شيئًا لا يُرَى. لا يرتدي حرّاس الذاكرة بزّات رسمية في المزيريب، كانوا يُشبهون أبو العوايص: غريبي الأطوار، ثابتين في المكان، يشبهون النسيان أكثر مما يشبهون الذاكرة، لكنهم عند السقوط، يتّضح أنهم آخر الصخور المتبقية من السدّ.

جاء الشتاء، شتاء لا يُنسى. مات أبو العوايص في ليلة بلا إنذار، لا شهقة، لا رعد، فقط موت جافّ، خالٍ من التفاصيل. كان ممددًا قرب الطاحونة، كمن انتظر زائرًا ولم يأتِ. السماء أمطرت بعد موته، كأنها تبكي يتمها. ومنذ ذلك اليوم، بدأت الطاحونة تذوي، كما تذوي النباتات حين تُقتلع جذورها ولا تدرك أنها تموت.

بدأت الحرب. لا شيء يسبقها، لا طبول، لا بيان أول. فقط أصوات تنغرز كالإبر في شقوق الجدران. الطاحونة قاومت كما تقاوم الأرامل فكرة الوحدة. لكنها كانت بلا حامٍ. من بقي، بقي ليقتلعها، لا ليصونها. معاول انهمرت عليها كما ينهمر القطران على جروح الدواب. قال راعٍ كان يمرّ بجوار المقبرة إنه سمع أنينًا ينبعث من قبر أبو العوايص كلما سقط حجر منها، كأن الطاحونة وقبره يشتركان بجهاز عصبي واحد. اليوم، لم يبقَ شيء. سوى حجارة مبعثرة كعظام ديناصور في متحف بلا إضاءة. أحفادنا لن يروا شيئًا منها إلا ما قد يقرأ في نص كهذا. قد يقرؤون اسمها في كتاب جغرافيا مشوّه، أو يسمعونها في نكتة عن رجل تزوّج جنية. ولن يصدّقوا.

لكننا، نحن الذين عرفناها، عرفناها كأنها بيت الطفولة، نعرف أنها لم تكن مجرد بناء... بل كائن، تنفّس باسمنا حين ضاقت الأرض، وصمت حين صرنا نخجل من الحكاية.

كان مساءً رخوًا كعجينٍ لم يُختمر، حين وقفت سيدة فلسطينية على ضفة البركة، تنظر إلى الطاحونة كما ينظر من فقد ذاكرته إلى بيتٍ كان يسكنه في حياةٍ سابقة. كانت من طبريا، جاءت في زيارة خاطفة لأختها التي تزوجت رجلاً من المزيريب. سيدة صامتة، تحكي عيناها أكثر مما يحكي لسانها. حين رأت أبا العوايص لأول مرة، تمتمت بشيءٍ لم يسمعه أحد بوضوح، سوى رفيقتها التي كانت معها، وقالت لاحقًا:

"هذا الرجل لا يعيش بيننا تمامًا، يحلق لحيته وشاربيه لأن من يعاشره ليس من لحمٍ فقط." منذ تلك اللحظة، علقت الكلمة مثل شائبةٍ في الماء. وبدأت الحكايات تتبرعم، كالفطر في رطوبة الجدران القديمة.

قالت الجارة ذات يوم:

"سمعت منها أن الجنية تسكن الطاحونة، تخرج كل مساء، تمشط شعرها المائي على سطحها، وتغني لأبي العوايص أغنية لا يعرفها أحد. لا تُقال بالعربية ولا بأي لغة معروفة. شيء بين الماء والريح، بين وجع الغربة وحلمٍ لا يتحقق."

بعض النساء أقسمن أنهن رأين خيالاً أنثويًا يمرّ بين شواغير الطاحونة المهجورة، يرفّ كظل طائرٍ لم يقرر بعد أن يهبط. إحدى الأرامل قالت:

"في ليالي القمر، كنت أراها تجلس على حجر الرحى، تتمايل كأنها تقود موكبًا خفيًا من الأرواح."

أبو العوايص لم يكن يردّ على هذه الحكايات. كان إذا سُئل، اكتفى بابتسامة تائهة، كأن فمه يعرف الحقيقة لكن لسانه أُصيب بعقدة قديمة.

بدأت النسوة يقلن إنه اكتفى بها، بتلك التي لا تُرى. لم يتزوج امرأة من أهل الأرض، ولا أنجب، ولا زار طبيبًا أو زارته وعكة. كان يمشي كل صباح إلى الطاحونة حاملاً قهوته، يجلس على العتبة، يغمض عينيه، ويصغي.

كأنّه يُصغي إليها.

إلى تنهدها في ثنايا الخشب.

إلى شهقتها عندما تسقط أول قطرة مطر على السقف المهجور.

إلى صوتها وهي تحكي له عن أزمنة لم نعشها، عن أسماءٍ لم نعد نحفظها، عن أطفالٍ دفنتهم الحرب ولم تُمهلهم حتى يطحنوا قمحهم الأول.

في يومٍ شتويٍ ثقيل، دخلت المرأة التي جاءت من طبريا إلى الطاحونة. لا أحد يعلم كيف ولماذا. قالوا إنها كانت تبحث عن شيء. وربما عن أحد. لكنها خرجت باكية، تغطي وجهها بثوبها الفلسطيني المطرّز، وهمست قبل أن ترحل إلى الأبد:

"إنها لا تحبه فقط... إنها تنتظره هناك."

منذ ذلك اليوم، لم يجرؤ أحد على الاقتراب من الطاحونة ليلاً. حتى الكلاب كانت تمرّ مسرعة، والخفافيش تحلق فوقها ثم تغير مسارها.

فمنذ أن أحبّ أبو العوايص جنية الطاحونة، صار المكان أكثر من بناء حجري. صار كائنًا يعيش، ويتنفس، ويغار.

أبو العبد، الحداد العجوز، كان يسكن قبالة الطاحونة، على مسافة صوتٍ مكتوم. رجل

ضيّق العينين، كأن الزمن ضيّق عليه، يطرق الحديد كما يطرق الذاكرة، ضربةً ضربة، ليجعل منها شيئًا يُحتمل.

كان يقول:

"ما من شيء يؤلمني كصوت الربابة حين يعلو من بيت لا يسكنه إلا رجل واحد."

في الليالي التي ينخر فيها البرد العظام، كان يسمع عزفًا خافتًا يأتي من جهة الطاحونة. ليس عزفًا يُتقن النغم، بل يشبه بكاءً مدوزنًا، نواحًا يحاول أن يتزيّا بملابس لحن. وربما لهذا السبب لم يكن مزعجًا، بل شجيًا، شجيًا بما يكفي ليوقظ أطياف الذين غادرونا مبكرًا.

قال أبو العبد:

"كنت أسمع صوتًا نسائيًا يرافق الربابة. لا هو غناء ولا هو همس. شيء بين التنهد والنواح. أحيانًا كنت أظنه صدى صوتي أنا... لكن الصوت كان أجمل من أن يكون لي."

ذات مساء، وقد جرّت الحرب ذيلها فوق المزيريب، قصد بيت أبي العوايص. طرق الباب بترددٍ يشبه دقات قلبه. فُتح الباب ببطء. لم يكن هناك أحد. سوى أبي العوايص، جالسًا في الزاوية، يعزف، مغمض العينين، كأنّه لا يعزف للناس بل للمكان.

سأله:

- من التي تغني معك؟

ردّ دون أن يرفع نظره:

- لا أحد يغني.

- لكنني أسمع صوتًا.

- ربما هي الطاحونة... تتذكّر.

كان في صوته يقين المجانين، أو مكر العارفين.

الربابة التي يعزف عليها لم تكن كالربابات التي يعرفها أبو العبد. لم تكن مشدودة من وتر شعر حصان ولا مربوطة بخشب سرو. بل بدت كأنها خُلقت من ضلعه. عظمٌ صقلته الأيام، ووترٌ مشدود من لحم الذاكرة.

كل مساء، كان يجلس هناك، ويعزف. وكل مساء، كانت الطاحونة تئن معه. لم تكن أنينًا مسموعًا دائمًا. أحيانًا كانت ترتجف نوافذها دون ريح. أحيانًا كانت ترشح حجارتها بماءٍ مالح. وأحيانًا، كان الليل يطول كأنه ينتظر شيئًا لن يأتي.

بعد موت أبي العوايص، لم تعد الربابة تُسمع. لكن أبو العبد يقول إنه، في ليالٍ نادرة، حين يهطل المطر على غير ميعاده، يسمع في الريح نغمة غريبة، كأنها ارتدت عن وترها، تبحث عن يدٍ تعرف كيف تمسّد الفقد.

في الركن الغربي من مقبرة المزيريب، حيث تتداخل شجيرات السرو مع قبورٍ شاحبة بلا شواهد، يقع قبر أبي العوايص. لم يكن عليه شاهِد، لا تاريخ ميلاد ولا وفاة، فقط شاهد واحد يثبّت ذاكرة الحجارة: ربابة مكسورة مدفونة نصفها في التراب، كأنّها أرادت أن تظلّ شاهدة وصامتة في آنٍ معًا. منذ دفنوه، والمقبرة لا تنام.

قال الراعي، الذي اعتاد أن ينشر غنمه على أطرافها:

"في الليل... القبر يتنهّد."

كان يروي ذلك كمن يروي نكتة مرّة لا تضحك أحدًا. "والله العظيم، سمعت صوتًا يخرج من القبر، كأنّه رجل يروي قصة حياته داخل نومه."

لم يصدّقه أحد، أو ربما لم يريدوا التصديق. فالمزيريب كانت قد بدأت تُصاب بالخرس، كأن صمت أبي العوايص انتقل إليها بعد موته. كلما اقترب أحد من الطاحونة، يشعر أنه دخل في حلم ليس له. كان الخراب قد بدأ زحفه المنظم: حجارة الطاحونة تنفك واحدةً واحدة، تُنقل إلى بيوتٍ لم تعرف الطحين ولا الماء. الحديد يُنزع، يُباع، يُصهر. والعين التي كانت تدور حجر الرحى، جفّت دون أن تصدر أنينًا.

قال أبو معيش، الذي شهد جنازته:

"كان وجهه ساكنًا كوجه قدّيس انتهى من الصلاة، لكنه حين أنزلناه في القبر، تحرّك في الكفن."

وسكت، ثم أضاف:

"كأنّه تنفّس للمرة الأخيرة، لا ليعيش، بل ليُبقينا نحن أحياء."

لم يجرؤ أحد على فتح القبر بعد ذلك. حتى أولئك الذين فقدوا أبناءهم في الحرب، وخبّؤوا جراحهم تحت التراب، كانوا يمرّون من قربه بخطى خفيفة، كأنّ في الأرض أذنًا تسمع وتغفر وتؤنّب.

وفي أحد الأيام، بعد معركة قصيرة مع الغرباء الذين جاؤوا بالمجارف لا بالكتب، قيل إن أحدهم حاول أن يهدم القبر، ليستخدم حجارته لبناء حاجز على طريق ترابي. لكنه توقّف فجأة، جلس على الأرض، وأخذ بالبكاء. لم يفهمه أحد، ولم يفسّر هو شيئًا. فقط تمتم:

"كان في القبر صوت... لا يُشبه أي شيء."

كان القبر مفتوحًا، لا لأن أحدهم نبشه، بل لأن من دُفن فيه لم يرحل حقًّا. بقي هناك، يُطل من عتمة التراب كما تُطل الكلمات التي لم تُقَل. ظننا أنه حارس الطاحونة، فإذا به حارس الذاكرة، حارسنا.

الناس يظنون أن الحجارة لا تحلم، وأن الطواحين لا تسمع، وأن الربابة مجرّد وتر يشدّه الحنين ثم ينقطع. لكن الطاحونة... كانت تحلم. تحلم بصوت الماء حين يُولد من جوف العين، بحفيف السنابل التي كانت تُساق إلى حضنها مثل أطفال يُعادون إلى صدور أمهاتهم. تحلم بمواسم صاخبة، بطحينٍ يعبق برائحة الخبز، بأغنيات النسوة وهنّ يخلطن الدقيق بالملح والدعاء.

لكن العالم نسي. نسي أن هناك طاحونة في المزيريب، وأن قلبها لم يتوقّف حتى بعد أن توقف الدولاب، حتى بعد أن جفّت السواقي. كانوا يظنونها مجرد مبنى عتيق، تصلح خلفيته للصور التذكارية، أو لتصوير إعلان عن مقصف البلدة كموقع سياحي. لم يعرفوا أن جدرانها تتذكّر الأسماء، وتستعيد التفاصيل الصغيرة: نظرة أبي العوايص وهو يربط الربابة على صدره، اسم محمد عيسى، الذي كتبه قبل ذهابه إلى لبنان واستشهاده أثناء صد إنزال بحري على شاطئ صور بالطلاء الأسود والخط العريض، مثل بكاء عاشقٍ فلسطينيٍ خبّأ رسالته في جدارها ومضى.

في الليلة التي سقط فيها أوّل صاروخ على أطراف البلدة، اهتزت الطاحونة كما تهتزّ أمّ تسمع ابنها يصرخ من بعيد. أرادت أن تصرخ. أرادت أن تنحني على المزيريب وتحميها بجدرانها القديمة، لكن أحدًا لم ينتبه.

في صباح اليوم التالي، كانت العصافير لا تزال تحوم حول نوافذها المحطّمة. كانت تحوم، لا لتبني أعشاشاً، بل كأنها تبحث عن شيء ضاع منها هناك. حجرٌ سقط من أحد الجدران، وخرج منه شيء يشبه الهواء، لكنه كان أقدم من الهواء، أعمق من الزمن. كأن روحًا نامت فيه قرونًا وخرجت مذعورة. مرت الأيام.

تقوّض السقف. انهارت الأعمدة. تساقط الجصّ. لكن، في قلب الخراب، ظلّت الطاحونة تحلم. كانت تحلم بعودة أبي العوايص، بعودتنا نحن، أن نملأها ضجيجًا من جديد، أن نعيد إليها الربابة والدقيق والضحك المسروق من أعمارنا.

مناجاة لصخرةَ الضوءِ
(من قلبٍ ينبض لفلسطين)

د. بشير أحمد أبو أصبع
كاتب وأديب من اليمن

يا صخرةَ الضوءِ
في مهبّ العدم!
يا شهقةَ الأرضِ تصرخُ في صمتها!
يا جسدَ الأمِّ
يحتضنُ الليلَ بينَ الركامِ
ويغفو على مهدِ جُرحٍ يُغنّي
لموتِ الصغار!
وظِلَّ جدارٍ
يُنادي على ظلِّه...
يُربّي الشقوقَ على جلدِهِ!
يا طيفَ قنبلةٍ
حملت
في رحمها
ألفَ موتٍ
ألفَ مئذنةٍ
تبكي بلا صوت،
ويعلو عليها الغبارُ.
يا أيّها البحرُ
ماذا بشاطئك اليومَ غيرُ العظامِ
وأشلاءِ دُمية؟!
ماذا سوى لعبةٍ
تسبح
في بِركة من دماء الطفولة منسيّة
وساعة
أوقفتْها الصرخةُ الأخيرةُ
في صدرِ أمٍّ
تُفصِّلُ كفناً من الحنين؟!
السماءُ
تفتحُ جُرحاً
وتنفجرُ الأرضُ في الذاكرة
والرغيفُ المعلَّقُ
في حبلِ جوعٍ
يُغيّرُ ألوانه
يُصبحُ أغنيةً من رماد
وصوتَ المجاعةِ
في عيونِ الطفولة
يغني نشيدَ
القذيفةِ القادمة...
***
يا غزةُ
لا توقفي النشيدَ
وإن سُحقَ النايُ
في حلقِ أغنيتك
فثغرُ الدماءِ
سيكملُ ألحانه
عن جدودٍ
ضاعت خطاهُم على حائطِ
الذكريات
وأختٍ
مضت في جنازتها وحدها
كعيدٍ
بلا ضوء
لا صوت،
لا زائرين!
لا تطفئي الزغرودة
ولو في المقابر،
ولا تطفئي الزيتَ
فالريحُ تأتي
من جهةِ القلبِ...
تحملُ اسمي واسمكِ،
وقد كُتبا
بدمعةِ شاعر
وتوقيعِ طفلٍ
على بابِ منزله كتبَ:
«حيٌّ أنا... وإن قتلوني»!
***
غزةُ
يا قصيدة
تُكتَبُ بالنارِ
وتُتلى على وتَرِ
النار والمدفع
لن تموتي
فكلِّ شهيدٍ سيولدُ
زيتونةً من غضب،
وفي كلِّ قصفٍ
سينبتُ غصنٌ
من المعنى
وفي كلِّ دمعة
بحرٌ
يتوعَّدُ الطغاة...
أيّها العابرونَ
على جماجِمنا
احفروا أسماءَكم جيّداً
فالأرضُ تحفظُ أقدام من وطؤوها
والريحُ تحفظُ أنفاس من خانها
والترابُ
ليس يَنسى.

غزّة نوع آخر من الكلام والتوراة لم تحتفظ بعقلها كاملاً

عبد النور الهنداوي ـ شاعر وأديب من سورية

«في تصوري، أن العالم الآخر هو أفضل مكان لتوطين الفلسطيني، وأيضاً العرب؛ وأعتقد أن هذا ما نفعله اليوم.. تنفيذاً لوصاية الرب».

حاخام صهيوني

إنها أيام العرب الأخيرة، وعلينا أن نصنع من دمهم سراويل قصيرة للتاريخ .

هو إذن اليهودي التائه الذي يتحدث عن تثاؤب الهواء،

والانتقال سريعاً من هذا الملل البنيوي الذي يذكّره ببقايا شعب نسج تاريخه من غِبطة الحكّام العرب الأشاوس، وهم ينظرون في أنفسهم على حافة التاريخ !

قد لا يستطيع اليهودي أن يظلّ في آخر الجثث، لكنه سيظلّ محدّقاً في السقف الإلهي للدم «الغزاوي» وهو يحدّق في سقف التوراة التي لم تنتج سوى آيات لطحن الدماء !

يقول ضابط صهيوني: موت الفلسطيني، ضرورة سيكولوجية لبقاء الهيكل، فهل من حاكم عربي ابن عربي عنده الإجابة على هذا السؤال؟

منذ وقت بعيد، واليهودي لديه الإضافات الجغرافية الميتة حسب اعتقاده، كي يمتلئ الآخر بالموت.. مع أنها تليق به مستودعات الغرائز لا مستودعات الحطام .

إن غزّة ليست بحاجة إلى الصدمة كي تعيد ظهورها الخلّاق أمام الرهان، وأيضاً ليست بحاجة إلى تأهيل حكومات عربية مترهلة بسبب عجزها وفضائحها الخشنة، لأنها ولدت في المستنقع الساخن .

أعتقد جازماً، أن أمريكا تعيش مراهنة فائقة على موت الإنسانية، لأن الزلزلة لا تأخذ بجاذبية القوّة المدمِّرة، بل بجاذبية الدم،.

في مقابلة مع جنرال صهيوني قال: نحن بنينا قوتنا في السابق على أساس حماية «إسرائيل» بعد الآن لا بدّ أن تختلف الأمور.. ستكون مهمتنا حماية الشرق الأوسط، وإخلاء الأرض من العرب .

اليهودي الآن يبحث جاهداً عن أمكنة فارغة في أرواح أطفال غزة، في حين أن أرواحهم هي المرايا الميتة، وأن المواجهة بين غزة وكل الغرب لم تعد مقطوعة الساقين، وها هم يبحثون في التوراة عن النصوص المجنّحة، وتراكم الكسل الفائق، ما دام الغرب نفسه يجلس على كتفي ذلك الشيء الذي سيضع نهاية لكل الأشياء .

لا أحد من الحكام العرب، يدرك أن الصفقة الآن خروج

الجغرافيا العربية للدخول في التاريخ العربي، طبعاً الحاكم الذي يرتجف، والذي قدّم نصفه للهيكل، والنصف الآخر للمزبلة !

حتى الصفقات التي يمكن أن تتم، فيها أمكنة لائقة للمذبحة لأن غزّة تمثّل وجودياً، الحائط الدموي بين اليهودي واليهودي، وأيضاً العلاقة الجذرية بين ما تقوله التوراة، وما تقوله الطائرات !

إنه التطابق المشوّش الذي تقيمه الإستراتيجية الأمريكية، بين دماء غزّة، وبين الهستيريا القذرة التي تنتاب الجندي الصهيوني.. من الكشف عن أسنانه المتلألئة، ليكتشف أن الفضائح التي يرتكبها هي أساساً لدعم حجارة الهيكل، والمضيّ بعيداً في التثاؤب الدبلوماسي، ووضع أهلنا في غزّة في تابوت الرحيل الجماعي.. وعندها تنكسر الحقيقة التي مفادها نهاية «إسرائيل « .

إن غزة بكل مكوناتها، هي الجانب اللامرئي لليهودي وهو يتدحرج باتجاهها .

هذا الكلام ليس رومانسياً، إنما حاجة جدلية ضرورية

لإفهام هذا اليهودي أن الارتجاج البنيوي الذي يلازمه يتمحور فقط، في استقبال الأسلحة التي توفّر له المظلة الإستراتيجية. إستراتيجية البقاء؛ وكأن غزّة قطعة عارية من التاريخ والجغرافيا،.. وليس من الغريب أن يستيقظ الغرب اليهودي لتدمير أولئك الذين يتقيدون بنصوص التوراة .

هل وقت الغرب كلّه يجب أن ينام؟ فالجنرال الصهيوني، كما الحاخام هو خيار واحد، إن كان بالطائرة أو بالتوراة، لا بد من المواجهة والوجود، حتى ولو كانت غزة ومن فيها عزلاء حتى من الرموش

قال لي غزاوي: سأعطيك وعداً قاطعاً، أنني لن أمنح

الحلم حتى ولو فرصة أخيرة كي ينكسر؛ فكيف لهذا القول أن لا يتحوّل إلى مئذنة، أو إلى ما يشبه الطبقة العليا من التاريخ؟.

الوقت الفلسطيني لن ينام في مكان آخر، وما الدولة

اليهودية في فلسطين. . إلّا حثالة إستراتيجية ، بل تعويذة من الكاوتشوك، وهذا يتقاطع كثيراً مع آراء أمريكية مخبّأة في الرؤوس .

عوفيديا يوسف الحاخام الأكبر يقول: إن مهمتنا أن نصنع للشعوب العربية أقداماً من خشب بمعنى، أننا نحن العرب ذاهبون إلى المحرقة، وهذا حسب اعتقادهم، أنهم يمسكون بالهواء، وغاب عن ذهن الحاخام أنه وكل اليهود هم تلك الكائنات الرخوة التي تضيع وتضمحلّ وتتلاشى رغم كل هذا التواطؤ وكل هذه اللامبالاة العربية الموحشة !

في غزة، تبعثرت كل النظريات التي أساسها تحطيم البصمة التاريخية للدم الفلسطيني. إنه الرهان الهشّ والساذج الذي يملكه القادة الصهاينة، إذ لا أحد يستطيع أن يرصد الحركة البنيوية داخل الفلسطيني التي يمكن « لها « أن تخرج فجأة حتى من الغيبوبة، وتتجه نحو انفجار المستقبل، بعيداً عن الخيانة العظمى لكل الحكام العرب. لأستعيد جملة في بداية

هذا المقال.. قلّما نعثر على مقاعد فارغة في أرواحهم، حتى وإن وجدت فهي مقاعد ميتة !

القادمون من الظلّ، القادمون من صرخة راحيل، لديهم انهيار كامل بعلاقاتهم مع الحياة، ربما لأن فجوة سيكولوجية معينة ظهرت في التاريخ. لأن اليهودي قلّما يتقن ارتداء الأقنعة، إنه يختفي وراء وجهه الدموي فقط، بل إنه الإنسان الذي يأكل بعضه البعض، وإن كانت غزة قد استقرّت في الخيال، ولم يعد أمامه سوى امتطاء الصخور، والطيران فوق حائط المبكى، وإن لا مكان للموت

فوق أكتافه .

ليست عقدة غزة هي التي تمسك بالأيدي اليهودية، إنها عقدة شمشون التي يرددونها «لا ولن نتساقط وحدنا، بل إن العالم يتساقط معنا «

« إسرائيل « كما يقول حاييم وايزمن: لم تخرج من دفتي الكتاب المقدس، بل جاءت من الأمكنة اللزجة، وعلينا بناء جدران وقائية لموتنا. هذا هو الاحتقان الأيديولوجي داخل اليهودي. أو الوقوف عند حافة الانهيار !

الآن يتم تهريب النصوص التوراتية إلى عقل الحاكم العربي الذي نشأ فوق ثروة هائلة، ونسي أن يكون الانتماء الذي لا تعوزه قصائد الصحراء.. بل مَثَلُه الأعلى قائد رعاة البقر، والبكاء بين يدي يوشع بن نون، كي لا تحدث الجلجلة.

في غزّة.. اليهودي الآن يصلّي للمطرقة، ولا تنقصه الأصابع الأمريكية المسوّرة بنجمة داوود، فيما يردّد بداخله، لقد يبست عِظامنا، وهلك رجاؤنا، وتجزّأنا، وسوف نمنع حائط المبكى من البكاء !

في غزة، تم تصحيح الزمن بالأصابع العزلاء، لأن أمريكا

توغّلت في اللازمن، ولم تعد الطائرات الهشّة غير كائنات فولكلورية مهمتها فقط؛ أن تعرف الاتجاهات الغامضة .

أظن أن اليهودي لا يريد لحائطه أن يضحك حتى يحتفظ بكل هذه الجاذبية اليهودية، وما تقدمه التوراة من مهارة فائقة في تقطيع اللحوم .

هم الآن في حيّرة قاتلة، إذا ما تم اختزال الآلام اليهودية، حتى أن أحد الحاخامات أبدى تخوّفاً مريراً وقال بصوت خانق: «لن» يتبقّى من الهيكل سوى حائط المبكى، ومن حائط المبكى سوى البكاء؛ حتى لو ضاع لحم أهل غزّة، لن يتجمّد الهواء، وها هي المسافات تتساقط أمام الطائرات التي حطّمت نفسها، حتى وإن كانت الصدفة التي تقوم بمهمة إبعاد أهل الأرض، فالقوة التي بين أيديهم ستسقط تلقائياً، وقد تتحوّل كل أرض فلسطين إلى مستنقع فلسفيّ قاتم.. ولا أعتقد أن المستقبل بحاجة إلى ذيل للخروج من الجغرافيا القديمة إلى التاريخ القديم؛

غزّة نوع آخر من الكلام

والتوراة لم تحتفظ بعقلها كاملاً ! .

النكبة ودلالاتها في الأدب الفلسطيني

غرز الدين جازي ـ ناقد أدبي ـ سورية

النكبة، مأساة إنسانية حُفرت في الوجدان الفلسطيني.. وويل للإنسانية، وتخاذلها على مرّ العصور، إذ جَهلت أو تجاهلت ويلات شعبٍ عاش مرارة التهجير قسراً، والقتل والدمار جوراً، والتجويع سلاحاً.

كلنا ودون استثناء، يعرف ما النكبة، وما ذقنا من مرارتها كعلامة فارقة في تاريخنا الفلسطيني، وما عاناه الفلسطيني من حرمان لبيته، وتحويله إلى لاجئ يهيم في الشتات خارج وطنه.

طردٌ، وتهديمٌ، ونهبٌ، واستبدال جغرافيا المكان بأسماء عبرية.. تزوير للتراث والتاريخ بمستوطنات أقيمت فوق معالم آثارنا التي طمسوها، ابتدأت بها النكبة، واستمرت، ولا زالت.

علامة فارقة هي النكبة في تاريخنا.. لكنها، وبصلابة الجسد والعقل وروح الفلسطيني فينا، كان لها تأثير كبير على ثقافتنا الفلسطينية، واعتُبرت لدى معظم الأدباء رمزاً لتأسيس الهوية الفلسطينية، تلازماً مع الثالوث الفلسطيني المقدس: «حنظلة، الكوفية، والمفتاح الرمزي».

في الخامس عشر من أيار من كل عام، نحيي ذكرى النكبة حول العالم، ذكرى النزوح الأول وما تلاها، والتي توصف بالمأساة الوطنية، حيث لا تزال ترسم حياة الفلسطيني إلى يومنا هذا... فقد كانت سبباً رئيسياً للشتات الفلسطيني، تحوّل فيه الفلسطينيون إلى أمة لاجئة ذات هوية متجولة، وأنه من المهم قطعاً استذكار واستحضار هذه الذكرى سنوياً كي تبقى عالقةً في أذهان العالم، لكن الأهم هو استخلاص ما يترتب علينا القيام به.

وإنني إذ أستعرض ذكرى النكبة وما أبتغيه من الإصرار على إحياء هذه الذكرى بألمها ووجعها، هو عمق معانيها في الذاكرة الفلسطينية، ولكي أنشد وأقول تجنباً ونبذاً لكل الخلافات علّها توحدنا في لمّ شمل نضالنا: «إن فرقتنا السياسة، وبعثرنا السلاح، فلتوحدنا هويتنا الثقافية الفلسطينية المتجذرة في وجدان شعبنا تكريساً لحق العودة واستعادة أراضينا».

وبسبب الحجم الكارثي للنكبة، وما ألمّت بفلسطين وشعب فلسطين، فقد انعكس ذلك على كافة جوانب الحياة الفلسطينية ولكل من بقي منهم في فلسطين، أو هُجّر منها وعاش في حياة اللجوء، أو فيما تبقى من أرض فلسطين التاريخية في الضفة الغربية وقطاع غزة، وهذا ما أفرز «ثقافة المقاومة» والتمسك بالهوية الفلسطينية وتاريخها وتراثها والإصرار على حق المقاومة والعودة، وما كان لهذه الثقافة من عميق الأثر على الأدب والأدباء الفلسطينيين أمثال إميل حبيبي، توفيق زيّاد، محمود درويش، إدوارد سعيد، وغسان كنفاني وغيرهم.

إن إحياء ذكرى النكبة ليس استعراضاً تاريخياً وحقائق رقمية نغرسها في أذهان أجيالنا رغم ما لذلك من أهمية، بل هي ركيزة مفصلية لتعميق الوعي والذاكرة الفلسطينية في استمرار الذود عن حقنا في إثبات وجودنا التاريخي في أرضنا، والتصدي لآلة التدمير المنهجية التي يمارسها الاحتلال الإسرائيلي على شعبنا.. يترافق ذلك في سلاح المقاومة مع عسكرة مفردة الأدب الملتزم بثوابت حقوقنا في أرضنا لمقاومة الاضطهاد، والنضال من أجل الحرية، والأمل في حقنا التاريخي والوطني في فلسطين، وجعلها رمزاً لإبقاء ذاكرة شعبنا حيّة تستلهم المقاومة، وتساهم فيها بدور مهم للحصول على حقوقنا وصولاً للنصر الذي ننشده.

وقد أفرزت النكبة أدباً أظهر نضال الأديب الفلسطيني، تحدّى فيه كل الممارسات الثقافية، ومنح الأمل بقوة الكلمة، وحافظ على الذاكرة الفلسطينية الجمعية بالحفاظ على الهوية وتكريس حق العودة ومواجهة الظلم المنهجي..

كما امتد سلاح هذا الأدب قوياً، عَكَسَ فيه الظلم واستعادة الهوية، وتناول موضوعات المنفى والتهجير، والحنين للوطن، مما جعل الذاكرة الفلسطينية أداة فعّالة في تكريس الهوية والوجود الفلسطيني، والحفاظ على الإرث والتاريخ الجماعي، والقوة والقدرة على الصمود والتحدّي، ومُحفزّاً للتضامن الدولي، وإضفاء الطابع الإنساني على النضال الفلسطيني، وأوضحَ الأبعاد الحقيقية لآثار النكبة وما استتبعه من ويلات على الشعب الفلسطيني.

كذلك أفرزت النكبة أدباً فلسطينياً ساهم في صناعة الواقع، وأعاد رسم الصورة التي زيّفها الغرب للفلسطيني كأمة بدت لهم لا حياة فيها، فانبثق من رحم ذلك الأدب حقيقة نسفت الصورة المزيّفة لجوهر الصراع الفلسطيني-الإسرائيلي التي صورها الصهاينة في الغرب، وأعادت وجه المقاومة الحقيقية لما كان قد شوّهه التزوير الصهيوني لتراثنا وتاريخنا.

لقد كانت النكبة بما تحمل من ويلات، منعطفاً حاسماً في تعدد أوجه النضال، والتصدّي لمحاولات مسح الذاكرة الفلسطينية، فكان سلاح الكلمة أعمق وأبلغ مما أفرزته هذه النكبة، وزرعته وعياً متجذراً في روح الأدباء، تناقلوه ونقلوه عبر الأجيال إلى عمق وجداننا الفلسطيني وذاكرتنا التي تغذي روح المقاومة لديهم ولدينا.

وهنا تجدر الإشارة إلى ما أفرزته النكبة من صنوف مقاومة رديفة للسلاح المقاوم الذي لا بد منه، تجلّى ذلك في تبنّي أدباء فلسطين لغةً وأشكالاً ثقافية أدبية لتقويض تزوير اليهود لتاريخنا الفلسطيني المتجذر في ذاكرتنا وأرضنا.. وهذا ما نبتغيه ونعمل عليه في تكريس الذاكرة الفلسطينية الجمعية لأذهان أجيالنا في الداخل وفي الشتات، فأجادوا في أدبهم التعبير عن هواجس وحالات الشعب الفلسطيني في مرحلة النكبة وما تبعها، ووظفوا قدراتهم من أجل الحفر في الأدب الفلسطيني الذي جاء بعد النكبة وتحليله والتبحّر فيه.

ففي كل ذكرى جديدة للنكبة كما يقول النقّاد، نعود لفلسطينيي هذا الأدب وكأنه جزء من تركيب فطرتنا الأولى، كما ظهر ذلك في أدب غسان كنفاني، فجاءت رواية «رجال في الشمس» لتعبّر وتمثّل مرحلة الشتات في المخيمات، والسعي من أجل التطهير من دنس الهزيمة الذي أصابنا، إبان النكبة، ومرحلة النشوة والتطلع إلى المستقبل وانطلاق الثورة والكفاح المسلح في رواية «ما تبقى لكم»، ومثلها رواية «أم سعد».. والكثير الكثير من أعمال الأدباء الفلسطينيين شعراً وروايةً وقصة وفناً، حفرها في ذاكرتنا الأدباء، وراكموا في ذاكرتنا وذاكرة أجيالنا كل حرف مرّت عليه أعيننا في أدبهم وفنهم لتصبح النكبة أيقونة نستمد منها قوتنا وحقوقنا وهويتنا ووجودنا.

لقد كسبوا نصف المعركة في النكبة كما قيل، لكن وعينا الجمعي الفلسطيني بما أفرزته جعلتنا كشعب حي لكسب نصف المعركة الآخر، فلم يستطيعوا خرق عقولنا، لا بحربهم، ولا بمستوطناتهم.. كسبناها مقاتلين، مفكرين، أدباء.. يكفي أن يُذكر أدب النكبة حتى تهتز عروشهم الوهمية، وترتعد فرائص كذبهم وتزويرهم لتاريخنا، ويزداد شعبنا صموداً ومنعةً وثباتاً.

لقد كان نزوح النكبة كمثل آدم وحواء عندما غادرا الجنة كما قال أحد النقّاد، وأقول آن الأوان لنا أن نصعد للجنة منتصرين أو شهداء، سيّان، علّنا نجد مكاناً لنا فيها فهي تغصّ وتكتظ بجثامين شهدائنا.

تفنى الأجساد، وتبقى الحروف نتدثّر بدفئها ونعتمر بكوفيتها ونلج بمفاتيحها قضيتنا التي تغلغلت فينا ثقافياً وفكرياً وعاطفياً، ليبقى ذلك الثالوث الفلسطيني المقدس: «حنظلة، الكوفية، والمفتاح الرمزي» مزروعاً في ذاكرتنا ونبراساً لطريق عودتنا.

نعم، لقد كانت النكبة عذاباً، لكنه العذاب الذي لم يقبع تحته نبض المقاومة، ولم يخنع..

وإحياء ذكراها إحياء لحقنا في الوجود..

إحياء للعقل الفلسطيني وثقافته ومقاومته..

إحياء لمقولة الأديب الفلسطيني يُسري الغول: «سجّلوا عنّي»..

وها أنتم سجّلتم عنه.. وسجلتم وعيكم، وصمودكم، وثقافتكم، وأدبكم، لتحقيق النصر الذي نحلم به.

قصة أغنية:

جفرا.. ويا هالربع..
من لم يعرف جفرا.. فليدفن رأسه بالرمضا...

سعيد مراغة ـ صحفي وإعلامي فلسطيني ـ سورية

كانت (جفرا) نمطاً غنائياً شعبياً يعرفه ويتداوله الفلسطينيون في الوطن والشتات مثلها مثل ظريف الطول.. وغيرها من الأغاني التي ترتبط بالذاكرة الشعبية والتي كانت تغنى بالأعراس والمناسبات الوطنية.

وبدأت (جفرا) كأغنية تنتشر مثلها مثل باقي الأغاني التراثية التي حملها اللاجئون الفلسطينيون معهم إلى مخيمات الشتات وأماكن اللجوء في أصقاع العالم وحيث وصلوا. وتناقلت الأجيال تلك الأغاني التراثية التي كانت حاضرة دائماً في مختلف المناسبات وخاصة تلك الأغاني التي كانت مشهورة قبل النكبة، وقد حضرت (الجفرا) بالكثير من المناسبات الاجتماعية، وظلت تحافظ على اللحن الخاص بها.

بداية لا بد من الإشارة إلى أن (جفرا) بمعناها اللغوي هي الفتاة في ريعان الشباب، أو ابنة الغزالة أو الأرض البكر، (وجفرا) هو اسم كنعاني قديم، وأول من استخدم لفظة (جفرا) في عصرنا الحديث وبشكل عذري هو الشاعر والزجال الفلسطيني (أحمد عبد العزيز) حيث عرف فيما بعد واشتهر باسم (شاعر الجفرا).

وجفرا لقب أطلقه الشاعر الزجال أحمد عبد العزيز على إحدى قريباته التي كان يحبها..

تحولت قصة الحب هذه بين الشاعر وقريبته إلى أسطورة شاعت بين الفلسطينيين والعرب. ومع مرور الوقت أصبح أبناء الشعب الفلسطيني يرددون (قصتين في قصة) ونشأ منذ ذلك الوقت حكايتان عن (جفرا التراث، وجفرا الشهيدة) وأصبح هناك تداخل في القصتين.

مع العلم أن جفرا التراث هي الأقدم، لكن جفرا الشهيدة هي الأكثر قداسة وتأثيراً، ولأن (جفرا التراث) يشوبها التكرار وهي باللهجة الفلسطينية الدارجة، بينما (جفرا الشهيدة) باللغة العربية الفصحى. أما بطلا الحكاية فهما كما أوردنا سابقاً في قصة (جفرا التراث) هو الشاعر أحمد عبد العزيز. وهو من قرية (كويكات) قضاء عكا الفلسطينية، أما (جفرا الشهيدة) فعاشقها هو الشاعر الفلسطيني ابن مدينة الخليل عز الدين المناصرة.

حكاية جفرا التراث

تقول الحكاية..

أحب الشاعر الزجال أحمد عبد العزيز الحسن وهو من قرية كويكات، قضاء عكا فتاة من عائلته تدعى (رفيقة نايف الحسن) وعقد قرانه عليها. وفي ليلة زفافها هربت العروس من بيت الزوجية بعد أن ضربها زوجها بقسوة. ورغم تدخلات كبار رجالات القرية من أجل أن تعود العروس إلى بيت زوجها، إلا أنها أصرت على الرفض.

وبعد فترة تزوجت من غيره، وكذلك تزوج أحمد عبد العزيز من امرأة أخرى.

دارت تلك الأحداث في العام 1939 وبعد تلك الحادثة ظل الشاعر والزجال أحمد عبد العزيز يعيش حالة عشق لمحبوبته الأولى، وبما أنه كان زجالاً ويغني في الأعراس، وبما أن التقاليد والأعراف تمنعه من ذكر اسمها الحقيقي، فقد أطلق عليها اسم (الجفرا) وظل يغني في الأعراس (جفرا ويا هالربع)..

بدأت الأغنية بالانتشار حين رأى الشاعر الزجال أحمد عبد العزيز حبيبته (رفيقة) متوجهة إلى عين الماء برفقة بعض النسوة وهي تحمل جرة فخار فوق رأسها فقال فيها :

جفرا ويا هالربع... نزلت على العين
جرتها فضة وذهب وحملتها يا الزين
جفرا ويا هالربع ريتك تقبريني
وتدعسي على قبري يطلع ميرامية....

ان أغنية جفرا حاضرة اليوم في الوعي الجمعيّ الفلسطينيّ، والفعل المقاوم والتعبير عنه غنائيًّا، وهي تحضر مع مختلف الأحداث على رأس الأغاني الشعبيّة، فتطرّقت مؤخّرًا إلى المقاومة باسم «عرين الأسود»، الّتي صدرت عن «فرقة العاشقين» تحت عنوان «جفرا وهي يالرَّبِع أسود العرين»، حيث التغنّي ببطولة هذه المجموعة المقاوِمة، الّتي تشكّلت خلال الأعوام الأخيرة في مدينة نابلس.

طرحت الأغنية نموذجًا غنائيًّا في سرد أحداث اغتيال قادة المقاومة في «عرين الأسود»، واحتوت على أبعاد مكانيّة خاصة في مدينة نابلس، وغيرها من المدن الفلسطينية.

وشكّلت الأغنية الجفراويّة بهذا السياق نقلة جديدة في قيام الأغنية بسرد الأحداث؛ فأكّدت حضور المقاومة وتضحيتها.

وقدم المؤلف والملحن الموسيقي الراحل حسين نازك جفرا في ثوب جديد من خلال فرقة أغاني العاشقين الفلسطينية...وذاعت الأغنية وانتشرت على ألسنة الناس وغدت أيقونة فنية نضالية يعتد بها...

وفي المناسبات الوطنية أصبحت تغنى أغنية الجفرا على النحو التالي..

جفرا ويا هالربع
ربع المراتين
شلال ينبع نبع
دم الفلسطيني
لما يغيب القمر
تضوي شراييني
وتزخ زخ المطر
ع دروب الحرية

حكاية جفرا الشهيدة:

تحولت جفرا إلى رمز فلسطيني وعربي وعالمي، عندما نشر الشاعر الراحل عز الدين المناصرة قصيدته: (جفرا الوطن المسبي) وذلك عام 1976 في الصحف اللبنانية. والقصيدة تحاكي مأساة الشاعر المناصرة مع حبيبته التي استشهدت في غارة صهيونية على مدينة بيروت، واسمها الحقيقي (جفرا النابلسي) وهي طالبة فلسطينية كانت تدرس في جامعة بيروت العربية.

كادت العلاقة العاطفية بين الشاعر وحبيبته تصل إلى مرحلة الزواج. لكن استشهادها في الغارة الصهيونية أفسد ذلك الحلم.

اشتهرت قصيدة الشاعر المناصرة عربياً وعالمياً بعد أن ترجمت إلى لغات عدة، وبعد أن غناها مارسيل خليفة وخالد الهبر.

وبتأثير من هذه القصيدة بعد اشتهارها عربياً وعالمياً منذ العام 1976 وحتى اليوم، نشأت فرق شعبية ومواقع إلكترونية ومقاهٍ ومؤسسات ومراكز ثقافية تحمل اسم جفرا، بل ظهرت في مناطق فلسطين المحتلة عام 1948 حركة طلابية تحت اسم (جفرا) وظهرت روايات وقصص وقصائد ومدونات تحمل اسم جفرا، وحملت العشرات من الفتيات في سورية وفلسطين ولبنان والأردن والمغرب اسم جفرا، وكله بتأثير قصيدة (جفرا الوطن المسبي) وليس بتأثير الفلكلور.. وتقول القصيدة في بعض أبياتها:

للأشجار العاشقة أغني..
للأرصفة الصلبة أغني..
للسيدة الحاملة الأسرار رموزاً في سلة تين..
تركض عبر الجسر الممنوع علينا، تحمل أشواق المنفيين
سأغني..
لرفاق لي في السجن أغني..
لرفاق لي في القبر أغني..
للعاصفة الخضراء، أغني..
من لم يعرف جفرا، فليدفن رأسه بالرمضا
من لم يعشق جفرا، فليشنق نفسه
جفرا ظلت تبكي، ظلت تركض في بيروت
وأبو الليل الأخضر، من أجلك يا جفرا
يشهق من قهر شهقته.. ويموت.

لم تتوقف كلمة أغنية جفرا عن الانتشار بل تناولها الشعراء والزجالة والفنانون مع تغيير الكلمات لتحاكي المناسبة التي تقال بها، وبقيت قصة الجفرا خالدة إلى يومنا هذا، تتناقلها الألسن والأصوات وستبقى خالدة في الذاكرة والوجدان.

1972 من اليابان لليمن لفلسطين
2025 الثورة مستمرة

رقصة التريليونات

مروان عبد العال

هل أتاك حديث الرقص؟ الرقص على جثث الشهداء، رقص عاهرات السّياسة على دمنا وجثث الضحايا في ظل موجة جنون أعمى إلى أقصاها وبكل عروض السّحل وشوي أجسام الطفولة مِثلَ عصافير في الصباح، كان الفوهرر الأمريكي يبارك للزعيم المهووس بالأيديولوجيات واغتنام فرصة الإجهاز على شعب الأسطورة الأخير، قبل أن تنتهي رقصة القصور، ابتهاجاً بدفع الجزيّة أو رسوم الهزيمة العربية، بإسم أمة النصف مليار.

هل أتاك حديث التريليونات؟ في رقصة الرقم الصعب الذي يحتوي على 15 صفراً، لكن لا أعرف كم من الوقت سنستغرقه بالعدّ، هل هناك أوراق من فئة عليا مثل المليون أو المائة ألف أو المليار، أو أن هناك جهاز إلكتروني يتولى المهمة؟ إنها لحظة تأمل ليس إلا!! يظهر كيف نواجه عبثًا عميقًا ومنتشرًا على نطاق واسع ونعلم أننا نعيش في عالم هو مزيج كبير من الخبث والعبث.

هل أتاك حديث أبو الخيزران؟ الذي يرقص في جنازة ويعزف على جراحنا الطرية؟ كما في فلسفته في رواية "رجال في الشمس" الذين ماتوا في الخزان مرددا:" القرش يأتي أولاً، ثم الأخلاق"، إنه إنتاج الألم، صناعة مربحة ونوع من الإكراه العقلي والروحي، وآلية للهروب من مواجهة الحياة في عُريها، الحياة بكل معقولها وغير معقولها، بكل جراحها وغير جروحها.

هل أتاك حديث المخصي؟ الذي قال إنه زمن التريليونات وليس زمن المقاومة والسلاح! كلام يتردد في صدى الصحراء العربية عن الأرصدة والصفقات والنقود والذّهب واللؤلؤ والهدايا الأنفس في التاريخ، جشع إمبريالي مطروحاً كحاجة رأسمالية وبأبعاد نفسية وليس نهج فكري؛ يعيدني إلى الرواية ذاتها وإلى بطلها المخصي أبي الخيزران: "أقول لك الحقيقة؟ إنني أريد مزيداً من النقود.. مزيداً من النقود.. مزيداً من النقود"، هكذا نقرأ اهتمامه بالنقود، كهوس للتعويض عن رجولته المفقودة.

ويأتي السؤال تلقائياً من يقتلنا أكثر الذي يدفع أو الذي يقبض؟ أبو الخيزران الذي يشكل اخصاؤه نقطة تحول في بوصلته الأخلاقية، أم الإمبراطور الذي يتربع على عرش الموت والإبادة والتجويع والذي يشكل فكرة الموت هنا أساسية.

هل أتاك حديث العبث؟ مثلما وصفها "ألبير كامو" في نظرته الوجودية عن رؤية العالم كما هو، دون مكياج الدين والأيديولوجية والأخلاق السائدة، تؤدي إلى خيبة أمل كبيرة، لأن هذه الرؤية تقوي وتعمق إحساس الإنسان بالعبث والجنون والبشاعة، هذه هي الأشياء التي لا يريد الإنسان مواجهتها، ولا يريد أن يراها وتصبح جزءً من حياته.

هل أتاك حديث المهزلة؟ فيما كتبه "غبريال ماركيز" في مائة عام من العزلة... أو قل مائة عام من الهوان.. كالذي تمنى أن يموت بالرّصاص بدل أن يُحرق أو يستطيع أن يشاهد طفلاً يحترق أو يموت جوعاً، عن الجنرال "مونكادا" الذي أكمل "ربما، لكن ما يقلقني ليس إن كنت ستطلق النار عليّ أم لا، لأن إطلاق النار بالنسبة لي بمثابة موت طبيعي."

هل أتاك حديث البكاء؟ اسمحوا لي أن أبكي على بكاء الطفلة التي تبحث عن أفراد أسرتها وسط النيران، وحولها يرقص ابتهاجا ويصير الفوهرر الأمريكي ضيفًا غازيًا، كأننا نرقص جميعاً على أنغام الألم وعلى أنين الجوع المميت، والصمت المريع، أحسست لحظتها أنّهم يرقصون فوق دماء أبناء غزة، رأيت بقعاً من دمهم فوق رخام القصور، تقطر من الثريات المتدلية من السقوف العالية، لحمنا استبيح في المكان.

هل أتاك حديث رقص النيران؟ رقص النّار حفل خاص له هويته الخاصة في مجتمعات شرقية، ترقص حول النّار ليس فيها، شتان بين الرقص فرحاً أو ألماً، إن الألم له اسمه الخاص، سواء كان ينتمي إلى الصغار أو الكبار، إلى الرجال أو النساء؛ إلى الخاصة أو العوام، فلا عجب إذا أن يكون ألم شعب يحترق بالقهر والعرق والدموع والدم والنار! هذا صحيح، ولكن هل هناك أي شك في أن دخول العصر لا يكون إلا بدفع التريليونات، ليكون ميلاد أمة العرب فقط برقصة الخيل والليل والبيداء؟!

هل أتاك حديث تفاهة الشر؟ كما ذكرت "حنا آرندت"، لم تتفه جرائم "آيخمان" التي كانت استثنائية، وغير مسبوقة، اتهمت بتتفيه الشر والتقليل منه، وإنما التنبيه إلى خطورته، لكن بعدما رأينا من تجاوز "أيخمان" بالقتل والفوهرر بالنّازية وحاتم الطائي بالكرم العربي هذه المرة ننشد وتريات مظفر النواب بأننا صرنا في شكٍ من عروبتكم، أمة التريليونات باتت تجلب المزيد من الوجع.

AL-HADAF الهدف